الأمثال في القرآن

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن المشيئة الإلهية التي أحاطت بالناس وبما يحتويه الوجود تحتاج منا إلى نظرة أوسع وأعمق مما تداولته أيدي العلماء والباحثين، فقد خلق الله الأمور بأسبابها ومسبباتها وقضائها وقدرها ولم يخلق شيئاً اعتباطاً فكل شيء حولنا وجد لسبب ولعلة، بل وحتى معجزات الأنبياء وكرامات الصالحين لم تأتي بأمر الله المجرد من الأسباب، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : **(إعلم أن لوجود الكائنات وعدمها أسباباً وشروطاً وأبى الله أن يجرى الأشياء إلا بالأسباب)**[١].

وقال تعالى {**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**}[٢].

بل ولحكمة بالغة علم بها من علم وجهلها من جهل ويبقى المقصر عن بلوغ هذه الدرجات الرفيعة والمعرفة بعلل الوجود هو الإنسان .

لقد تحدث المسلمون بجميع مذاهبهم واطيافهم عن حفظ القرآن وعدم وصول يد التحريف والتلاعب بآياته وسوره، وقد اجمعوا على هذا الأمر، ولكننا هنا نسال سؤال هل أن هذا الحفظ لكلام الله جاء لأسباب وضعها الباري في كتابه أم أن يد الغيب حفظته بالإعجاز والقهر ودون أن يكون هناك أسباباً تحول دون حدوث ذلك التلاعب؟!.

إن مقتضى الحكمة الإلهية تجبرنا على القول بوجود سر في حفظ القرآن فجميع الأمور التي حولنا لابد أن يكون لها أسباب تحيطها وتحويها وتهيمن عليها .

ونحن هنا نقول كيف نجا القرآن عبر هذه الأزمان مع تعاقب الطواغيت الذين عاثوا في الأرض فساداً، والذين لم يكن لهم رادع عن القيام بجميع المعاصي والآثام، بل إنهم فاقوا حتى اللعين إبليس في اختراع المعاصي والذنوب بشتى السبل وهؤلاء الطواغيت حاربوا الله تعالى بكل ما اتيحت لهم من امكانات ، فقوم هدموا الكعبة وآخرون حاربوا الأنبياء والأئمة بل وقتلوهم فلم يكن يردع هؤلاء سوى نزول الغضب الإلهي وإهلاكهم وهذا ما قد حصل في الأمم التي سبقت.

أما أمة الخاتم محمد (ﷺ) فهذه الامة المرحومة لم ينزل العذاب عليها لأن الله أجّل العذاب عنها كرامة لنبيها ولأن هذه الأمة هي خاتمة الأمم من ولد آدم فلا يمكن أن يفنيهم الله قبل أن يحقق

---

[١] - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - هامش ص ٤٦٦ - ٤٦٧

[٢] - القمر ٤٩

الوعد الموعود بملئ الأرض قسطاً وعدلا قال تعالى : { **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** } [٣] .

وقال الله تعالى {**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** }[٤] وقد أخبرنا الله عن الرحمة التي شملت الأمة بسبب وجود النبي (ﷺ) بين ظهرانينا والاستغفار لربنا فرفع عنا العذاب لهذه العلة قال الله تعالى : **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}**[٥].

فما الذي يمنع هؤلاء الطواغيت من أن ينالوا من القرآن ويعملوا به ما يشاؤون؟!.

إن الذي منعهم هو أن الله تعالى قد جعل في القرآن نظاماً يحميه، بل إن هذا النظام يجعل من هؤلاء العصاة يحملون القرآن وينادون به ويحفظونه في الظاهر بدلاً من أن يحرفوه أو أن يلغون التعامل به .

إن بعضاً من علة حفظ القرآن يكمن في أن الله تعالى قد تحدث في القرآن بأسلوب الكناية والتلميح والأمثال فالقرآن كان ولا يزال يتحدث بطريقة (اياك اعني واسمعي يا جارة) ولم يكن فيه تصريحاً مباشراً لكل ما سيحصل، فالجميع يعلم بأن القرآن فيه تبيان كل شيء وفيه تفصيل كل شيء وفيه ذكرنا قال الله تعالى : { **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** }[٦].

وقال تعالى : {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[٧] فقوله تعالى تفصيل كل شيء لا يدع لأحد قول في قباله لأن قوله (كل شيء) شامل دون استثناء أو ترك .

وقال الله تعالى: { **لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**}[٨].

---

[٣] - التوبة ٣٣
[٤] - النور ٥٥
[٥] - النفال٣٣
[٦] - النحل ٨٩
[٧] - يوسف١١١
[٨] - الأنبياء ١٠

وهذه الآية صريحة وواضحة بأن القرآن فيه ذكرنا مع إننا في زمن بعيد جداً عن نزول القرآن والوحي، فكيف حدث أن كان فيه ذكرنا!! بل إن القرآن فيه حتى ذكر من كان قبلنا من الأمم .

قال الله تعالى: **{ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ}**[٩] .

وهذا الذكر لكل شيء ولكل الأمم على اختلاف أحوالها قد حواه المصحف الشريف وقد تداولت هذا المصحف أيدي الظالمين، ومع ذلك فنحن نجده اليوم بين ايدي المسلمون سالما معافى . فلو أن الله تعالى جعل القرآن يتحدث بوضوح وصراحة عن الظالمين والمجرمين والطواغيت لما استمتعنا واستفدنا وانتهلنا منه إلى هذا الوقت، ولو أن القرآن صرح بأسماء بني أمية وبني العباس وغيرهم لما وجدنا اليوم منه إلا ما وجد النصارى واليهود من التوراة والإنجيل.

وقد يرد تساءل من قبل البعض حول الشمولية التي يتمتع بها القرآن مع محدودية صفحاته وكلماته فكيف يمكن لهذا الكتاب المحدود أن يكون فيه تبيان كل شيء؟!!

هذا الأمر الذي جعل من بعض الجهال بالقرآن وينسبون إليه عدم الشمولية أو ما شابه في تعبيراته لأن عقول هؤلاء قصرت عن الوصول إلى الحقائق من بابها المنير وهم أهل البيت (عليه السلام) الذين وضحوا بدقة وتفصيل بأن القرآن فيه تبيان كل شيء إلى يوم القيامة .

فقد روي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال : **(إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن الكريم تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج العباد إليه إلا بينه للناس حتى لا يستطيع عبد يقول : لو كان هذا نزل في القرآن إلا وقد أنزل الله فيه)**[١٠] .

وجاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: **(إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله، وجعل لكل شيء حدا وجعل عليه دليلاً يدل عليه)**[١١] .

وجاء عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: **(ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد كحد الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق وما كان من الدار فهو من الدار، حتى أرش**

---

[٩] - الأنبياء ٢٤
[١٠] - الكافي – المحدث الكليني - ج ١ - ص ٤٨
[١١] - نفس المصدر السابق

الخدش فما سواه، والجلدة ونصف الجلدة)[١٢]. وجاء عنه (عليه السلام) أيضاً أنه قال: **(ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة)**[١٣]. وعن سماعة عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسُنة نبيه (ﷺ) أو تقولون فيه ؟ قال: **(بل كل شيء في كتاب الله وسُنة نبيه صلى الله عليه وآله)**[١٤].

هذا التفصيل الواسع والشامل لكل ما يحيط بنا والذي ضُغط في صفحات محدودة جعل من هذا الكتاب كتابا معجزاً وعجيباً ، وسنبين جزءاً يسيرا من هذا الإعجاز .

تمهيد

يحتوي القرآن على بطون واسعة ومتعددة من التأويل قال رسول الله (ﷺ) : **(ان للقران ظهراً وبطناً ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن)**[١٥] .

فتارة يستخدم الحروف المقطعة في بدايات السور ليرمز إلى أمور مهمة وكبيرة كما بين ذلك السيد أبي عبد الله الحسين القحطاني في الموسوعة القرآنية وتارة يتكلم عن قصص الماضين من أنبياءه وأممهم والتي وقفت مواقف متنوعة ومختلفة، وأخرى يتكلم عن عظمة خلق الله للسماوات والأرض، ومخلوقاته وأخرى يضرب لنا الأمثال والعبر والحكمة وكثيرة هي الأساليب التي استخدمها الباري عز وجل لإيصال العلم إلى الناس، ولا يكون هذا العلم متاحا مالم تسقط جميع الاطروحات البشرية لتحل محلها الاطروحة الإلهية المتمثلة بعلم الإمام المهدي (عليه السلام)الذي هو خاتم الأئمة .

وسنقوم في هذا السفر بعد التوكل على الله تعالى بشرح وتوضيح لبعض الأمثال التي ضربها الباري عز وجل لنا من خلال مخلوقاته فقد استخدم عز وجل في كتابه اسلوب الأمثال فضرب الأمثال والحكم فتارة يتحدث عن البعوضة وأخرى عن الحمار ومرة يتحدث عن الكلب بل وحتى النمل والعنكبوت وغيرها فالأمثال والحكم التي ضربها الله تعالى كثيرة والتي يريد بها معانى أخرى أكثر عمقاً .

---

[١٢] - نفس المصدر السابق
[١٣] - نفس المصدر السابق
[١٤] - نفس المصدر السابق
[١٥] – عوالي اللآلئ ج٤ ص١٠٧ .

إن لغة الامثال في القرآن هي من أجمل اللغات الموجودة التي خاطب الله بها عباده قال الله تعالى: {**نْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ**} [١٦].

وقال تعالى: { **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**} [١٧] .

وقال تعالى : {**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**} [١٨] .

وقال تعالى : {**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القرآن عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**} [١٩]

وقال الله تعالى: { **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**}.

أنظروا إلى البعوضة التي ضرب الله بها الأمثال وقال بأن هذا المثل يضل به الكثير من الناس ويهتدي به الكثير ، وهؤلاء الذين لم يهتدوا كانوا قوما فاسقين وفسقهم مرتبط بمسالة نقضهم لعهد الله وقطعهم لما أمر الله به أن يوصل ، وهنا نسأل هل تستحق البعوضة كل هذا !! وهل مَثَل البعوضة صار سببا في دخول الكثير من الناس في معصية الله تعالى والامتناع عن طاعته !! طبعا لا فالمثل يضرب ولا يقاس وفيه أبعاد كثيرة وبعيدة كل البعد عن البعوضة وحالها .

وكذلك وصف الرجال بأوصاف خاصة رمزية أكثر عمقا فقال عز من قائل: { **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**}.

---

[١٦] - الرعد ١٧
[١٧] - ابراهيم ٢٥
[١٨] - العنكبوت ٤١
[١٩] - الحشر ٢١

ووصف الشعراء بوصف لا يمكن ان ينطبق على المعنى الظاهري للآيات فمن من الشعراء اتبعه الناس حتى يكون المعنى الظاهري هو المراد !!؟. ولكننا نجد أن الله تعالى أراد بهذا الآية ليس الشعراء بل الفقهاء حيث ورد في تفسير هذه الآية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قول الله عز وجل ({ **وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**} **فقال من رأيتم من الشعراء يتبع؟ إنما عنى هؤلاء الفقهاء الذين يشعرون قلوب الناس بالباطل فهم الشعراء الذين يتبعون**)[٢٠].

وقد ورد أيضاً عن الإمام أبي جعفر الباقر(عليه السلام) في قول الله عز وجل: ({**يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**} ، **قال هل رأيت شاعراً يتبعه احد؟ انما هم قوم تفقهوا لغير الدين فضلوا واضلوا**)[٢١].

وكذلك أشار الله تعالى إلى الشرك الذي وقع عند اليهود والنصارى وأرد به هذه الأمة وإتّباعها المطلق لرجال الدين قال الله تعالى: {**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** } وقد ورد في تفسير هذه الآية عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : (**قلت له : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ؟ فقال : أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراما ، وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون**) [٢٢].

هذا فيما يخص بعض الإشارات والأمثال التي تحدث عنها القرآن والتي سنبين بعض منها وهو ما يتوافق مع الزمان والمكان وإلا فالأمثال والإشارات كثيرة جداً سيكون الحديث عن كل منها في الوقت المناسب.

وبعد هذا التمهيد البسيط والمختصر نعرج على موضوعنا وهو استخراج هذه الحقائق من القرآن وفك هذه الرموز لكي يتعرف الناس على ما يحيطنا ونترجم هذا الطرح لكي تسقط الاقنعة الطيبة التي تخفي خلفها وحوش كاسرة، ولكي يسقط اللثام عن الكثير من الحقائق والشخصيات التي غمرتها الامة بجهلها وسلبتها حقها .

إن جميع ما ستطلع عليه من شرح للأمثال في القرآن هو من فكر السيد أبي عبد الله الحسين القحطاني وزير الإمام المهدي وصاحب دعوته وما هذه العلوم إلا نقطة من بحر علمه الزاخر الذي استمده من الإمام المهدي (عليه السلام).

---

[٢٠] –تأويل الآيات ج١ ص٣٩٩

[٢١] – معاني الأخبار ١١٤٨

[٢٢] - الكافي – الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٥٣

النحل والنمل والذباب والعنكبوت والحمار في القرآن

لقد ضرب الله تعالى الأمثال للناس من خلال مخلوقاته وأراد بها الإنسان لأنه تعالى خلق هذه المخلوقات أمم أمثالنا لنتعظ بها ونأخذ العبرة والحكمة منها، قال الله تعالى: { **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** } وسنثبت تجسيد هذه الآية على أرض الواقع وكيف أنها تنطبق على بني آدم.

لقد ضرب الله تعالى الأمثال بمخلوقاته صغرت أم كبرت في أعين الناس ، وخاطب بهذه الأمثال من له قلب ولب ليتأمل خلقه ويتمعن بصنعه وقد تحدثَ الكتاب المنزل على نبينا الأكرم (ﷺ) عن كل شيء مما يحيطنا، وكل ما حولنا قد شمله الخطاب الإلهي في القرآن سواء كان جماداً أو نباتاً أو حيواناً أو إنساناً قال تعالى: { **مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** }[٢٣]

وكان الباري عز وجل كثيراً ما يضرب الأمثال بالحيوانات والحشرات ، وقبل ان يهتمّ العلم الحديث بها ويخصّص لها الدراسات المستقلة والمعاهد المتفرّغة.

وقد أكّد القرآن على الحيوان بأن أطلق أسماء بعض أصنافه على بعض سوره الشريفة في القرآن مثل : سورة البقرة ، وسورة الانعام ، وسور النحل والنمل والعنكبوت ، وسورة

---

[٢٣]- الانعام٣٨

العلق، وسورة العاديات، وسورة الفيل .

وقد ذَكَرَ القرآن عدة أنواع مختلفة من الحشرات تشمل كلاً من: النحل والنمل والذباب والبعوض والقمّل والجراد والعنكبوت .

ولم يكن التعرّض لذكر الحيوانات مراراً وتكراراً إلا لتبيين الضلال ودفع الغفلة واستلال العبرة وصرف الانتباه إلى التفكير في الخلق والتأمّل في حياة المخلوقات جميعها دون تفريقٍ بين الكواكب والجبال والبحار من جانبٍ . . والنحل والنمل والذباب من جانبٍ آخر .

إن كلّ ما في الكون جلّ أو حقر في أعين الناس موضوع بحثٍ وتأمّلٍ وتدبّرٍ لا يصحّ من وجهة النظر الإسلامية إهماله ، ولا غنى عن إيلائه أقصى ما يستطاع من درسٍ وإعمال فكرٍ ، لما ينجم عن هذين - الدرس والتفكير – من ترسيخٍ للإيمان بالله وحكمته وقدرته ، ومن ثم عودة فوائده على الإنسان نفسه في حياته وتدبير معاشه .

فالعبرة الكبرى التي لم يحسن تبينها الأقدمون عموماً والمعاصرون خصوصاً إنما هي في أوجه التشابه الأساسية أو الفطرية بين الإنسان وما يشابهه من الحيوانات في تصرفاته، حتى وإن كان التشابه نسبي حيث قال تعالى في الآية السالفة الذكر أمم أمثالكم .

فالمخلوقات التي خلقها الله تعالى بأنواعها تشابه الكثير من تصرفات وعادات ونزعات الإنسان فهي أمم أمثالنا، فكثيراً ما نرى كيف أن البعض يقارن بين حيوان أو حشرة وبين إنسان.

فمثلاً على أعلى المستويات نقارن بين الحجة في الأرض الإمام وبين يعسوب النحل كما جاء على لسانهم (عليه السلام) في الزيارات المروية عن العترة الطاهرة حيث ورد في الزيارة **(أشهد أنك يعسوب الدين)** ووجه الشبه هذا بين الحجة ويعسوب النحل من ناحية الخير ، أما من ناحية الشر فنجد أن القرآن ضرب عدة أمثلة بتشبيه فئة من المجتمع بالحمير قال تعالى: **{ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً }**[٢٤] أو بالكلب قال تعالى **{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ان تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث}**[٢٥].

وقد ثبّت كتاب الله قاعدة عامة وهي أن كل إنسان له مثل من المخلوقات، فقد وبخ الله الكلب في كتابه ولكنه أراد بذلك التوبيخ توبيخ الإنسان الذي شابهت أفعاله أفعال الكلب من حيث أنه إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

---

[٢٤]- الجمعة٥

[٢٥]-الأعراف ١٧٦

ورفع من شأن النحلة قاصداً بها الإنسان الذي شابه بأفعاله النحل، وتحدث عن الذباب وأراد به التذبذب والتردد الذي يتمثل في الناس وكذلك تحدث القرآن عن العنكبوت وبيته الوهن وأراد به معنى آخر وقوم بعينهم.

فقد أستخدم كتاب الله لغة الامثال **(إياك أعني واسمعي يا جارة)** ، واستخدم لغة التأويل اللفظي والتأويل المعنوي حيث يتحدث عن الحيوان تارة ويوبخه تارة أخرى والمقصود منه الإنسان.

أما موضوع بحثنا هنا فهو النحل والنمل والذباب والعنكبوت والحمار ووضع دراسة لها للربط بين معانيها وانطباقاتها واقترانها بالإنسان ترقياً وتسافلاً وما المقصود من تسمية السورتين بالنحل والنمل ، حيث ان النحل يمثل الخير وأهله وذلك واضح في أكثر تصرفاته والنمل الذي يمثل الشر وأهله وهو أيضاً له صفات تشابه صفات أهل الشر وكذلك الحال مع العنكبوت والذباب والحمار، ولكل مخلوق من هذه المخلوقات معيشة وتصرفات خاصة أيضاً هي موضع بحثنا هذا ..وكذلك هناك معادلة جميلة بين الكلمتين (النحل والنمل) وهما حرفا الحاء والميم حيث ان حرف الحاء يرمز الى الحياة وحرف الميم يرمز الى الموت ..

وسنقوم في البدء بالحديث باختصار عن بعض صفات كل صنف وكيفية الربط بينه وبين الإنسان ثم نقوم بالحديث عن هذه المخلوقات الخمسة وكيفية الربط بينها لتشكيل الجانب الأكبر من المجتمع الانساني المتنوع الذي نعيشه اليوم.

من النحل إلى النمل حقيقة الخير والشر

النحل يمثل المؤمنين

مدح النحل من قبل علماء الطبيعة

لقد أثارت مثاليّة النحل في تصرّفاته وطريقة عيشه عقول الكثير من الباحثين والعلماء المختصين فراحوا يقومون بالأبحاث والدراسات لمعرفة المزيد عن هذا المخلوق العجيب وتصرفاته ، وسنتعرف على ما قاله بعض منهم في السطور التالية :-

١- العالم فترلنك في كتابه (حياة النحلة) : (لو أن أحداً من عالم آخر هبط إلى الأرض وسأل عن أكمل ما أبدعه منطق الحياة ، لما وسعنا إلا أن نعرض عليه مشط الشمع المتواضع الذي يبنيه النحل) .

ويقول أيضا: إن ملكة النحل أو على الأصح (أم الخلية) لا تعيش في مدينتها، كما نتصور من سلطتها وإصدارها الأوامر، بل هي كسائر أفراد هذه المدينة في إطاعتها للقواعد والأنظمة الكلية السائدة، إننا لا نعلم كيف وضعت هذه القوانين والأنظمة، وننتظر أن نفهم هذا الأمر يوما ما ونعرف واضع هذه المقررات، إلا أننا نسميه مؤقتا بـ (روح الخلية) !! إن الملكة تطيع روح الخلية شأنها شأن بقية الأفراد .

إننا لا نعلم أين توجد روح هذه الخلية ؟ وفي أي فرد من سكنة مدينة النحل قد حلت ؟ إلا أننا نعلم أن روح الخلية ليست شبيهة بغريزة الطيور، ونعلم أيضا أن روح الخلية ليست عادة وإرادة عمياء تحكم عنصر ونوع النحل، إن روح الخلية تقوم بتحديد وظيفة كل فرد من أفراد الخلية وفق استعداده ، وتوجه كل واحد منها نحو عمل معين .

إن روح الخلية تأمر النحل المهندس والبَنَاء والعامل ببناء البيوت ، وهي التي تأمر سكنة المدينة جميعاً بالهجرة منها في يوم معين وساعة معينة ، وتتجه نحو حوادث ومشاق غير معلومة من أجل تحصيل مسكن ومأوى جديد !

ولا يزال الحديث للعالم فترلنك حيث يقول : إننا لا نستطيع أن نفهم في أي مجمع شورى قد طرحت قوانين مدينة النحل التي وضعتها روح الخلية واتخذ قرارها بتنفيذها، من يصدر الأمر بالحركة في اليوم المعين ؟ نعم، إن في الخلية مقدمات هجرة من أجل إطاعة الإله الذي بيده مصير النحل.. تم حديثه .

أنظر أخي ما توصل إليه هذا العالم، إن عجائب هذا المخلوق ودقة عمله وانضباطه، كل ذلك لا يكون لولا إرادة الله الذي ضرب لنا الأمثال فأثبت للجميع بأن هذه المخلوقات أمم أمثالنا ، فكما المؤمنون الحقيقيون مخلصون في عملهم كذلك النحل .

وقد وصف ملك النحل بأنه ليس من النوع المتجبر بل هو كأحدهم بالتزامه بالأنظمة واستشارته لباقي أفراد المملكة وهو هنا يشابه النبي أو الإمام (القائد الحقيقي) الذي طالما سمعنا عن تواضعه وكان يأتي الأعرابي لبلاد المسلمين فلا يعلم أي واحد من الجالسين هو النبي محمد (ﷺ) أو أيهم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فكانوا أول الناس تطبيقاً للقوانين واحتراماً لها .

وتوصّل هذا العالم إلى أن يد الله هي التي تسير هذا النظام العجيب وسماها بروح الخلية،

وهي تشابه الروح التي أيد الله بها اوليائه وأنبياءه والأئمة عليهم السلام فجعل من طاعة النبي أو الإمام طاعة لله قال تعالى: { **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**}[٢٦].

٢- العالم ميكولا هايداك قام هذا العالم بتجربة رفع أقراص الحضنة من الخلية ومِن ثم لم يعد في الخلية يرقات ثم وضع فيها نحلاً صغيراً حديث الفقس ولم يكن في الخلية شغالات للحراسة أو لإفراز الشمع أو لجمع الرحيق ، وأخذ ميكولا هايداك ينتظر . . ويا لعجب ما رأى . . لقد ضبطت الأفراد الصغيرة نفسها وزادت من معدل نموها حتى قامت مجموعة من الأفراد بعمر ثلاثة أيامٍ بجولاتٍ داخل الخلية لتنظيفها ، وقامت مجموعة ثانية في العمر نفسه ببناء العيون السداسية . . وللعلم هذه أعمال لا يقوم بها إلا نحلات بعمر الستة عشر يوماً ، بينما قامت مجموعة بعمر أربعة أيامٍ بجمع الرحيق وحبوب اللقاح . . وهكذا بدأت الخلية الفتية في أداء وظيفتها المعتادة خلال أسبوعٍ واحدٍ .

وما اشبه هذا الحال بحال أنصار الإمام المهدي (عليه السلام) الذين يجتمعون وهم أضعف الناس فلا أموال ولا قوة ولا عدد فيناجزون العالم بأسره وينشرون الحق على كل أصقاع الأرض قال تعالى : **{وَنُرِيدُ ان نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ }**[٢٧]

وبعد أن نشر هايداك أبحاثه واكتشافاته تساءل العلماء: إذا كان بإمكان النحل الصغير أن ينمو سريعاً ليتخطى ما يواجه من صعابٍ فهل بإمكان النحل العجوز أن يعيد شبابه للغرض نفسه ؟

وهذا ما حاولت إثباته السيدة فاسيليا موسكو ليبفك من يوغوسلافيا حيث قامت بوضع ٥٠٣ نحلات من الشغالات الهرمة التي تجمع الرحيق عند عمر ٢٨ يوماً وقد جفت لديها غدد إفراز الغذاء الملكي . . وضعتها في خليةٍ فيها قرص حضنةٍ منفصلٍ من ملكةٍ أخرى ، وبالطبع لم يكن أمام هذه المجموعة الهرمة من النحل إلا أحد خيارين : فإما ان تقوم بإفراز الغذاء الملكي لهذه اليرقات وقد جفت لديها غدد الغذاء الملكي ، وإما أن تترك اليرقات تموت جوعاً . .

ومرت أيام دون أن يحدث شيء، وفي أحد الأيام لاحظت السيدة فاسيليا إن إحدى الشغالات

---

[٢٦] - **النساء ٨٠**

[٢٧] - القصص٥

تنحني فوق إحدى العيون . . فنظرت السيدة بإمعان لترى عجباً ، لقد رأت هذه الشغالة تفرز قطرةً لامعةً من الغذاء في فم اليرقة حديثة الفقس . . فقامت الباحثة فوراً بفحص غُدَد هذه الشغالات تحت المجهر لِتجِد الدليل القاطع فقد انتفخت تلك الغُدَد الجافة وامتلأت بالغذاء الملكي ، وهكذا حدثت المعجزة وتجدّد الشباب عند شيخات النحل.

عندما رأى الله تعالى عجز هذه النحلات عن الاستمرار بسبب وجود ما يمنع وهو كبر السن تدخل لكي يثبت عظمته وقدرته فجعل من عجائز النحل أمهات قادرات على القيام بكل وضائف الأم وهذا ما نقرأه في القرآن في قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام)عندما بشره الملك بولده، قالت امرأته وكانت كبيرة السن وقد ذهبت قدرتها على الانجاب **{قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَانَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً ان هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ }**[٢٨].

الصفات المشتركة بين النحل والمؤمنين

بعد أن تعرفنا على القليل من أسرار النحل في تعامله داخل الخلية وخارجها بقي لدينا سؤالين مهمين جداً ، وهو هل لهذا المخلوق مدد إلهي يضاهي ما يقوم به من أعمال وتصرفات عجيبة ؟ وهل هذه الأعمال والتصرفات لها شبه بالمؤمنين ؟
الجواب يأتي من القرآن والعترة الطاهرة حيث أشار القرآن إلى النحل في سورة النحل بقوله تعالى: **{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ان اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ}**[٢٩].
إن النحل يوحى إليه ليلاً ونهاراً ـ فهو لا يخطأ المسير ولا يظل الطريق ويسير بخطوط مستقيمة فهو لا يخالف إيحاء ربه بل يسير بهداه وهو مطيع ، واقتران ذلك بالمؤمنين في قول الله تعالى: **{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ان آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِاننَا مُسْلِمُونَ }**[٣٠] .
فالحوايون في أمة عيسى (عليه السلام) أما في أمة محمد (ﷺ) فهم أنصار محمد وآل محمد وبالأخص أنصار الإمام المهدي (عليه السلام) الذين هم حزب الله الحقيقي قال تعالى: **{أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْانهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا ان حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }**[٣١].
هؤلاء الأنصار الذين سيقومون بنشر دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) التي يأتي بها وزيره السيد اليماني الموعود بعد مقتله وستكون على عاتقهم بعد غياب سيدهم مهمة نشر الدعوة

---

[٢٨]ـ هود٧٢

[٢٩]ـ النحل٦٨
[٣٠]ـ المائدة١١١
[٣١]ـ المجادلة٢٢

بين الناس وستجري عليهم سنة حواري عيسى (عليه السلام) فالدعوة التي جاء به السيد المسيح لم ينشرها المسيح (عليه السلام) بنفسه بل قام بذلك تلامذته وحواريه ، فبعد أن كان المؤمنون بيسوع يعذبون ويقتلوا ولا يسمح لأحد أن يؤمن بهذا النبي قام الحواريون بتوجيه من اليسوع بنشر الدين بين الناس، وإذا بهذه الدعوة تنتشر وتأخذ مكانها بين الناس إلى أن صارت هذه الديانة صاحبة العدد الأكبر من ناحية المعتنقين لها، وكل ذلك يعود للمهمة التي قام بها حواري المسيح في ذلك الوقت ، فالحواريون وتلامذة المسيح ستجري سنتهم هذه على تلامذة السيد اليماني بعد مقتله.

وقد سمي قائدنا وإمامنا الحجة بن الحسن بتسمية رئيس النحل وهو اليعسوب أي (يعسوب الدين) وهي من التسميات المختصة بالأئمة الأطهار وخصوصاً أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والإمام المهدي(عليه السلام).

وورد في الروايات أن المهدي (عليه السلام) تأوي إليه أصحابه كما تأوي النحل إلى يعسوبها كما في الرواية المروية عن الإمام علي (عليه السلام) في وصف أحداث الظهور المقدس والتحاق الأنصار بإمامهم قال أمير المؤمنين (عليه السلام)**: (فإذا كان ذلك بعث الله يعسوب الدين ، فضرب بذنبه ، فيجتمعون إليه قزع الخريف، اني لأعلم اسم أميرهم ، ومتأخر رجالهم)**[٣٢].

والروايات بهذا الصدد كثيرة نتركها مراعاة للاختصار .

لقد ذكرنا أن للنحل من التصرفات والأفعال مشابهة لتصرفات المؤمنين وسنلخص بعض منها في النقاط التالية :-

١- إن الانتفاع من النحل كثيراً جداً لأنه ينتج العسل وهو علاج لكثير من الأمراض وهو غذاء لا ضرر فيه ولا محذور منه قال تعالى: **{ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ ان فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**[٣٣].

إن العسل في التأويل معناه الحكمة والموعظة الحسنة وهذا الشيء مشابه لأولياء الله العابدين المتمسكين بشرعه حيث تخرج منهم الحكمة والنصيحة الطيبة وهي مستودعة في بطونهم فهي تخرج من بطونهم إلى الناس كي تشفي قلوبهم مما فيها، وعن رسول الله (ﷺ) أنه قال : **(إن مثل المؤمن كمثل النحلة إن صاحبته نفعك وإن شاورته نفعك وإن جالسته نفعك وكل شأنه منافع وكذلك النحلة كل شأنها منافع)**[٣٤].

---

[٣٢]- شرح الأخبار ص٣٦١

[٣٣]- النحل٦٩

[٣٤]- بحار الانوار ج ٦١ - ص ٢٣٨

٢- إن النحل مشابهة للمؤمنين من حيث المحافظة على نظافة الشوارع والأماكن العامة في الخلية وهذا الشيء مشابه لما أمر الرسول (ﷺ) المؤمنون في الحديث المشهور **(النظافة من الإيمان)**.

٣- إن النحل لا يعرف التبذير في عمله ومعيشته من خلال ما توصل العلماء بتجاربهم التي أكدت على أن للنحل من المهارة بحيث أنه في عملية صنعه للعسل لم يبذر فيما تحويه النباتات والأوراد من خواص علاجية ، فالنحل ينقل تلك الخواص بالكامل ويجعلها في العسل.

وقد صرح العلماء بكثير من تلك الخواص الوقائية والعلاجية والمقوية التي ينتقيها من النباتات ويجعلها في العسل، دون أن يخسر أي شيء مهم منها أثناء عملية صنعة للعسل، إن هذا العمل الذي يقوم به النحل لهي في صميم المؤمن الحق، فقد أكد القرآن على أن المبذرين أخوان الشياطين قال تعالى: **{إن المُبَذِّرِينَ كَانواْ إِخْوَان الشَّيَاطِينِ وَكَان الشَّيْطَان لِرَبِّهِ كَفُوراً}**[٣٥].

كما ذم المولى أبي عبد الله (عليه السلام) الإسراف قائلاً : **(ان القصد أمر يحبه الله، وأن السرف أمر يبغضه الله، حتى طرحك النواة، فإنها تصلح لشيء، وحتى صبك فضل شرابك)** [٣٦].

٤- إن لخلية النحل حارسات على باب الخلية يراقبن الداخلين والخارجين من وإلى الخلية .. يطردن الدخلاء أو من أراد العبث بأمن الخلية ، وهذا حال المؤمنين في دينهم يراقبون الأفكار الداخلة إلى سرائرهم ويطردون أي شيء يحاول العبث بأمن يقينهم بالله وقادتهم الائمة الأطهار (عليهم السلام) .

٥- تستطيع النحلة معرفة موقع الشمس في الأفق وتتذكره ، أي معرفة زاوية الميل التي يصنعها طريقها مع الشمس، فهي تميّز خط مسارها من الخلية إلى موارد الرحيق عن طريق موقع الشمس في الأفق وهذا حال المؤمنين المنتظرين للإمام المهدي (عليه السلام) أيضا فالإمام هو الذي يمثل الشمس في التأويل وأنصاره يعملون وينظرون له ويسمعون لأوامره ونواهيه وهم متمسكين به لأنه حبل الله الذي يؤدي بهم إلى الصراط المستقيم كتمسك النحل بالشمس لمعرفة طريقها .

٦- إن النحلة تقوّم غناء الرحيق وصلاحيته بتذوقها لتعرف مقدار حلاوته وتركيزه ، فهي لا تأخذ كل أنواع الرحيق بل لا بد أن تتوافر فيه الصفات التي تجعلها ميالة لامتصاصه ونقله للخلية.

---

[٣٥]- الإسراء٢٧

[٣٦]- عوائد الأيام - المحقق النراقي - ص ٦١٦ - ٦١٧

ولقد شَبَّهَ الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه المؤمن بالنحلة فقال : **(مثل المؤمن كمثل النحلة، إن أكلت أكلت طيباً، وان وضعت وضعت طيباً، وإن وقعت على عود نخر لم تكسره)** [٣٧].

٧- إن للنحلة إحساساً مرهفاً بمرور الوقت يفوق في دقّته كلّ ما نتصور . . ولقد أُجريت في ذلك تجارب شتّى منها تجربةٌ لتقديم طعامٍ للنحل في لحظةٍ معينةٍ من لحظات النهار فلما ألِفت ذلك صارت تأتي طائرة في لحظتها تلك لا تتقدّم ولا تتأخّر ، وهذا الأمر أيضاً نشاهده عند المؤمنين الصالحين المتمسكين بتعاليم العترة الطاهرة فان الوقت له قيمة عندهم ، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام)**: (امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها)**[٣٨].

٨- إن النحل عندما تشرق الشمس ينطلق لجمع الغذاء من الأزهار والورود ويقوم بفتح أوراق الزهرة ليصل إلى رحيقها العذب أما المؤمنين فزهرتهم الجنة ورحيقهم ريحها العذب وأوراق زهرتهم أبواب جنتهم التي يفوزون بها عند شروق شمسهم المتمثلة ببقية الله في أرضه وحجته على عبادة قال تعالى: **{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ }**[٣٩][٤٠].

فأبواب الجنة مغلقة تنتظر من يفتحها أو تنتظر الأذن لفتحها كحال الزهرة التي تفتح النحلة أوراقها لتشرب من رحيقها.

٩- إن في النحل لمحات تجعل المرء يسرح في عالم آخر، ففيه يعسوب وشغالات وفيه نظام وانضباط وفيه دقة وإتقان للعمل المطلوب من كل فرد من أفراد الخلية .. وكلها مظاهر من عظمة الخالق المبدع الذي جعل من أمة النحل مثالاً يحتذى به في التعاون والنظام .

الكل يعمل حسب سنه ودوره والكل يعمل عمله بإتقان، المهندسات والبناءات يشيدنَ قرص النحل . والعاملات يقمنَ برحلات للكشف عن أماكن الرحيق . والكيميائيات يتأكدنَ من نضوج العسل وحفظه ، وهذا نجده بوضوح في صفات المؤمنين الذي أمرنا الرسول الكريم بأتباعها وترحم على من يتبع هذه الصفات كما قال (ﷺ) في الحديث المشهور **(رحم الله أمرءٍ عمل عملاً فأتقنه)**[٤١] وقال (ﷺ) : **(قيمة المرئ ما يحسنه) .**

---

[٣٧]- ميزان الحكمة - ج ٤ - ص ٢٨٢٥

[٣٨]- الصلاة في الكتاب والسنة ص٥٥

[٣٩]- الزمر٧٣

[٤٠]- (راجع تفسير هذه الاية في الجزء الاول تحت عنوان اشكالات قرانية)

[٤١] - شواهد التنزيل ج١ ص٥

١٠- إن للنحل نوعين من العيون فالنوع الأول هو العيون المركبة وهما اثنتان تقعان على جانبي رأس النحلة، وتتألف من بضعة آلاف من الوحدات البصرية وهي سداسية الأضلاع.

وتستخدم العيون المركبة في الرؤية لمسافات بعيدة عندما تكون النحلة خارج الخلية ، ولها القدرة على تمييز ذات الألوان التي تميزها عين الإنسان باستثناء اللون الأحمر، أما النوع الثاني فهو العيون البسيطة وعددها ثلاث تحتل أعلى الرأس ،وتستخدمها النحلة في الرؤية القريبة والإضاءة الخافتة داخل الخلية .

فليس لدى النحل عيون كعيون باقي الحيوانات والتي فيها القدرة على الرؤية البعيدة والقريبة ، ولكن الله خلق فيها نوعين من العيون التي تستخدمها حسب الحاجة .

قال تعالى: **{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}**[٤٢]

وإذا نظرنا إلى صفات حاسة النظر في النحلة نجدها أيضاً موجودة في صفات المؤمنين بل هي من أهم صفاتهم فإن المؤمن يرى على طريقتين طريقة يرى بها الأشياء المادية ويستخدم فيها العينين اللتين يقعان في أعلى الرأس ، وعينين أخرى يستخدمها في رؤية الأشياء الغير مادية ويستخدم فيها البصيرة أو ما يعبر عنه النظر بالقلب .
فقد جاء في قوله تعالى: **{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }**[٤٣]
أو ما عبر عنه الإمام الصادق (عليه السلام) بعيني القلب قال (عليه السلام): **(ألا من أجوَر الناس من رأى جوره عدلاً ، وعدل المهتدي جوراً ، ألا ان للعبد أربعة عيون ، عينان يبصر بهما أمر آخرته ، وعينان يبصر بهما أمر دنياه ، فإذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه ، فأبصر بهما العيب ، وإذا أراد غير ذلك ، ترك القلب بما فيه . .....)**[٤٤].
إن العينين اللتين يرى بها الإنسان الأمور المادية تقابل عيني النحلة التي ترى بها الأشياء القريبة أما البصيرة أو نظر بالقلب فإنه يقابل عيون النحلة التي ترى بها الأشياء البعيدة .

١١- يطرد النحل أي فرد في الخلية غير عامل أو يحاول التكاسل في أداء أعماله اليومية أو يعصي الأوامر أو يتمرد على من هو أعلى منه مرتبة وإن كانت هذه الحالة لا تكاد تُذكر لندرتها إلا أنها موجودة بالفعل في أمة النحل، إن هذه الصفة نجدها عند المرتدين والعصاة والعياذ بالله فإنهم يطردون من مصاحبة المعصوم التي تمثل مصاحبته الجنة عند المؤمن كما

---

[٤٢]- لقمان١١

[٤٣]- الحج٤٦

[٤٤]- بلاغة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) - جعفر عباس الحائري - ص ٤١

طُرِدَ إبليس لعنه الله من جنة الجبار العليم وقد قال حكيم لتلامذته : **كونوا كالنحل في الخلايا ، قالوا : وكيف النحل ؟ قال : انها لا تترك عندها بطّالا إلا أبعدته وأقصته من الخلية لأنه يضيق المكان ويفني العسل ، ويعلم النشيط الكسل** [٤٥].

١٢- إن النحل لا يدخل النار يوم الحساب فقد استثنى الرسول الكرم (ﷺ) هذا المخلوق عن سائر جنسه قائلاً :**(الذباب كله في النار إلا النحل)**[٤٦].
إن هذا الاستثناء يذكرنا باستثناء المؤمنين من دخول النار وقوله تعالى: **{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }**[٤٧].
١٣- لقد نهى الرسول الكرم (ﷺ) المسلمين عامة عن قتل النحل فقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) - في حديث المناهي - قال : **(ونهى رسول الله (ﷺ) عن ضرب وجوه البهائم ، ونهى عن قتل النحل .....)**[٤٨].
وبهذا التكريم قد حصل النحل على وسام يضاف الى أوسمته التي جناها بإخلاصه الدؤوب في عملهِ ومعيشته وبذلك قد تساوى النحل مع المسلم الذي نهى الرسول الأكرم (ﷺ) عن سفك دمه في الحديث المشهور عند جمهور المسلمين : **(كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .**
١٤- النقطة الأخيرة والأهم هي أن مملكة النحل لا تتقبل أكثر من يعسوب واحد فإذا ما ولد يعسوب جديد فإن اليعسوب القديم يترك المملكة ويهاجر وهذا من أعظم الأمثال التي يضربها الله تعالى لنا في مخلوقاته فإن هذا واضح جداً في صفة يعسوب الدين وهو الإمام حيث لا يمكن في الشرع وجود إمامين أو حجتين في آن واحد ولو وجد أخر كان ساكتا وهو يتمثل بتتابع الحجج في الأرض واحداً تلو الآخر.

يعسوب النحل ويعسوب الدين

بعد أن تعرضنا إلى دراسة ما ظهر من صفات النحل بشكل عام ومقارنتها بصفات المؤمنين بقي علينا أن ندرس صفات يعسوب النحل ومقارنتها بصفات يعسوب الدين في زماننا هذا المتمثل بالإمام المهدي (عليه السلام)، وقبل أن ندرس هذا الموضوع لا بد من هذه المقدمة البسيطة لكي يكون المعنى واضحا لديكم .

---

[٤٥]- مستدرك سفينة البحار -للشاهرودي - ج ١٠ - ص ٨.

[٤٦]- مستدرك سفينة البحار - للشاهرودي - ج ١٠ - ص ٧
[٤٧]- الزمر ٦١
[٤٨]- الأمالي ص٥١٢

هناك اسلوب معروف في القرآن وفي الروايات وهو إطلاق أسماء أو ألقاب بعض المخلوقات على الإنسان لأجل نقل صورة عن بعض الصفات من هذا المخلوق إلى المعنى الآخر المنقول له، وحتى في الأمثال التي ضربها القرآن يكون ذلك واضحاً.

ومن هذه الاستعمالات إطلاق لفظ الأسد على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقطعاً لا يراد منه نقل كل صفات الأسد إلى الإمام علي (عليه السلام)بل بعضها لأن الأسد حيوان مفترس وفيه صفات أخرى لا تليق ولا تصح على الإمام (عليه السلام).

وكذلك يطلق لفظ يعسوب الدين على النبي وباقي الأئمة (عليهم السلام) وهذا وارد في الروايات وممن ورد فيه إطلاق هذا الاسم على الإمام المهدي (عليه السلام) فكثيراً ما أطلق عليه بأنه يعسوب الدين ولمعرفة سبب إطلاقهم هذا الاسم عليه نقدم بحثاً بسيطاً عن أصل اللفظ ونترك لكم ربط المعاني للوصول إلى النتيجة.

يعسوب الدين كلمة مأخوذة أصلاً من يعسوب النحل . ويعسوب النحل فيه مجموعة من الصفات تنطبق على الإمام وصفات أخرى لا تنطبق كما ذكرنا في اسم الأسد .

ان كل خلية تحتوي على يعسوب واحد ولا يمكن ان يكون أكثر من واحد وفي حال وجود يعسوبين يترك القديم المملكة له ويأخذ مجموعة من النحل ويرحل إلى مكان آخر ليبني خلية جديدة .

نقطة تحول

في حال غياب اليعسوب لسببٍ ما، تقوم النحلات بإيجاد حلول بديلة مثل أن يتصدى أحد أفراد الخلية للزعامة ليكون يعسوباً بديلاً وهذا البديل يسمى في عرف النحالين باليعسوب الكاذب أو الملكة الكاذبة فيكوّن هذا الأخير حاشية خاصة به تجلب له الغذاء الملكي وتأخذ عنه التوجيهات (الفتاوى).

ونتيجة أكله الغذاء الملكي يظهر عليه الانتفاخ لأنه أساساً غير مخلوق لتناول هذا الغذاء وبهذه الكميات ثم انه لا يستطيع أن يدير المملكة بنفس كفاءة اليعسوب الحقيقي فتظهر عنده الكثير من الأخطاء مما يستدعي أن يتصدى يعسوب كاذب آخر للزعامة ، وأيضاً تكون له حاشية تنقل له الغذاء الملكي وتأخذ منه التوجيهات وهكذا يزداد عدد القادة أو اليعاسيب الكاذبة حتى يصل إلى أكثر من عشرة وأحياناً يصل إلى (٧٠) يعسوباً كاذباً كلاً له حاشية وأتباع .

وأن هؤلاء الأتباع يأخذون من الغذاء الملكي أثناء نقله ، مما يظهر عليهم الانتفاخ والترهل والترف، ولو استمر الحال على هذا المنوال فإنه يعني انتهاء هذه المملكة خلال فترة قصيرة جداً.

وهنا لابد من تدخل يد خارجية غيبية إن صح التعبير وهي هنا يد النحال (مربي النحل) لإنقاذ هذه المملكة وطبعاً يقابلها تدخل يد القدرة الإلهية عند البشر لإنقاذهم بإدخال اليعسوب الحقيقي وهو الإمام (عليه السلام).

أما عند النحل فيقوم النحال بإدخال اليعسوب تدريجياً ومحجوباً عن النحل لأنه إن أدخله مباشرةً فإنهم ينفرون منه لأنهم غريبون عنه، ثم يجتمعون على قتله وهو وإن كان أقوى منهم إلا أن أعدادهم الهائلة التي تصل إلى عشرات الالاف أو أكثر، أقوى منه .

فيقوم المربي بوضعه في وعاء شفاف يمكنه أن يرسل راحته من خلاله ولا يمكنهم الوصول إليه لقتله وبالتالي تصلهم التوجيهات والأوامر وما أن يبدأ ببث رائحته حتى تبدأ النحيلات المستضعفة بالارتباط به وتطبيق توجيهاته ونقلها إلى باقي النحل للتعرف عليه وأنه اليعسوب الحقيقي من خلال رائحته ، فيزداد أنصاره وأعوانه باستثناء من أكل من الغذاء الملكي واعتاد على حياة الترف ، والقيادة فإنه يرفض أن يسلم الأمانة إلى أهلها ، ونتيجة أكله حقوق غيره عميت بصيرته أو حاسته فهو لا يميز رائحة اليعسوب الحقيقي من الكاذب.

وبعد ان تقوى شوكة اليعسوب الحقيقي بكثرة أنصاره يقوم بأهم خطوة والتي ينتظرها المربي ليطمئن على المملكة وهذه الخطوة هي قتل كل اليعاسيب الكاذبة الجالسة في غير مكانها هم وحاشيتهم وإلقاء جثثهم خارج المملكة فإذا شاهدها المربي اطمان على هذه المملكة لان هذه الجثث مميزة بالانتفاخ وغلظ الرقبة.

وهذا ما يشابه ما جرى ويجري على الإمام المهدي (عليه السلام) الذي غاب عن الأمة بسبب تخبطها واتخاذها الناس ولائج من دون الإمام المعصوم وصار الأمر إلى غير أهله ، فاحتلت اليعاسيب الكاذبة مقام الإمام مدعين بأنهم أولياء أمور المسلمين فأكلوا أموال الإمام الخاصة وهي الخمس هم وحواشيهم ، وصار أمر الأمة إلى التخبط والتيه والظلم وأكل مال اليتيم والفقير وانتشار الفساد المالي والخلقي في المجتمع .

وهنا تبدأ مرحلة الظهور بأن يبث الإمام المهدي (عليه السلام) رائحته من خلال الدعوة السرية التي بدأ بها وزيره السيد القحطاني اليماني، ليشم هذه الرائحة ويتعرف على هذه الدعوة اصحاب البصيرة والقلوب الطيبة والمستضعفين ، فيجتمعون على امامهم ويكونون له أنصاراً وأعواناً ويكونون الركن الشديد الذي كان ينتظره لقرون ، فيأتي اليوم الموعود

والوعد الموعود ليقضي الإمام على جميع اليعاسيب الكاذبة السارقة لمقام المعصوم ويجمع الإمام المهدي (عليه السلام) الناس على دين واحد وهو المحمدية البيضاء فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

عن مالك بن ضمرة عن الإمام علي (عليه السلام) قال: **(يا مالك بن ضمرة كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا، وشبك بين أصابعه وأدخل بعضها في بعض .**

فقلت: يا أمير المؤمنين ما عند ذلك من خير.

قال: الخير كله عند ذلك، يا مالك عند ذلك يقوم قائمنا فيقدم سبعين رجلاً يكذبون على الله فيقتلهم ثم يجمعهم على أمر واحد) [٤٩].

نسأل الله جل وعلا أن يخلصنا من العصبية وسوء الظن وأكل أموال اليتامى والمساكين، وأن يطهر قلوبنا لتصبح محلاً قابلاً لاستقبال الفيوضات الربانية.

النمل يمثل الكافرين في الأرض

النمل وصفاته

سنقوم هنا بجولة أخرى في عالم أخر يمثل نقيضاً لعالم النحل هذا العالم الذي يعيش سكانه باطن الأرض ويتغذى مواطنوه على المزابل وبذور النباتات تاركين ورائهم الدمار والخراب الذي يحل في أي مكان يذهبون إليه كما أشار إلى ذلك الكثير من علماء الطبيعة.

وهو العدو الأول لخلية النحل السالفة الذكر هذا المخلوق الذي نزلت به سورة من القرآن هي سورة النمل سوف نتعرض في الأسطر التالية إلى طبيعة معيشته وكيف يبني مساكنه ومستعمراته وكيف يتغذى ويتكاثر.

هذا المخلوق الذي شابه في كثير من صفاته صفات أهل الشر أو الكافرين كما سيأتي، وبعد أن نتعرض لصفات هذا المخلوق سوف نجري مقارنة بين بعض صفاته وصفات النحل من جهة وصفات أهل الخير والشر من جهة أخرى ولنبدأ بالنمل وصفاته:-

---

[٤٩] – غيبة النعماني ص٢٠٦

إن طائفة النمل تنقسم إلى طبقات هي الشغالات والذكور والملكات وكل منها يقوم بأداء وظائف معينة.

تكوّن الشغالات الجزء الأكبر من المستعمرة وهي إناث غير خصبة وتمتد حياتها من عدة شهور إلى عدة سنوات ، وهذه الشغالات يمكنها اللسع في بعض الأنواع، والشغالات تؤدي أغلب وظائف المستعمرة بما في ذلك جمع الغذاء والعناية بالأطوار غير البالغة .

أما الملكة فتلقح مرة واحدة فقط ولكنها تضع البيض حتى نهاية حياتها وهي تعيش من (١ ـ ١٥ سنة) حسب النوع، والشغالات هي التي تنظفها وتعتني بها فهي مدللة وغاية في الترف، وبعض الطوائف من النمل يكون بها أكثر من ملكة فقد تصل من ١٠ ـ ٣٠ ملكة، ويعيش الذكر فترة قصيرة بعد تلقيح الملكة، وفي بعض أنواع الذكور والملكات ذات الطيران الضعيف يتم التلقيح في العش أو على سطح الأرض خارج العش.

يمر النمل في نموه وتكوينه بتحول كامل تماماً فالفترة بين البيضة والحشرة الكاملة تتخللها دائماً أطوار شديدة التباين من اليرقات والعذارى، والمدة التي تستغرقها دورة الحياة للفرد تتراوح في الأنواع المختلفة من أسبوع إلى عدة أشهر، أو ربما لأكثر من ثلاث سنوات ولكن عمر العذراء يكون قصيراً نسبياً إذ يندر أن يزيد على أسبوعين أو ثلاثة وتتراوح كمية البيض التي تضعها الملكة بين عدة مئات أو عدة آلاف حسب نوع النمل .

وبالرغم من أن النمل في أكثر الأحيان يأكل بيضه إلا أن هناك زيادة كبيرة في عدد سكان المستعمرة ، إن تكوين مستعمرة جديدة للنمل يتم بطريقتين أما عن طريق تلقيح ملكة جديدة أثناء الطيران أو عملية تطريد، والتزاوج يحدث في الهواء، وكثيراً ما يحدث بين أفراد المستعمرات المختلفة وتهبط الملكة الملقحة بعد التزاوج إلى الأرض مرة أخرى وأول شيء تفعله هو تحرير نفسها من أجنحتها ، فتفعل ذلك بتحريكها إلى الخلف وإلى الإمام أو بحكها بسيقان النباتات، وتشدها بأرجلها وفكوكها حتى تكسرها وتتغير غرائزها وتبتعد عن ضوء النهار وتسرع في النزول تحت الأرض وهذه التصرفات تشبه تصرفات من يتسافل في أعماله ويكسر الوسيلة التي أعطاها الله تعالى له لكي يترقى وهي الأجنحة التي يطير بها في الملكوت ثم يبتعد عن النور الذي يمثل الهداية والعلم ويدخل الظلمة كما تفعل ملكة النمل .

وتأخذ الملكة من الذكر قدراً من الحيوانات المنوية تكفيها طول حياتها ولهذه الظاهرة وقفة أخرى أيضاً فهي سيئة الظن بالله بأن يبعث لها ذكور في وقت أخر ، بل هي تأخذ ما تحتاجه لتخصيبها مدى الحياة دفعة واحدة وعندما تهبط إلى الأرض فإنها تفعل عادة أحد أشياء ثلاثة: أما أن ترجع إلى عشها الأصلي، وأما أن تدخل عشاً آخر غير عشها ، أو أن تبني لنفسها عشاً جديداً، والطريقة الأخيرة هي الطريقة المتبعة عادة فتحفر الملكة فجوة وتظل في عزلة

حتى تتهيأ لوضع البيض ، وتعيش الملكة أثناء هذه الفترة التي قد تطول لعدة شهور على الغذاء المختزن في جسمها وذلك لكي تبقي على قيد الحياة وتكون عضلات أجنحتها المكسورة الضامرة مصدراً للمواد الغذائية المخزونة.

وتبدأ الملكة بوضع البيض وعندما يفقس البيض تقوم بتغذية اليرقات الناتجة، وبذلك فهي تعتني بالجيل الأول من الشغالات الذي يعتني بباقي الحضنة بعد ذلك ، وبذلك تتزايد الشغالات وتربي الملكات والذكور وتتكون الطائفة.

وتعيش الملكة طويلاً وتخصص بالتتابع مجموعة من الشغالات تتولى تغذيتها والعناية بها في العش حتى في إحضار الطعام لها في أوقاته بدون تعب أو جهد تبذله في ذلك.

قد أثبتت الدراسات الحديثة لعالم الحشرات أن النمل يقيم وادياً له تماماً كما ذكر القرآن (وادي النمل) إذ يقول العالم موريس مترلنك (في عش النمل الطراز الأفقي هو السائد وان به تعاريج كثيرة لا غاية منها ودهاليز لا تنتهي بحيث إننا لو دخلنا لما استطعنا أن نخرج منها أحياء)

إن النمل يتميز بدهاء خارق والذي يدل على ذلك قيام النمل بعمليات العطل للحبوب قبل تخزينها في مخازن حتى لا تنبت، والحبوب التي لا يستطيع تعطيلها فإنه يعمد إلى نشرها في الشمس بصفة دورية منظمة حتى لا يصيبها البلل أو الرطوبة ، بعد أن يقوم بشطر الحبوب إلى شطرين وبعضها تنبث رغم ذلك فيشطرها إلى أربع أقسام.

ونجد في النمل علاقات مشتركة بينه وبين غيره من الكائنات، وهذه العلاقات مبنية على المصالح الخاصة حيث يستفيد الواحد من الآخر ، مثل علاقة المعايشة بين النمل وحشرات المن وأبناء عمومتها من حشرات الجاسيد، وأساس هذه العلاقة ما تقدمه هذه الحشرات من إفرازات لذيذة الطعم (الندوة العسلية) وفي المقابل يقوم النمل بحماية هذه الحشرات من أعدائها، بل أن بعض أنواع النمل يحتفظ في أعشاشه ببيض أنواع معينة من المن تقضي بياتها الشتوي على هيئة بيض، ومن الطريف أن النمل يبذل عناية فائقة بهذا البيض حتى يفقس منها المن ويضعه النمل على النبات المناسب ليتغذى وينمو .

وعن قدرات النمل، أفادت دراسة بريطانية أجريت مؤخراً عن قدرة النمل، فهو يقوم بإفراز مادة تعيق حركة بعض أنواع حشرات "المن" التي تغزو النباتات المختلفة، حيث يساعد ذلك على إبقائها قريبة من مستعمرات النمل، ليضمن الأخير بذلك الحصول على كميات كافية من الطعام عند الحاجة، والتي توفرها المادة اللزجة التي ينتجها المن.

كما أوضح علماء من جامعة "إمبريال كوليج – لندن" البريطانية أن النمل يقوم بحبس حشرة المن كذلك بإفراز مواد تعيق حركة المشي عند حشرة المن، ليمنعها من مغادرة المكان إلى جهة أبعد.

وتشير الدراسة إلى أن النمل لجأ إلى إفراز مواد على السطوح التي مر فوقها، لتعمل على التأثير في حركة حشرات المن، فتبطئ الأخيرة من سرعتها لتبدو وكأنها أصيبت بالشلل، فيفيد النمل مما تفرزه تلك الكائنات الصغيرة من مواد دبقة غنية بالسكريات، وقد يتغذى على ذات الحشرة إن دعت الحاجة إلى ذلك .

كما أن له حواس على قرون الاستشعار تستخدم النملة هذه القرون لفحص الأشياء ولنقل المعلومات الاستخباراتية عن أمكان تواجد الأعداء وأماكن الغذاء بين أفراد المستعمرة.

أوجه الشبه بين النمل وأهل الشر

بعد أن تعرفنا إلى بعض صفات النمل نأتي الآن إلى بيان تصرفات وأفعال النمل التي تشابه تصرفات أهل الشر وأتباع إبليس عليه اللعنة وسنلخص بعض منها في النقاط التالية :-

١- إن النمل غير منتج بل هو مستهلك ومستهلك فضيع للنباتات والبذور ويلتهم أي شيء أمامه ويشابه بهذه الأفعال أهل الشر من الكفار والمشركين الذين لا يتصفون بصفات الإيمان وحب الناس، فهم يسعون دائماً إلى جمع قوتهم من أي جهة وتوظيف كل إمكانياتهم وذلك دون أن يميزوا بين الطيب والخبيث والحلال والحرام وهذا ما يفعله النمل فهو يسعى دون ملل لجمع الغذاء وبأي وسيلة كانت.

٢- إن النمل يخطأ دائماً في أداء أعماله وكذلك يوجد عندهم قانون لمعاقبة المخالفين فمثلاً إذا دلتهم أحدى النملات على مصدر خاطئ للطعام فإن باقي النملات يقمن بقتل تلك النملة عقاباً على كذبها، كما أثبتت ذلك التجارب العلمية الحديثة وهذه الصفة نجدها عند الذي لا يلتزم بتعاليم الدين الحنيف فهم كثيري الذنوب فوضع قانون الحدود لمنعهم من التعدي على الآخرين .

٣- إن ملكة النمل تأخذ ما تحتاجه من اللقاح مدى حياتها من ذكر النمل دفعة واحدة وهي بذلك تكون سيئة الظن بالله بأن يبعث لها ذكور وهذه الصفة نجدها عند أهل الشر فإنهم دائماً يسيئون الظن بالله قال تعالى : **{يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ}**[٥٠].

---

[٥٠]-آل عمران ١٥٤

٤- إن أغلب علاقات النمل مع المخلوقات الأخرى مبنية على المصالح الخاصة وذلك من خلال تربيتها واعتناءها بحشرة المن، وذلك مشابه لما يقوم به أهل الشر من مدارات من ينتفعون منه وعمل التحالفات معه وإذا انتفت الحاجة فإنهم يتركونه .
٥- إن النمل كثير الأكل فلو مر على النباتات أو بذورها مثلاً تجده يلتهم ما يجده أمامه ويملئ بطنه تماماً إن لم نقل أكثر بكثير عن قابلية الشبع التي أعطاها الخالق له، وهذه من الصفات المذمومة في الدين والممدوحة عند جنود إبليس عليهم اللعنة أجمعين وقد ذم الله هذه الصفة على لسان أوليائه (عليهم الصلاة والسلام أجمعين) حيث قال الإمام الصادق (عليه السلام):**(إن الله يبغض كثرة الأكل)** [٥١].
وعن الباقر(عليه السلام) أنه قال: **(ما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مملوء)**[٥٢].
٦- إن المتتبع لحياة الحيوانات يجد أن النمل الأكثر احتكاراً للغذاء فهو يقضي أغلب أوقاته بجمع الغذاء لفائدة تعود عليه دون غيرة من المخلوقات وهذه صفة المحتكرين الذين ذمهم الله ورسوله وأهل البيت في العديد من الروايات المروية عند كافة الطوائف الإسلامية فقد ورد عن النبي (ﷺ) أنه قال : **(لا يحتكر إلا خاطئ)** أي آثم[٥٣].
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): **(من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه)**[٥٤].
٧- بإمكان النمل العيش في أي مكان على سطح الأرض وبناء مستعمرات ومساكن بسرعة هائلة جداً فهو يشابه أهل الشر في سرعة تكوينهم وتوسعهم في أي مكان لأن اجتماعهم دائماً يكون وفق مصالح دنيوية مشتركة .
٨- أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن النمل يأكل بيضه أي يقتل أبناءه قبل الولادة وهذا يذكرنا بأفعال المشركين الذين كانوا يأدون بناتهم في التراب وهن أحياء وكذلك ما هو مشهور عند من لا دين لهم في المجتمعات المنحلة خلقياً نراهم يسقطون أطفالهم من بطون زوجاتهم عمداً بحجج واهية غير مبالين بعظيم جنايتهم عند ربهم والعياذ بالله، إن هذا الفعل الرديء الذي إن دل على شيء إنما يدل على وحشيتهم وقسوة قلوبهم .

الفرق بيت تصرفات النحل والنمل

بعد أن تعرضنا إلى بعض صفات النمل نتجه الآن إلى بيان الفرق بين تصرفات النحل والنمل من حيث الخير والشر الذي يمثل في أغلب تصرفاتهم، وسوف نقوم بالمقارنة بينهما في عدة نقاط :-

---

[٥١]- الدعوات - قطب الدين الراوندي - ص ١٣٩
[٥٢]- كشف اللثام (ط.ج) - الفاضل الهندي - ج ٩ - ص ٣٣٤
[٥٣]- تذكرة الفقهاء (ط.ج) - العلامة الحلي - ج ١٢ - ص ١٦٥
[٥٤]- تذكرة الفقهاء (ط.ج) - العلامة الحلي - ج ١٢ - ص

١- إن كلمتي النحل والنمل يوجد بينهما فارق واحد وهو حرفي الحاء والميم حيث إن الحاء يشير إلى الحياة، فالنحل كأنما يمثل الحياة أي يكون تنقله وأماكن وجوده وغذائه بكل ما يتصل بصفات الحياة ما بين الأشجار والثمار والزهور والهواء والطبيعة الخضراء التي تؤنس النفس وتسر الناظر واقترانها بالإنسان وارتباطها بأهل الدين العابدين الورعين المتقين المهتدين الذين تصفى نفوسهم بدخولهم الدوحة الإلهية الصافية.
أما النمل فإن الميم تعني الموت فهم يعيشون تحت الأرض في ممالك متشعبة وفي ثقوب الجدران وباطن الأرض فهم بهذه المساكن يمثلون الأموات الذين يدفنون بعد الموت في باطن الأرض.

٢- إن النحل يوحى إليه ليلاً ونهاراً فهو لا يخطأ المسير ولا يظل الطريق ويسير بخطوط مستقيمة قال تعالى: **{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}** فهو لا يخالف إيحاء ربه بل يسير بهداه وهو مطيع واقتران ذلك بالإنسان قال الله تعالى: **{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ}**الحواريون في أمة عيسى (عليه السلام).

أما النمل فهو يعتمد على قدراته الذاتية أي على نفسه وله نظام معقد متشابك ورغم ذلك يخطأ ويكذب وقد ثبت ذلك من خلال التجارب والأبحاث العلمية لذلك فهو لا يوحى إليه ، ويقترن ذلك بالإنسان الذي يكله الله إلى نفسه وذاته، فهو غير متوكل ولا يقبل الهداية فنرى النمل يسير بشكل متخبط متعرج على غير هدى ويرتطم بالأشياء كالأعمى وصفة العمى مرتبطة بالكافرين يوم القيامة فقد قال تعالى: **{وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً }**[٥٥].

٣- إن النحل يتخذ من الأماكن العالية والعروش والجبال والأشجار بيوتاً يسكن فيها ويأوي إليها ويجعل فيها خلايا سداسية من أجل إقامة مملكة كاملة قال تعالى:**{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ان اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ}** حيث إن هذه الأماكن مرتفعة عن الأرض تدل على الترقي فقد وصف المولى تبارك وتعالى حال المؤمنين في الجنة بقوله: **{ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ }.**

وكذلك ذكر الله أن للنحل البيوت كما في الآية أعلاه وكذلك قال الله تعالى أهل البيت وهم محمد وآل محمد ولم يقل أهل المسكن بينما سمى الله تعالى الثقوب والأنفاق التي يعيش فيها النمل مساكن ولم يقل بيوت قال الله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }**[٥٦] فذكر الله المسكن للنمل ولم يقل بيت كما قال للنحل حيث

---

[٥٥]- الإسراء٧٢
[٥٦] - النمل١٨

ترتبط كلمة مسكن بالكافرين دليل قوله تعالى: **{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ }**[٥٧].
وقال الله تعالى **{ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ }**[٥٨].
وكذلك توجد إشارة أخرى في قوله تعالى: **{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ}** وكما نعلم ان لجهنم وديان يعذب فيها الكافرون منها واد ويل وواد سقر وغيرها أجار الله تعالى المسلمون منها، وقد ورد في الكثير من الأحاديث ما يدل على ذلك.
فعن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: **(ويل وادي في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار فيصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي (من النار)** [٥٩]**.**

وعن عاصم عن علي قال قال رسول الله ﷺ : **(تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن فقيل يا رسول الله وما جب الحزن أو وادى الحزن قال وادى في جهنم تعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين وإن من شرار القراء من يزور الامراء).**

٤ـ شابه النحل الملائكة عن طريق تشابه خلقتها لوجود الأجنحة قال الله تعالى: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ان اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }**[٦٠].

أما النمل فإنه يشابه جنود إبليس وهم الجن الذين يسكنون الوديان والخرائب وباطن الأرض ، كما أن مثل ملكة النمل مثل إبليس عليه اللعنة حين كان له أجنحة في الجنة وطرد منها جراء ظلمه لنفسه قال تعالى: **{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَانكَ رَجِيمٌ }**[٦١] . فملكة النمل أيضا تُسقط أجنحتها وتهبط في أسفل التربة كما فعل إبليس وهبط أسفل السافلين.

٥ـ العطل والعسل: إن النمل لا يصدر منه إلا العطل وذلك لأنه يأخذ المواد فيعطلها عن الإنبات وأداء وضيفتها مثل أن يأخذ بعض الحبوب كالقمح وغيره فيشطرها إلى شطرين أو أكثر حسب نوع الحبة لكي لا تنمو عند التخزين وهو وإن كان أسلوب صحيح في التخزين لكنه واقعاً معطل بالنسبة لغيره من المخلوقات وذلك خلاف عمل النحل فهو ينتج كل ما فيه فائدة للآخرين كالعسل والشمع والغذاء الملكي، ثم انه أثناء تنقله بين الأزهار يقوم بعملية التلقيح للنباتات مما يجعلها تثمر.

---

[٥٧]- الأحقاف٢٥
[٥٨] - ابراهيم ٤٥
[٥٩] - مسند ابن المبارك - عبد الله بن المبارك - ص ٦٥
[٦٠]- فاطر١
[٦١]- الحجر٣٤

وبهذا الكلام المختصر أصبح الفرق واضحاً بين ما ينتجه النمل وما ينتجه النحل، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه فأشار إلى العلاقة بينهما حيث افتتح سورة النمل (طس) فالطاء رمز يشير إلى العطل الملازم للنمل والسين يشير إلى العسل الملازم للنحل فسبحان الله تعالى في خلقه.

٦- نشاهد أن النحل عندما ينطلق لجمع الرحيق من الأزهار ويقوم بفتح أوراق الزهرة ليصل إلى رحيقها العذب، فتمثل الزهرة جنة الخلد وأوراقها أبواب الجنة التي تفتح عند شروق الشمس عكس مساكن النمل حيث نشاهدها بدون أبواب وليس لمصادر قوتها أبواب فهي تأكل من المزابل وتتطفل على الآخرين وتسرق الطعام وتأكل من ميتة الحيوانات والحشرات وبذور النباتات البرية ذات الأشكال الغريبة التي تشبه رؤوس الشياطين وقد قارن الله تعالى بين المؤمنين والكفار في سورة الزمر حيث يقول سبحانه وتعالى: **{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}**[٦٢] وقوله: **{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}**[٦٣].

إن الفارق بين الصنفين هو الواو فقال في الآية الأولى {**فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**} وفي الثانية **{وفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}** حيث جعلت الواو إشارة إلى التراخي والتاني والاستئذان لفتح الباب وإذن البواب، وذلك كله في الجنة أما جهنم فلا حاجة لفتح أبوابها والأذن لدخولها.

٧- إن في سورة النحل تركيز واضح على كلمة الملائكة في آياتها قال تعالى: **{يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ}**، **{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ}**، **{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ ان تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ}**، **{وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ }** . أما في سورة النمل فالتركيز فيها على كلمة الجن قال تعالى: **{لَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَانهَا جَان}**،**{وَحُشِرَ لِسُلَيْمَان جُنُودُهُ مِنَ الْجِنّ}** ، **{قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنّ}** وكذلك يوجد في كل سورة من السورتين سجدة حيث أن سجدة النحل فيها ذكر الملائكة وأنهم لا يستكبرون بخلاف آية السجدة في سورة النمل حيث أن فيها زجر شديد .

٨- إن النحل يعيش في النور ولا يعمل إلا في النهار فهو مبصر وهو بلون النور أما النمل فهو ضعيف البصر حيث يستخدم الشم للوصول إلى الأماكن التي يريدها وهو يعمل ليلاً ونهاراً ولونه بلون الظلام .

---

[٦٢]- الزمر ٧١
[٦٣]- الزمر٧٣

٩- إن النحل معطي ومنتج فهو يعطي طعامه للناس بكل رحابة صدر حتى لو أخذ منه كل ما يملك من الطعام فهو متوكل على الله غاية التوكل على خلاف النمل الذي نراه يحمّل نفسه فوق طاقتها فهو يحمل أضعاف وزنه من الطعام وذلك لسوء ظنه بالله تعالى، وهو يعمل لنفسه فقط ولا يسمح لأحد ان يأخذ من طعامه وكذلك حمله للأشياء على ظهره مثله بهذا العمل مثل الكافر الذي يحمل أوزاره على ظهره يوم القيامة .

إن المؤمن كريم ومتوكل ويكون كالشمعة التي تحترق لتضيء طريق الآخرين خلاف الكافر الطماع الجشع السيئ الظن بالله تعالى والذي يقضي حياته من أجل نفسه وفي النهاية يخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

١٠- يعتبر النمل العدو الأول للنحل كما يقر بذلك أكثر الباحثين في مجال تربية خلايا النحل ويستعد النحل لمواجهة النمل بكل طاقاته وأعداده الموجودة في الخلية فيطرد النمل من الخلية بعد معارك يقتل فيها الكثير من الطرفين وغالباً ما يتغلب النحل على النمل في المواجهة إلا في أوقات ضعف الخلية بسبب نقص أعدادها وإذا كانت الخلية بدون يعسوب أي في حالة موت أو غياب اليعسوب فتكن الخلية ضعيفة نسبياً بسبب فقدان القائد، ونشاهد مثل هذا الشيء تماماً عند المؤمنين فإنهم إذا قاتلوا بوجود الإمام فإنهم يغلبون ومثال ذلك النصر الذي تحقق تباعاً للمسلمين حينما كان بينهم رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهم)، بينما نرى ضعف المسلمين إذا ما غاب عنهم الإمام فيكونون عرضة لنائبات الدهر ونعني بالمسلمين هنا هم الباقون على الاقتداء بنهج أهل البيت الذين يكونون مستضعفين حتى يأتي إمامهم فيخرجهم من هذا الحال.

١١- إن مجموع الخلايا في مخّ النحلة يساوي (٩٠٠) خليةٍ بالرغم من صغر رأس النحلة كما أن هذا العدد يشير إلى أن النحل يتمتع بذكاء عالي وذلك واضح في تصرفاته وطريقة عيشه في الخلية .

أما مجموع الخلايا في مخ النملة فهو (١٥٠) خلية فقط وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تسافل مستوى ذكاء النمل عن مستوى ذكاء النحل الذي يفوقه بستة أضعاف .

وهذا يدل على أن المؤمن هو صاحب العقل فقد مدح الله تعالى المؤمنين لأن لهم عقولاً يتقون الله ويحذرونه من خلالها قال تعالى: **{وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }** وكذلك قوله تعالى: **{ان فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ }**.

أما الكافر فان الله قد وبخه لفقدانه التفكير بقوله تعالى: **{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ}**.

١٢- إن ملكة النمل منفردة في سلطة المستعمرة وتعيش في ترف ولها خادمات يجلبن لها الطعام وينظفن جسمها من حين لآخر على عكس مملكة النحل فإن الملكة تعمل ليل نهار في خلية النحل، كما أثبتت التجارب العلمية أن ملكة النحل غير منفردة بإصدار الأوامر في الخلية فإنها تعتمد على خبرة الشغالات الكبيرات في الخلية فتقوم من حين لآخر بالمشورة لاتخاذ القرارات اللازمة كهجرة النحل من مكان لآخر وغيرها من الأمور المصيرية بالنسبة لحياة الخلية ككل .

وهذا ما نجده عند يعسوب الدين فهو يعيش في وسط أصحابه كأحدهم ولا يتميز عنهم ولا يتكبر بل هو من يقوم بخدمتهم وكذلك يستشير أصحابه في الكثير من الأمور وخير دليل استشارة الرسول لأصحابه في معركة الخندق فأشار عليه سلمان المحمدي بحفر الخندق .

أما السلاطين المتكبرين الذين يتسلطون على الرقاب فإنهم لا يعبئون برأي أحد ويكونون منفردين برأيهم ويقتلون كل من يعارضهم ، وكذلك يعيشون حياة الترف والبذخ ويكونون في جو مليء بالخدم والحاشية مثل ملكة النمل .

١٣- إن أعداد النمل تفوق بكثير أعداد النحل على سطح الكرة الأرضية حيث يوجد النمل تقريباً في كل متر مربع على سطح الأرض فهو يغزو البيئات الطبيعية والزراعية والحضرية ويمثل ثلث الحيوانات الموجودة في التربة.

وهذه الأعداد إذا ما قارناها بأعداد النحل فان أعداد النحل سوف تكون قليلة جداً ، فقد أكد القرآن والروايات الشريفة بأن الخير دائماً أقل من الشر على مر العصور والأزمنة القديمة والحديثة، وأن أهل الباطل كثيرون وكثيرون جداً في قبال جهة الحق وكما ورد في دعاء الافتتاح المروي عن لسان يعسوب الدين الإمام المهدي (عليه السلام) قائلاً : **(اَللّـهُمَّ انا نَشْكُو اِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وَقِلَّةَ عَدَدِنا)**.

وكما جاء في الرواية الواردة عن هشام بن الحكم عن أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام)في حديث طويل إلى أن قال له الإمام (عليه السلام):**(يَا هِشَامُ ثُمَّ ذَمَّ اللَّهُ الْكَثْرَةَ فَقَالَ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّموات وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ وَقَالَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ يَا هِشَامُ ثُمَّ مَدَحَ الْقِلَّةَ فَقَالَ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ وَقَالَ وَقَلِيلٌ ما هُمْ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا ان يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَالَ وَما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَالَ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ وَقَالَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ وَقَالَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يَا هِشَامُ ثُمَّ ذَكَرَ**

أُولِي الْأَلْبَابِ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ وَحَلَّاهُمْ بِأَحْسَنِ الْحِلْيَةِ فَقَالَ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ)[٦٤].

مثل الذباب في القرآن

[٦٤]- الكافي ج : ١ ص : ١٥

الذباب يمثل المنافقين من بني البشر

بعد أن تعرفنا في البحث السابق على النحل والنمل وقلنا بأن النحل ويعسوبهُ له صفات مشابهة لصفات المؤمنين ويعسوبهم الإمام المهدي (عليه السلام) وإن النمل وملكته له من الصفات ما هو مشابه لصفات الكفار وقائدهم إبليس عليه اللعنة، وذكرنا أيضاً بأن الله تعالى لم يترك شيء من الأشياء لم يتحدث عنه في كتابه المنزل، فوبخ ومدح بعض الحيوانات في عدة مواضع في كتابه ولكن المقصود منها هو الإنسان (المشابه سلوكه لذلك الحيوان) وهو بذلك أما عاصياً لله ومخالفاً لأوامره أو عبداً قد رضي الله عنه وعن أفعاله.

وبعد أن تبين لنا من النحل والنمل ما تبين ، سنتحدث الآن عن مخلوق آخر يحاول أن يتصف ببعض صفات النحل التي فيه ولكن صفات النمل التي يحملها تمنعه من ذلك هذا المخلوق الذي ضل متذبذب بين ما يحمل من صفات وهو الذباب الذي يمثل المنافقين على حسب التأويل .

إن لفظ الذباب لغةً جاء من الذب والتذبذب، وقد قال صاحب مجمع البيان :(ذبذبته أي حركته فتحرك فهو كتحريك شيء معلق) فكون الشيء مذبذباً أن يتردد بين جانبين من غير تعلق بشيء منهما، وهذه هي صفة المنافقين بعينها فهم يتذبذبون بين الإيمان والكفر فلاهم إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين، وبسبب تذبذبهم وترددهم بين الجانبين من غير تعلق بأحدهم فإن الله تعالى أضلهم عن السبيل فلا سبيل لهم يرجونه، قال تعالى مشيراً إلى تذبذب المنافقين في كتابة قائلاً: { **الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا* إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا* مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً** }[٦٥].

وقد ذكر بعض المفسرون أن معنى مذبذبين أي مطرودين من هؤلاء ومن هؤلاء ، وهي من الذب والذب هو الطرد، وقد نعتهم سبحانه بالحيرة في دينهم وأنهم لا يرجعون إلى صحة نية لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع الكافرين على جهالة .

---

[٦٥]- النساء ١٤١- ١٤٣

وقد وصف رسول الله (ﷺ) حال المنافق قائلاً : **(مثل المؤمن والمنافق والكافر كمثل رهط ثلاثة وقعوا إلى نهر، فوقع المؤمن فقطع، ثم وقع المنافق حتى إذا كاد أن يصل إلى المؤمن ناداه الكافر أن هلم إلي فاني أخشى عليك، وناداه المؤمن أن هلم إلي فان عندي وعندي يحظى له ما عنده، فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى عليه أذى فغرقه، وان المنافق لم يزل في شك وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك)** [٦٦].

وعنه (ﷺ) : **(مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة لا تدري أيهما تتبع)**[٦٧].

ومما تقدم يحصل لدينا ترابطاً واضحاً بين لفظ (الذباب) ووصف المنافقين بقوله:(مذبذبين) ، وهذا الترابط يكون بأفعال الذباب والمنافقين أيضاً، فالذباب يحاول جاهداً أن يتمثل في النحل (المؤمنين) ظاهراً وذلك من خلال بعض صفات النحل التي يحملها، وبهذا يشابه فعل المنافق الذي يمثل الإيمان ظاهراً وهو غير مؤمن أصلاً، وأن للذباب صفات مشابهة لصفات النمل (الكافرين) كما سيأتي بيانه من جهة أخرى .

إن للذباب صفات غير مشابهة للنحل ولا للنمل كما هو حال المنافقين فان الذي يحمل صفات مزدوجة لا بد وبمرور الوقت أن تتولد لديه صفات أخرى نتيجة ازدواجية تصرفاته .

وقبل أن نشرع في بيان نقاط المقارنة بين النحل والنمل من جهة والذباب من جهة أخرى يتوجب علينا دراسة حياة ومعيشة هذا المخلوق عن طريق معرفة ما قاله وما كتبه الباحثون المتخصصون في مجال الحشرات عند دراستهم لهذا المخلوق والتجارب التي اجريت عليه .

كُتب في الذباب بأنه من المخلوقات الصغيرة التي تمتلك قدرات عجيبة لا تملكها الكثير من الحشرات، وبذلك يقول الباحثون أن الذباب "يشابه في صفاته مخلوقات أخرى كالنمل والنحل"

ويذكر المختصين أيضاً بأن هناك مائة ألف نوع من الذباب في العالم، تعيش عشرة أنواع منها فقط في المنازل، كما أن الذباب يعيش حياة قصيرة لا تتعدى ستين يوماً.

---

[٦٦]- ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ - ص ٢٨٣١

لقد كشفت دراسة علمية مؤخراً أن الذباب يتميز بذكاء حاد ويخطط مسبقاً لتحركاته ، كما بينت دراسة جديدة نشرت في مجلة علمية متخصصة تثبت ذكاء هذا المخلوق.

وقد قام مجموعة من المختصين في معهد التكنولوجيا في جامعة كاليفورنيا "Caltech" بتجربة حيث قاموا بتصوير اختباراتهم التي استخدموا فيها ذباب ومضرب لمحاولة إصابتها واكتشفوا أن الذباب يقوم باحتساب موقع الخطر الذي يهدده بسرعة فائقة ويضع لذلك خطة للإفلات.

وعلق المختصون على نتيجة تجربتهم هذه قائلين إن الذباب يحدد خلال ١٠٠ مليون جزء من الثانية موقع الخطر الذي يمثله المضرب ويمكنه بالتالي تحريك جسمه ويجعله في وضعية معينة تسمح له بإنقاذه من الضربة الموجهة إليه.

وقال البروفسور مايكل ديكينسن كبير فريق العلماء الذي وضع الدراسة أن الاختبارات تظهر السرعة الفائقة التي يعمل بها دماغ الذباب عند تمرير المعلومات الحسية إليه.

وأضاف ديكينسن "ووجدنا أيضاً أنه عندما تخطط الحشرة لنقلتها التالية قبل التحليق، فإنها تأخذ في الحسبان وضعيتها في اللحظة التي تشعر فيه بالخطر الذي يهددها.

وكذلك كشف العلم الحديث العديد من الخصائص التي يتمتع بها الذباب عن غيره من الحشرات فمثلاً يمكن أن تسير الذبابة بسهولة على الأسطح المائلة والمستقيمة على حداً سواء أو تقف ثابتة أيضاً على السقف أو الأرضيات لمدة ساعات فأقدامها مجهزة للوقوف على الزجاج والجدران والسقوف، إن الوسائد الماصة الموجودة على أقدامها تؤمن وقوفاً مناسباً على السطح، وتزداد قوة هذه الوسائد بإفراز سائل خاص.
إن هذه الصفات الخاصة بالذباب وطريقة سيره في أي مكان سواءً كان مستقيم أو متعرج أو يكون سقفاً أو أرضاً له صفات مزدوجة بين صفات النحل الذي يسير بخطوط مستقيمة وبين صفات النمل الذي يسير بطريقة متعرجة.
ان هذا الازدواج لها من صفات المنافقين حقاً فإنهم يجالسون من هم على الصراط المستقيم متشبهين بهم ظاهراً ولكنهم ليسوا منهم عند الله وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ومن المعروف أن الشياطين تسلك الطرق الملتوية لإضلال الناس قال تعالى في وصف المنافقين وفضح سرائرهم **{وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ انا مَعَكُمْ انمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ }**[٦٨].

---

[٦٨]- البقرة١٤

لقد قام العلماء حديثاً بإقامة مختبرات خاصة لدراسة الذباب وكان دافعهم لهذه الدراسة أنهم وجدوا أن الذباب يحمل على جسمه كميات ضخمة من الفيروسات والبكتيريا القاتلة وعلى الرغم من ذلك لا يتأثر بها !!

فقالوا: كيف يمكن لهذا المخلوق أن يحمل الأمراض الكثيرة والبكتريا والفيروسات على سطح جسمه ولا يتأثر بها ؟ .

ولدى البحث والتدقيق وجدوا أن هنالك مناطق خاصة في جسم الذباب تحتوي على كميات من المضادات الحيوية ووجدوا أيضا أنها من أكفئ المضادات الحيوية .

ولهذا السبب قامت باحثة استرالية بتجربة وجاءت بالذباب وغمسته بسائل ووجدت بمجرد غمس الذباب تحرر منه مضادات حيوية أو بمعنى آخر مضادة للبكتريا والفيروسات وهذه المضادات تتحرر من جسم الذباب بمجرد غمسه في السائل ، وقالت بالحرف الواحد : اننا نبحث عن مضادات حيوية في مكان لم يكن أحد يتوقعه من قبل وهو الذباب.

وهنالك باحث آخر أيضاً في جامعة طوكيو يقول هذا الباحث وهو البرفسور جون برافو: (إن آخر شيء يتقبله الإنسان أن يرى الذباب في المشافي لعلاج الأمراض) .

وعند رجوعنا للمصادر الاسلامية نجد أن النبي الأكرم (ﷺ) قد سبق هذه الابحاث بأربعة عشر قرنا من الزمن حين تحدث عن هذا الأمر قائلاً : **(إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فيه، فان في أحد جناحيه شفاء، وفي الآخر سماً، وانه يغمس جناحه المسموم في الشراب ولا يغمس الذي فيه الشفاء فاغمسوها لئلا يضركم)**[٦٩].

وقال (ﷺ): **(لولا الذباب الذي يقع في أطعمة الناس من حيث لا يعلمون لأسرع فيهم الجذام)** [٧٠].

وعن محمد بن علي الباقر (عليهم السلام) قال: **(لولا أن الناس يأكلون الذباب من حيث لا يعلمون لجذموا أو قال لجذم عامتهم)**[٧١].

ومما تقدم نستنتج ما يلي أن للذباب جناحين يعمل كل واحد منهما بمفرده أي غير مرتبط بالآخر هذا من ناحية الحركة أما من ناحية ما يحمله جناحي الذباب فقد أثبت العلم الحديث والرسول الكريم وعترته الطاهرة (عليهم السلام) أن الذباب يجتمع فيه النقيضين وهما الداء

---

[٦٩]- مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٦ - ص ٣٢٨

[٧٠]- طب الأئمة - ابن سابور الزيات - ص ١٠٦

[٧١]- ابن سابور الزيات - ص ١٠٦

والدواء وقد خالف الذباب بهذه الصفة المنطق، حيث يقول المنطق باستحالة اجتماع النقيضين.
إن مثل الذباب هذا كمثل المنافق الذي تجتمع فيه الحكمة والظلال، ولعل سائلاً يسأل ويقول كيف للمنافق أن يكون له حكمة؟ نقول نعم إن للمنافق حكمة وقد حثنا أمير المؤمنين (عليه السلام)أن نأخذها منه قال (عليه السلام): **(خذ الحكمة انى كانت، فان الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن)**[٧٢].
وقال (عليه السلام): **(الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق).**
هذا من جانب ومن جانب آخر فقد حذرنا الرسول الكريم (ﷺ) من مكر وحقد الذباب بانه يغمس جناحه المسموم في الشراب ولا يغمس الذي فيه الشفاء وهذا يدل على بغض الذباب لكل الناس سواء كانوا مؤمنين أو كافرين وهذه من صفات المنافقين أيضاً .
اننا حين نقرأ عن تصرفات كل من النحل والنمل والذباب نجد فيها مفارقات جمة تجذب المنتبهين لها ليبحثوا ويتأملوا روعة الخالق من خلال ما أودعه في هذه المخلوقات من أسرار مشيئته وخزائن علمه ولم يخلقها عبثا والعياذ بالله.

بين علي (ع) وعمر بن العاص

ومن صفات الذباب الأخرى هو ما أثبتته التجارب العلمية بأن للذباب حساسات موجودة تحت الأجنحة والرأس تقوم بنقل معلومات الطيران إلى الدماغ، فإذا صادفت الحشرة تياراً هوائياً جديداً أثناء طيرانها، تقوم هذه الحساسات بنقل المعلومات الجديدة في الحال إلى الدماغ، وعلى أساسها تبدأ العضلات بتوجيه الأجنحة بالاتجاه الجديد وبسرعة مذهلة، وبهذه الطريقة تتمكن الذبابة من الكشف عن وجود أي شيء جديد أمامها أو خلفها على حداً سواء يكون خطراً عليها ويكون ذلك بتوليد تيار هوائي إضافي. والهرب إلى مكان آمن في الوقت المناسب وبطريقة بهلوانية عجيبة.
إن هروب الذباب هذا يذكرنا بمواقف عديدة لهروب المنافقين من المواقف الصعبة، وأكثر من ذلك فهم يبتدعون أشياء تذهل عقول السامعين من عظيم مكرهم ودهائهم، ولا يسع المجال لذكر العديد من القصص الدالة على ذلك ولكن نختصر هذه القصص بقصة قد سمعها وقرأها أغلب المسلمين، هذه القصة تخبرنا عن هروب ذبابة من صيادها وكان صيادها يعسوب النحل هذه الذبابة لم تكن ذبابة عادية بل كانت ذبابة بشرية قد هربت من يعسوب الدين في معركة سميت حينها بمعركة صفين، قامت هذه الذبابة حين رأت اليعسوب يتجه نحوها ليقتلها بسرعة وبدهاء مماثل لسرعة ودهاء الذباب قامت بنزع ملابسها وأبدت عورتها لسيد المتعففين لتجعل اليعسوب يغض نظرة عنها لأنها - اي الذبابة- تعلم بان

---

[٧٢]- نهج البلاغة ج ٤ - ص ١٨

اليعسوب متمسك بالوحي المنزل **{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ان اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }**[٧٣] فنجت بفعلتها هذه من سيف اليعسوب ولقبت بعدها بداهية العرب وتناست قول اليعسوب (هيهات لولا التقى لكنت أدهى العرب)[٧٤].
إن تقوى اليعسوب هذه ومخافته من الله جعلت الطامعين بإرثه كثر كطمع الذباب بعسل النحل قال الشاعر :

حتى إذا قبض النبي وأصبحوا
مثل الذباب تلوح حول المطعم
نكثت ببيعتـه رجـــال أســلمت
أفواههم وقـلوبهم لـم تسـلـم
وتداولوهـــــا بينهـم فكانهـــــا
كأس تدور على عطاش حـوم[٣]

مقارنة بين النحل والنمل من جهة وبين الذباب من جهة أخرى

لقد تطرقنا لحياة النحل والنمل وصفاتهما في البحث السابق واستخلصنا ما في صفاتهما من الخير والشر أما الآن فسنجري مقارنة بين أفعال النمل والنحل من جهة والذباب من جهة أخرى لكي يتضح الأمر أكثر وذلك في النقاط الاتية :

أولاً : النحل لديه مملكة وهي غاية في الانضباط والدقة ففيها العمل مقسم بين أفرادها كلاً حسب دوره وهذا أيضاً موجود في مساكن النمل ولكن ليس بانضباط ودقة النحل طبعاً بغض النظر عن نتيجة عمل كلاً منهما، فالنحل الذي يمثل المؤمنين له غايات يعمل لتحقيقها وكذلك النمل الذي يمثل الكافرين له غايات أيضاً يعمل لتحقيقها، أما الذباب فليس له مملكة تذكر وهو فوضوي وعبثي ولا يعمل الا لقوته أي همه بطنه، وهو ليس لديه قائد يقوده كالنحل ولا حتى كالنمل بل هم متناثرين هنا وهناك، وهذه الصفات تنطبق على المنافق، فالمنافقون ليس لديهم كيان يجمعهم أو قائد يقودهم ظاهرياً أما في الواقع فقائدهم إبليس من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وهم ليس لديهم هدف معين أو عقيدة واضحة انما تدفعهم الاهواء ، وهم بارعين في تغير الأمور وتهويل التافه منها والعكس بالعكس وحسب مصالحهم الشخصية .

ثانياً : النحل مفيد ويعمل بجد ونشاط وهدوء فهو ينتج العسل الذي يمثل الحكمة في التأويل الذي (فيه شفاء للناس) ، كما ان النمل أيضاً له عمل خاص به بغض النظر عن نتيجة عمله .

---

[٧٣]- النور ٣٠
[٧٤]- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٨ - ص ٢٤ ، الشخص الذي اظهر عورته في النزال هو عمر بن العاص .

أما الذباب فهو مضر وكسول كما هو حال المنافق فهو كسول ومتقاعس دائماً عن أداء أعماله ومؤثراً على غيره أيضاً وينطبق ذلك في قول رسول الله(ﷺ) حين قال: **(المؤمن قليل الكلام كثير العمل والمنافق كثير الكلام قليل العمل).**

ثالثاً : إن النحل مسالم ولا يعتدي على أحد إلا دفاعاً عن النفس فمثله كمثل المؤمن الذي يشبه النحل فأصوات المؤمنين كدوي النحل، وقيل عن أصحاب الحسين (عليه السلام) في ليلة عاشوراء لهم دوي كدوي النحل، والمؤمن المسلم لا يضر أحداً وقد وضحه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: **(المسلم من سلم الناس من يده ولسانه)** ، أما النمل فإنه يعتدي على الآخرين ويسرق ويكذب وله صفات عديدة أثبتتها التجارب العلمية .

أما الذباب فقد حاول تقليد دوي النحل ولكنه لم يفلح في ذلك فهو ضوضائي وله طنين مزعج ومتطفل على الآخرين .

رابعاً : يمتلك النحل أربعة أجنحة أي زوجان من الأجنحة أما الذباب فلديه زوج واحد من الأجنحة وتسمى علمياً (رتبة ثنائية الأجنحة) وبذلك لا يستطيع الذباب أن يسبق النحل فان سرعته أبطئ بكثير من سرعة النحل .

خامساً : إن النحل يقتات من رحيق الأزهار متنقلاً في روضات الجنات والحدائق، بينما الذباب يقتات على الفضلات والجيف وهو متنقل من قذارة إلى جيفة ليأخذ قوته منها، وكذلك المنافقون الذين يبغون الدنيا ويتركون الآخرة ، هذه الدنيا التي مثلها أمير المؤمنين (عليه السلام) بالجيفة بقوله : **(مثل الدنيا كجيفة اجتمع عليها طلابها)** والذباب يمثل أيضاً المنافقين على مر العصور والقائمين على السلب المادي والمعنوي تجاه عامة الناس، كون الذباب يسلب الشيء من صاحبه ويبتلعه بعد تحويله من مادته إلى مادة ثانية يستطيع امتصاصها - كما ذكرنا آنفا - وقوله تعالى: **{ وَان يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ }**[٧٥] يطابق هذه الصفة لأن الشيء الذي يستحوذ عليه الذباب يحوله إلى مادة أخرى فلا يمكن ارجاعه إلى حالته السابقة، وقد وصف المنافق على لسان الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله : **(قد رضي ببعده عن رحمة الله تعالى لأنه يأتي بأعماله الظاهرة شبيهاً بالشريعة وهو لاه ولاغ وباغ بالقلب عن حقها مستهزئاً فيها)**[٧٦].

سادساً : إن لون النحل هو أصفر كالشمس التي تمثل النور وهو أصفر كالذهب وهو يمثل المؤمن والإيمان فقد قال الشاعر في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام):

---

[٧٥]-.نهج البلاغة ج ٤ - ص ١٨

[٧٦] - مصباح الشريعة ص١٤٤

عليٌ الدر والذهب المصفى

وباقي الناس كلهم تراب

أما الذباب فلونه أسود والسواد هو الظلام عكس النور وهو لباس أهل النار والمنافقين الذين يكون مصيرهم في الدرك الأسفل من النار ، فقد قال تعالى : **{ان الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً }**[٧٧]
وعن أبي بصير عبد الله (عليه السلام) قال : حدثني أبي ، عن جدي ، عن أبيه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : **(فيما علم أصحابه لا تلبسوا السواد فإنه لباس فرعون)**[٧٨].
وسئل الإمام الصادق (عليه السلام)عن الصلاة في القلنسوة السوداء ؟ فقال **: (لا تصل فيها فإنها لباس اهل النار)**[٧٩].

سابعا: النحل دائما ما يكون نظيفاً وطاهراً لأن الخلية لا تقبله إذا كان في بدنه أو أرجله ما يضر الخلية ويصيبها بالعدوى فاللخلية نظاماً يقوم على قوانين يلتزم بها كل العاملين والشغالات بل وحتى الملكة (اليعسوب).

أما الذباب فيكون قذراً دائماً ولا تحكمه قوانين نظافة أو حماية من الأخطار والأمراض والعدوى لأنه دائما مصدراً للعدوى لأنه يعيش على الفضلات والاوساخ والمزابل التي تكون بؤرة للجراثيم وهذا الأمر –أي النظافة وعدمها – في المؤمنين والمنافقين فالمؤمن دائماً ما يسعى للطهارة المادية والمعنوية وهذا ما لا يتوفر في المنافقين الذين لوثتهم الخطايا وأي خطايا اكبر من النفاق الذي هو أشد من الكفر .

ثامنا: يتمتع النحل بطول العمر لأنه يتغذى دائما على ما ينفع الجسم من رحيق الأزهار وكذلك عمله الدؤوب يكون بمثابة التمارين الرياضية فدائما يكون جسمه سليما (العقل السليم بالجسم السليم) على العكس تماما من الذباب فإن عمره قصير وذلك لأن الذباب يقتات على

---

[٧٧] ـ النساء١٤٥

[٧٨] ـ علل الشرائع ـ الشيخ الصدوق ـ ج ٢ ـ ص ٣٤٧

[٧٩] ـ الخلاف للطوسي ج١ ص٥٠٦

الجيف والقذارات ويمتص كل ما هو ليس له أي يسرق من الآخرين غذائهم قال الله تعالى {**وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** }[٨٠].

تاسعاً: الذباب يتجمع على الجثة الميتة والمنافقون يأكلون مال اليتيم بغير حق لأن مال اليتيم أصله مال شخص ميت ، بينما يأكل النحل من رحيق الأزهار في الطبيعة والطبيعة شيء مباح للحيوان والإنسان والحشرات، كما أن المسلم من حقه أن يقتات على الطبيعة لأن الله تعالى قد أباح للإنسان ذلك، بينما الذباب يسلب من الآخرين غذائهم ويعيش على ما تفسخ من الحيوانات وكل هذه الموارد ومصادر القوت التي يعتمد عليها الذباب لو قارناها مع المنافق لوجدنا أن هذه الموارد الكسبية هي حرام شرعا لأن المنافقين في الإسلام دائما ما يعيشون على إمتصاص قوت الآخرين مثل الربا قال الله تعالى : { **وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**}[٨١] وأكل مال اليتيم وغيرها من الموارد الحرام قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** }[٨٢].

عاشراً: دائما ما يحاول المنافقون أن يظهروا بمظهر المسلم أو المؤمن قال تعالى: { **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** } [٨٣].

فالذباب يحاول تقليد النحل في طيرانه ولكنه يختلف عن النحلة التي تحمل الصفات الحميدة فيظهر العبادة والتقوى والورع والنظافة والإيمان ولكن قلبه وما يخفي فيه يكون عكس ذلك تماما، بمعنى أن الهوية الإسلامية التي يظهرها هي الأجنحة التي يطير بها، أما فيما يخص أرجل الذباب التي تنقل العدوى فهي عند المنافق تنطبق حينما ينقل الأمراض العقائدية والنفسية والشكوك والتقلبات والحالة الازدواجية التي يعيشها مع الآخرين وهذه هي العدوى التي ينقلها منه إلى الاخرين: {**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**}[٨٤].

الحادي عشر: يشتهر الذباب بأنه أكبر ناقل للعدوى وأن الشعيرات الموجودة في أرجله هي التي تحمل الجراثيم فتنقلها من المكان المصاب إلى المكان السليم وينقل العدوى أيضا في

---

[٨٠] - الحج ٧٣
[٨١] - النساء ٦٤
[٨٢] - الحج ٧٣
[٨٣] - المنافقون ٤
[٨٤] - التوبة ٤٧

جناحيه وفي بطنه ويخرجها عند البراز وهذا ما يتطابق مع عمل المنافق في نقل الشك والكفر الذي يحمله إلى باقي طبقات المجتمع المسلم السليم فهو يحاول نقل الشكوك والكفر الى المسلمون { **لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** }[٨٥] .

وهذه الصفة أي نقل الأمراض لا تتوفر في النمل والنحل فالمؤمن والكافر قد حدد موقفه ومكانه وأن هذا الموقف معلن يختلف عن المنافق الذي يخفي حقيقة نواياه واعتقاده ليبث الأمراض الروحية والعقائدية بين الناس .

وقد عانى الإسلام من المنافقين في بداية الدعوة الإسلامية آنذاك وقد نزلت سورة في القرآن خاصة بهم تحكي عن حالهم وتحذر الرسول منهم، وتجد أن أكثر سور القرآن قد ذكر فيها المنافقون لما لهؤلاء من ضرر كبير على البيت المسلم الواحد، لأن المنافقين هم عدو غير واضح مثل الكفار حتى تتمكن من قتالهم، فهم يعيشون بين المسلمون ويتخفون وراء الاسلام والصلاة والصيام والحج وغيرها من تعاليم الدين الحنيف، فقد وصل عمل المنافقين في ذلك الزمان الى التآمر لقتل النبي (ﷺ) قال الله تعالى: **{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}**[٨٦] . ورموز الإسلام والتحالف الخفي مع أعداء الإسلام ونقل المعلومات إلى الأعداء وقعودهم عن القتال في ساعات الشدة وليس هذا وحسب بل إنهم كانوا يشكلون عبئا على المسلمون قال تعالى: { **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** }[٨٧] وقال تعالى: { **قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا**}[٨٨]. وفي زمن القحط فإن الإسلام لا يفرق في العطاء بينهم وبين المسلمون المخلصين وهذه الصفة التي أتصف بها الذباب من حيث أخذه ما لا يستحق من الطعام أو سرقته .

---

[٨٥] - التوبة٤٧ ــ ٤٤
[٨٦] - الانفال ٣٠
[٨٧] - التوبة ١٦-
[٨٨] - الاحزاب ١٣

الثاني عشر : إن أعداد كل من النمل والنحل والذباب تمثل أو تقابل تقريبا أعداد الكافرين والمؤمنين والمنافقين فأكثر البشر الذين على وجه الأرض الآن هم من الكافرين فالكافرون يمثلون الديانة المسيحية واليهودية وباقي الديانات الأخرى مثل البوذية والسيخ وغيرهم فهؤلاء يمثلون أغلب سكان الأرض لذلك نجد أن أكثر المخلوقات عدداً في الأرض هي النمل الذي يمثل الكافرين ، والذي يأتي من بعده هو الذباب الذي يمثل ثاني أكبر عدد بين الناس فالنفاق قد كثر في هذا الزمان لأسباب كثيرة منها مدارات المحيط الذي يعيش فيه الفرد أو النفاق من أجل الحصول على المكاسب الدنيوية التي يخسرها الفرد إذا ما أعلن اعتقاده ، لذلك نجد أن الذباب الذي يمثل هؤلاء المنافقون يمثل ثاني أكبر عدد موجود في الطبيعة من المخلوقات ، أما النحل الذي يعتبر أقل من هذين الصنفين بكثير فهو يمثل المؤمنين الذين بدأت أعدادهم بالانحسار مثل النحل، لأننا نعلم بأن آخر الزمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ويبقى المؤمنون الحقيقيون قلائل في هذه الأرض كما هو حال النحل الذي بدأت أعداده بالتقلص بسبب الظروف البيئية والتلوث والمد العمراني .

الذباب والنفاق العام والنفاق القلبي

يقسم النفاق إلى قسمين هما النفاق العام وهو إظهار شيء جميل من معاني الإسلام أو غيره وإخفاء الكفر، ويعمل هذا النوع على إفساد وإضعاف وحدة الصف المسلم بصورة عامة، أما النفاق القلبي وهو مشكلة العصر حيث نجد أن كثيراً من الناس قد وقعوا في هذا النوع من النفاق ويكون هذا النوع مختلفاً عن سابقه فهو لا يكون بين الإنسان والمجتمع المحيط به بل يكون بين الإنسان وقلبه، فهذا الشخص ينافق ويظهر محاسن الأفعال لنفسه حتى يقنع نفسه بأنه مؤمن، ولكن في الحقيقة فإن هذا الشخص ذو قلب أسود يحتوي بداخله على الأمراض الدينية من شك وكفر وجحود قال الله تعالى : **{فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}**[٨٩] .

قد يكون هذا النوع من النفاق غير معروف في أوساط المدارس الأخلاقية الذين صنفوا أنواع الآفات النفسية، وقد يكون هذا الطرح جديداً إلا أنه قد انتشر بين اخوتنا وأخواتنا ممن يعتنق الاسلام وينتحل الإيمان بل وحتى التشيع، وهذا النوع يسيطر على الإنسان ويعشعش في قلبه ليس من جانب الاعتقاد الكلي بمعتقد معين، بل إن صاحب النفاق القلبي يعيش حالة من الشد والجذب والتنافر ما بين النفس وبين طريق الإيمان الخالص، فهذا المنافق الجديد يختلف عن

---

[٨٩] - التوبة ٧٧

ذلك المنافق بالنفاق العام لأنه في الأصل مؤمن بهذا الطريق وهذا الدين ولكن الذي يجعله يتردد بينه وبين الكفر أو الخذلان هو تعلقه بأمر دنيوي آخر او أحد الرذائل المناقضة للإيمان، وهذا الأمر نستطيع أن نتلمسه من خلال ما ورد في وصف الدنيا والآخرة، فالدنيا والآخرة مثلهما كالمشرق والمغرب كلما اقترب من أحدهما ابتعد عن الآخر أو كضرتين ما أرضيت إحداهما إلا غضبت عليك الأخرى.

فهذا المسكين يبقى مترددا بين المشرق والمغرب وبين الحق والباطل وبين الدنيا والآخرة فلا يصل ولا يحصل لا على الخير فيصيبه ولا على الشر فيحرزه ويتمتع به ، فيبقى متخبطاً ومتردداً ومتذبذباً بين الطرفين فيخسر الدنيا والآخرة، فلا هو ركن إلى الدنيا فحصل على ملذاتها ولا هو لجأ إلى الآخرة وأعمالها ففاز بالآخرة وثوابها .

فهو يعيش بين أمرين ويتردد بينهما فتارة تجده مؤمنا بهذا الطريق ومعتقداً به ومخلصا له وهذا الإيمان والاعتقاد يجذبه ويبعده عنه حب الدنيا مثلا والتعلق بها بكل ما تعنية الدنيا من مغريات وزخارف، وتارة تغويه نفسه الأمارة بالسوء وتعرض أمامه مغريات الحيات وزخارف العيش وتمنيه بطول الأمل فيطيع هذا الجانب مرة وذاك أخرى فيصير منافقاً من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر .

والأمر الآخر الذي يتردد فيه الإنسان في النفاق القلبي هو وجود الرذائل النفسية من الحسد والأنا والكبر وغيرها فهذه الرذائل تعترض طريق الإيمان الذي آمن به هذا الشخص وتبقى تلح عليه إلى أن نسقطه من عين الله والعياذ بالله .

وهذا النوع من النفاق أي النفاق القلبي قد يكون أكثر المتأثرون به والواقعون فيه غافلين عن حالهم وما يجري معهم فيعيشون حاملين للمرض العضال الذي يبقى ينخر في جسد إيمانهم إلى أن ينهار هذا الجسد فيخلد الإنسان في النار بعد أن يختم الله لهم بخاتمة السوء جزاءً بما جنت ايديهم ، لذلك فالمؤمن يجب أن يراقب قلبه ولا يدعه ينظر إلى زخارف الدنيا التي ملئت آفات وأخطار فحبها مرض لا علاج له وآفة تطيح بالإنسان وإيمانه.
فقد ورد عن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب قال : **(سئل علي بن الحسين (عليهما السلام) أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل ؟ فقال : ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله (ﷺ) أفضل من بغض الدنيا، وإن لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا، فأول ما عصي الله به الكبر وهي معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، والحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله عز وجل لهما : " كُلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين " فأخذا مالا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه ، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة ، فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا ،**

فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دنيتان : دنيا بلاغ ودنيا ملعونة)[٩٠].

فهذه الأمور التي ذكرها الإمام زين العابدين (عليه السلام) والتي تعتبر فروعاً لحب الدنيا أو أبواباً لها فيجب علينا أحبتي أن نراقب أنفسنا هل يوجد فينا أحد هذه الآفات التي غفلنا عنها ، ثم أنه يجب أن لا نُمني أنفسنا بأن ما نحرص عليه ونسعى له من هذه الآفات والملذات هي للحصول على دنيا البلاغ أي الدنيا التي نبلغ بها الآخرة ولكننا في الواقع قد نكون قد جرَتنا هذه الأماني وصرنا ممن يسعى إلى الدنيا الملعونة دون ان نشعر.

فإذا ما زهد الإنسان في الدنيا وملكها ولم تملكه كان مُحصناً ضد هذه الآفات وتاركاً لها، ومن كان كذلك نجا من الفتن وهداه الله تعالى إلى طريق الحق والصواب وثبته عليه قال الله تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** }[٩١]. فإن هذا الايمان الحقيقي هو الذي من خلاله يهدي الله عباده إلى طريق الحق ويثبتهم عليه.

---

[٩٠] - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ١٣٠ - ١٣١

[٩١] - يونس ٩

مثل العنكبوت في القرآن

مخلوق آخر من مخلوقات الله تعالى الذي كان له نصيب في الأمثال التي ضربها الباري عز وجل لنأخذ منها العِضة والعِبرة، هذا المخلوق العجيب في خلقه والغريب في سلوكه الذي إعتاد على نصب شباكه وشراكه للآخرين ليصطادهم ويأكلهم هذا المخلوق هو العنكبوت وقد سمّى الله تعالى سورة كامل في القرآن على اسمه كحال النمل والنحل، وقد تحدث القرآن عن هذا المخلوق وضرب به مثالاً مهماً في حياتنا سنحيط به ونكشف النقاب عنه إن شاء الله ومن الله نطلب المدد والسداد .

قال الباري عز وجل في سورة العنكبوت: {**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** }[٩٢].

فكما مر في السطور التي سبقت بأن الله تعالى أراد من هذه الأمثال والرموز أن يوصل لنا هذا الإرث دون تلاعب وتحريف فنكتشف ما حولنا من خير وشر بعد أن يأتي اليوم الذي يفك لنا ولي الله جميع الرموز ويعرّفنا بالحق الذي غاب عنا طويلاً فهذه الآيات البينات التي تتحدث عن العنكبوت هي في الحقيقة تحكي لنا عن صنف جديد من البشر الذي اتصف بصفات العنكبوت.

فكما أن النحل يمثل المؤمنين والنمل يمثل الكافرين والذباب يمثل المنافقين فكل ما خلق الله من مخلوقاته التي تدب على الأرض أو تطير في السماء ما هي إلا نماذج مما يعيشه البشر ومما وجد في مجتمعاتنا، فهم أمم أمثالنا كما وصفهم الباري عز وجل قال الله تعالى : {**وَمَا**

---

[٩٢] ـ العنكبوت ٤١-٤٣

مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}[٩٣].

فأي صنف من أصناف البشر سيمثل لنا العنكبوت هذه المرة؟ هذا ما سنتعرف عليه في طيات هذا البحث .

نبذة مختصرة عن العنكبوت

العنكبوت حيوان صغير له ثمانية أرجل ويغزل خيوطا تشبه الحرير، وأكثر ما تشتهر به العناكب هو غزلها لخيوط ا لشراك التي تستخدمها في صيد الحشرات التي تتغذى عليها. ولا تسلم الحشرات حتى الأضخم والأقوى منها من مخاطر شراك العنكبوت فنسيج العنكبوت قوي جداً بل هو أقوى أنواع الخيوط والشباك. ولجميع العناكب أنياب ولمعظمها غدد سامة، حيث تستخدم العناكب الأنياب والغدد في صيد الحيوان لتتغذى عليها .

تتغذى العناكب على الحشرات والجراد والذباب والبعوض والنحل وغيرها من الحشرات المنتشرة في الطبيعة . واناث العناكب أضخم وأقوى من ذكورها وتقوم الأنثى بعد عملية التخصيب بالهجوم على الذكر وأكله إلا في حالات معينة يكون للذكر استراتيجية خاصة يقوم من خلالها بالفرار من الانثى بعد عملية التخصيب وذلك أما بأن يحضر لها فريسة لإلهائها أو أن يخدرها بسمه لفترة إلى أن يكمل التخصيب وكل هذه الطرق قد لا تنجح مع الأنثى المتغطرسة التي تلتهم الذكر بمجرد إنتهاء عملية التخصيب .

تعيش العناكب في أي مكان يتوافر فيه غذاؤها، فنجدها في الحقول، والمنازل، والغابات، والكهوف ، والمستنقعات والصحاري ولا تخلوا بقعة من الأرض من هذه العناكب ومصائدها. ويوجد منها في الطبيعة ما يقرب من ٣٠.٠٠٠ نوع ، وهي تتفاوت في أحجامها، فمنها ما هو بحجم رأس الدبوس، ومنها ما يصل طوله مع امتداد أطرافه الى ما يقرب من ٢٥ سم .

وقد يكون جسم العنكبوت قصيراً وسميناً أو طويلاً ونحيفاً أو مستديراً أو بيضاوياً أو منبسط الشكل. وقد تكون أرجل العناكب قصيرة وغليظة، أو طويلة ونحيفة. وليس للعناكب عظم، وإنما زودها الله بجسم صلب واق، ويغطي أجسام العناكب الشعر والهدب والأشواك. ويتكون جسم العنكبوت من جزئين أساسيين هما

---

[٩٣] - الأنعام ٣٨

١- رأس صدري مكون من الرأس الملتحم مع الصدر.
٢- البطن، وكل من الجزئين له زوائد، ويرتبط الرأس الصدري مع البطن بخاصرة دقيقة تسمى السويقة.

توجد عيون العنكبوت في الجزء العلوي القريب من الرأس. ويتفاوت حجم وعدد وموقع العيون في العناكب من نوع لآخر. ولمعظم أنواع العناكب ثماني عيون تنتظم في صفين في كل منها أربع عيون، وتوجد أنواع أخرى لها عينان أو أربع أو ستة عيون، ومنها ما هو ضعيف البصر مثل العناكب الناسجة للخيوط، ومنها ما هو قوي الابصار مثل العناكب الصيادة، وتوجد فتحة الفم تحت العيون مباشرة، ولا تمتلك العناكب أجزاء فم ماضغة بل تتغذى بالسوائل فقط، وتشكل الزوائد المتعددة الماصة القصيرة التي توجد حول الفم يستطيع العنكبوت من خلالها امتصاص سوائل جسم ضحيته.
وللعناكب زوج من القرون الكلابية يستخدمها في الإمساك بالفريسة، وينتهي كل قرن كلابي بمخلب حاد أجوف صلب ومدبب بمثابة الأنياب للعنكبوت، وتوجد فتحة على رأس كل ناب ترتبط بغدد السم، الذي ينساب في جسم الفريسة عند اللدغ فيشلها أو يقتلها . ويكون لها أربعة أزواج من الأرجل متصلة مع الرأس الصدري وتتكون كل رجل من سبع مفاصل، وينتهي المفصل الأخير في كثير من العناكب بمخلبين أو ثلاثة تحيط بها وسادة من الشعر تسمى المقشة الشعرية الصغيرة وهي تساعد العنكبوت على التعلق بالأسطح الناعمة، وعلى المشي على الأسقف والجدران.

ويعتبر بيت العنكبوت من أوهن البيوت وشبكته التي ينسجها في الهواء لا تحميه من الاغتيال ومع ذلك صارت مثالاً للتوغل وربما التوحش عندما يقال لقد انتشر انتشارا عنكبوتياً .

وللعنكبوت أصناف كثيرة ولكل صنف فعل عجيب، فمنها الطويل الأرجل فإنها حينما عرفت ضعف قوائمها وأنها تعجز عن الصيد أعدت للصيد مصائداً وحبالاً من الخيوط فعمدت إلى فرجة بين حائطين متقاربين والقت لعابها الذي هو خيطها ليلتصق به ثم يعدو إلى الجانب الآخر ويحكم الخيط في الطريق الآخر وهكذا ثانياً وثالثاً وهذا هو السدى ، ثم يحكم لحمته حتى يتم النسيج ، كل ذلك في تناسب هندسي حتى يكتمل النسيج ، ثم يقعد في زاوية مترصدا وقوع صيد فيها من الذباب أو النحل بادر إلى أخذه .

ويعتبر العنكبوت من أكثر الحيوانات دهاءاً وحيلةً حتى قالوا: أغزل من عنكبوت.

أما ما كشف عنه من ضعف البنية الإجتماعية في بيوت الحياة للحيوانات الراقية ، فلا تجد

في عالم العنكبوت سوى الأنثى تطيح برأس زوجها أو صغارها تهجر مواطن أهلها إلى غير ذلك من مظاهر التفكك وعدم الترابط.

ويتجلى الإعجاز العلمي في التعبير القرآني عن الفعل بصيغة المؤنث في كلمة (اتخذت) ، وهي إشارة في غاية الدقة للدلالة على أن الأنثى ـ و ليس الذكر ـ هي التي تقوم بصنع نسيج البيت ، وكذلك الإشارة إلى ظاهرة التفكك الأسري في بيت العنكبوت في أن العنكبوت الأم تقوم بقتل زوجها بعد التلقيح مباشرة وكذلك يهجر صغار العناكب أعشاشها في سن مبكرة ، وهو ما كشف عنه العلم الحديث بالنسبة لغالبية أنواع العناكب .

وتوجد عدة أنواع من الحيوانات التي تفترس العناكب من بينها أنواع أخرى من العناكب وهذه تهاجم العناكب المختبئة في قعر بيوتها وبعد أن تعضها تمتصها وتتركها جافة . وتسطو على العناكب أنواع مختلفة من الزنابير ، تحملها بعد الفتك بها وتطعم بها يرقاناتها . بينما يقوم نوع آخر من الزنابير بوضع بيوضه في جوف العنكبوت بعد أن يكون قد شلها بلسعه منه.

من هم العناكب في عصر الظهور

للوقوف على حقيقة ما يمثله العنكبوت هذا المخلوق العجيب يجب علينا أن نتخلى عما وجدنا عليه آبائنا من مفاهيم أوهمنا بها البعض فصارت من مقومات الإسلام والإسلام منها بريء بل الحق أن بعض ما ترسخ في أذهان الأمة وصار مقدساً هو السبب الحقيقي في تفرقة الأمة وضلالها .

إن البقاء على التقليد الأعمى للفقهاء جعل من هذه الأمة أمة خانعة جاهلة بما يحيط بها ولا ترى إلا ما يراه رجل الدين وإن كان مخالف لشريعة رب العالمين ، فغيبت العقول وهجر المنقول وصار الرجوع الى عقل واحد ليتحكم بمقدرات ومعتقدات الناس ، وما هي النتيجة بطبيعة الحال فإن النتيجة لن نقولها لأن الناس قد لمسوها وعاشوها وعانوا من ويلاتها وقدموا الأموال والأعراض والأرواح ضريبة لهذه الطاعة العمياء وأكثر من ذلك كانت الخسائر قد تعدت كل ذلك وفاقت كل النكبات هذه الخسارة هي خسارة الإنسان لدينه والانحراف عن الصراط القويم الذي رسمه لنا محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

أحبتي إن الفكرة التي نحن بصدد توضيحها ستتعرفون من خلالها على المصداق الحقيقي الذي يمثل العناكب في عصر الظهور لقوله تعالى: { **أمم امثالكم** } وسيتم هذا الربط كما لاحظتم في مبحث النمل والنحل والذباب من خلال الآيات القرآنية التي وضع فيها الباري عز وجل الرموز والعلامات لنستدل بها على هذه الأمثال .

قال الله عز وجل : **{وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ* إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }**[٩٤].

للوقوف على حقيقة ما يمثل العناكب في عصر الظهور علينا ان نتمعن في الآيات التي تحدثت عن هذا المثل القرآني البليغ حتى نصل الى حقيقة الأمر . فقوله تعالى: { **وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ}** .

إن هذه الآية ارتبطت بسلسلة الآيات التي تتحدث عن مثل العنكبوت في القرآن ونستطيع من خلالها أن نعرف أن هؤلاء الاشخاص الذين يمثلون العناكب يشبهون قارون من ناحية التسلط وكثرة الأموال، ويشبهون فرعون لادعائه الربوبية وهامان لإعانة الظلمة والطواغيت على ظلم المستضعفين، وهؤلاء سيكون لهم صفة التكبر على المصلح العالمي الذي يرسله الله تعالى في آخر الزمان وهو الإمام المهدي (عليه السلام) الذي هو شبيه موسى (عليه السلام) فالآية تقول: { **وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ}** فقد ورد في صفة الإمام المهدي أنه شبيه موسى (عليه السلام).

فقد ورد عن الحسن بن محبوب عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: **(بأبي وأمي سمي جدي شبيهي وشبيه موسى بن عمران (عليه السلام) عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس كم من حرى مؤمنة وكم مؤمن متأسف حيران حزين عند فقدان الماء المعين كأني بهم آيس ما كانوا قد نودوا نداء يسمع من بعد كما يسمع من قرب يكون رحمة على المؤمنين وعذابا على الكافرين)** [٩٥]

وهؤلاء الذين سيقفون بوجه الإمام المهدي (عليه السلام) سيدّعون مقام الربوبية ولا أعني أنهم يدعون أنهم الخالقين بل إنهم سيدعون أنهم هم قادة الأمة وأولياء نعمتها ومربوها فكلمة الرب يمكن أن تطلق على المربي وولي الأمر لقوله تعالى: **{ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا }** عن صياح المدائني قال: حدثنا المفضل بن عمر أنه سمع أبا عبد الله (عليه السلام) يقول في قوله: **(وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا (قال: رب الأرض يعني إمام الأرض: قلت: فإذا خرج**

---

[٩٤] - العنكبوت ٣٩-٤٣

[٩٥] - عيون أخبار الرضا (عليه السلام)- الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٩ - ١٠

يكون ماذا؟ قال: اذاً يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزون بنور الإمام)[٩٦] .

فالمهدي هو رب الأرض وهؤلاء سيستولون على مقامه ولن يرضوا بالنذر والبينات التي سيأتيهم بها موسى آخر الزمان وهؤلاء سيكون لهم أموال طائلة مثلما كان لقارون: { **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** }[٩٧] وكذلك سيكون لهم يد في التعاون مع الظلمة والطواغيت في آخر الزمان وهو تعاونهم مع الدولة الحاكمة في عاصمة الإمام المهدي العراق ألا وهي دولة بني العباس الثانية التي سيقضي عليها جيش السفياني وجيش وزير الامام المهدي.

فقد ورد في الملاحم والفتن لأبن طاووس: **(تخرج لبني العباس رايتان : احدها اولها نصر واخرها وزر لا تنصروها لا نصرها الله والاخرى اولها وزر واخرها كفر لا تنصروها لا نصرها الله)**[٩٨].

وجاء في الرواية الواردة عن الإمام الباقر (عليه السلام) إنه قال: **(إذا أختلف بنو فلان فيما بينهم، فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا كان ذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة وخرج السفياني)**[٩٩].
وعن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر (عليه السلام)قال:
(لابد أن يملك بني العباس، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم خرج عليهم الخراساني والسفياني هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من هاهنا وهذا من هاهنا حتى يكون هلاكهم على أيديهما، أما أنهما لا يبقون منهم أحداً أبداً)[١٠٠].

أما قول الله تعالى: { **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا**

---

[٩٦] - تفسير القمي ج٢ ص٢٥٣
[٩٧] - القصص ٧٦
[٩٨] - الملاحم والفتن لأبن طاووس ص٨٩
[٩٩] – روضة الكافي.ص١٧٧

[١٠٠] – غيبة النعماني.ص٢٥٩

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[١٠١] ففيه إشارة إلى تعدد أنواع البلاء والعذاب الذي سيهلك الله بها هؤلاء القوم فمنهم من يقتل بالفتن من خلال طوفان الفتن التي ستحصل والتي لن ينجو منها إلا من ركب سفينة الإمام المهدي (عليه السلام).

عن أبي عبد الله (عليه السلام) في كلام طويل جاء فيه **(.. ثم يسير المهدي (عليه السلام) إلى الكوفة وينزل ما بين الكوفة والنجف - إلى أن قال - ولينزلن بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله ولا يكون طوفان أهلها إلا بالسيف ...)** [١٠٢]- وفي هذه الرواية دليل واضح على وجود طوفان من الفتن في زمن الإمام المهدي (عليه السلام) .

وعن رسول الله (ﷺ) انه قال: **(يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له المهدي يكون عطائه هنيئاً)** [١٠٣]

فهذه الفتن ستكون منوعة ومتعددة يهلك فيها خلق كثير وينتشر القتل كانتشار النار في الهشيم.

ثم قال عز من قائل : { **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**}.

وهنا أكد الباري عز وجل على أن الناس اتخذوا هؤلاء الزعماء وكبار القوم أولياء بعد أن استولوا على مقام ولي الله الإمام المهدي (عليه السلام) وادعوا انهم أولياء لله تعالى فاتخذهم الناس أولياء وصدقوا بهذه الكذبة، وكان الناس يظنون أنهم بفعلتهم هذه قد اتخذوا بيتا حقيقياً محصناً يحرسهم من آفات الزمان العقائدية والاجتماعية ولكنهم في الحقيقة قد التجأوا الى بيت وهن، وهؤلاء الذين بنوا للناس بيوتا لم تكن هذه البيوت هي التي أراد الله أن يلجأ إليها لأن البيوت الحقيقية هي بيوت النحل وليس نسيج العنكبوت.

لذلك فالذي لا يتخذ من أهل البيت (عليهم السلام) ويعسوب الدين قائداً وملجأ فإنه سيقع في مصائد العنكبوت التي هي اوهن البيوت من ناحية عدم حماية ساكنيها ومن لجأ إليها، بل هي في الحقيقة بيوت مميتة تهلك وتميت إيمان من يريد الفرار بدينه إليها .

أما قوله تبارك وتعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }**.

---

[١٠١] -العنكبوت ٤٠
[١٠٢] - بحار الانوار ج ٥٣ ص١٥
[١٠٣] - بحار الانوار ج٥١ ص٨٢

إن هذه الآية تشير بوضوح إلى أن الله تعالى ضرب للناس الأمثال التي فيها عضة وعبرة ولكن لن يعقل ويفهم هذه الأمثال جميع الناس بل إن العالمون هم من سيفهمون هذه الأمثال ويوضحوها للناس والعالمون هم محمد وآل محمد وكما وضح ذلك الإمام علي (عليه السلام) في كلام له (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي قال كميل بن زياد : **(أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأخرجني إلى الجبان ، فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال : يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها . فاحفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة : فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق)**[١٠٤]

وهذه الأمثال التي نطرحها لكم حول النحل والنمل والذباب والعنكبوت والحمار لم يتم التطرق إليها قبل هذا الوقت إلى أن جاء السيد أبي عبد الله الحسين القحطاني وبينها للناس بعد أن أفاض بهذه التأويلات عليه الإمام المهدي (عليه السلام) لكي يعِي الناس طريق الحق ويهجروا طريق الباطل، فلو أن مثل العنكبوت وبيته الوهن كان المقصود به هو المعنى الظاهري لما احتاج أن يكون هذا المثل مجهولا وغير معقولا للناس فالجميع يعلم أن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت ولا يحتاج إلى صنف خاص من الناس يكونون هم من يعقل هذا الأمر .

فقهاء السوء هم عناكب عصر الظهور

بعد أن أشرنا إلى المعنى المقصود من هذا المثل القرآني البليغ وهو أن الفقهاء وعلماء السوء يمثلون العنكبوت الذي ابتليت به الأمة . سنقوم هنا بعون الله تعالى بمقارنة بين العنكبوت وعلماء السوء وسنثبت من خلال هذه المقارنة انطباق صفات العنكبوت مع صفات المرجع مثلما انطبقت صفات النحل مع المؤمنين وصفات النمل مع الكافرين وصفات الذباب مع المنافقين وستكون هذه المقارنة على شكل نقاط : -

١- يستخدم العنكبوت شبكة خاصة يقوم بتثبيتها بعدة أطراف ليحتوي بها المكان الذي ينصب شباكه فيه ويكون نصب هذه الشبكة من خلال مد الخيوط بين النقاط الرئيسية للشبكة على أطراف المكان ثم ينسج خيوطه بين هذه الخيوط فتتكون الشبكة .

هذه الطريقة تشابه الطريقة التي يستخدمها المرجع في اصطياد الناس الغافلون عما يراد بهم ليستولي على أموال الخمس والزكاة بعدما أقنع الناس بأنه هو من يتوجب دفع هذه الأموال إليه ، فهو يوزع وكلائه في أطراف المدن فيسيطر بذلك على جميع مفاصل البلد فتتكون

---

[١٠٤] - نهج البلاغة - خطب الإمام علي ((عليه السلام)) - ج ٤ - ص ٣٥ - ٣٦

عنده شبكة عنكبوتية كاملة من الوكلاء الذين ينسجون حبالهم وخيوطهم وحيلهم للإيقاع بالناس والاستيلاء على أموال الخمس منهم. وهؤلاء الوكلاء ينتشرون في كل بلاد العالم وهذه الصفة التي شابهت صفة العنكبوت الذي يعيش في كل بقاع الأرض ولا يقتصر وجوده في مكان معين فهو في الصحارى والغابات والهضاب والسهول وفي الأماكن الباردة والحارة والجافة وفي كل مكان مثلما صارت مكاتب العلماء ووكلائهم في كل بقاع الأرض بل وحتى في دول الغرب .

٢- للعناكب زوج من القرون الكلابية يستخدمها للإمساك بالفريسة، وتوجد فتحة على رأس كل ناب ترتبط بغدد السم، الذي ينساب في جسم الفريسة عند اللدغ فيشلها أو يقتلها .

القرون تشير او ترمز إلى العلم، فالفقيه من المؤكد أن لديه علم بغض النظر عن صحته فالفقهاء يتنافسون في الأعلمية فيما بينهم ليفوزوا بالألقاب والمقلدين، وهذه القرون تمتاز بأن فيها السم الذي يقوم بقتل الفريسة أو شل حركتها أي أن العلم الذي يمتلكه الفقهاء يكون علماً ضاراً باطلا يؤدي بالإنسان إلى موت إيمانه وبصيرة قلبه ، فعلم الأصول الذي تعتمد عليه الحوزات العلمية من العلوم الوضعية الباطلة التي أسسها المخالفون والتي يستعمل فيها القياس والاجتهاد والآراء الباطلة. إذن هذه القرون التي وجدت في العنكبوت ترمز للعلم الذي يحمله الفقيه وذلك وفق علم التأويل.

٣- للعنكبوت أربعة أزواج من الأرجل متصلة مع الرأس الصدري وتتكون كل رجل من سبع مفاصل، وينتهي المفصل الأخير في كثير من العناكب بمخلبين أو ثلاثة تحيط بها وسادة من الشعر تسمى المقشة الشعرية الصغيرة وهي تساعد العنكبوت على التعلق بالأسطح الناعمة، وعلى المشي على الأسقف والجدران .
ترمز كثرة الأرجل المتصلة برأس العنكبوت إلى كثر الاعوان والحواشي التي يستعين بها المرجع الفقيه على أموره وقضاء حوائجه والتسلط على الآخرين والوصول إلى غاياته المريضة اينما كانت وبأي مكان وهؤلاء الأعوان غالبا ما يكونون سيئي الخلق فهم لا يعاملون الناس بأسلوب طيب وخاصة المحتاجين منهم ، وقد شاهد جميع من وقف على أبواب المرجعيات كيف تتعامل حواشي الفقهاء مع الفقراء والمساكين حينما يأتون لطلب رغيف العيش فيواجهوهم بالكلام الجارح ، وهذه الأخلاق الذميمة تقابل ما يوجد في تلك الأرجل من مخالب تصيب الفريسة بالجروح القاتلة.

٤- تمتاز العناكب بوجود العيون في أعلى الرأس ويختلف عدد العيون من نوع لآخر وتمتاز الأنواع الناسجة منها بضعف البصر على العكس من الأنواع الصيادة التي لا تصيد باستخدام الشباك فيكون بصرها قوياً .

هذا الفارق في قوة البصر بين العناكب الناسجة والصيادة يذكرنا بوجود علماء وفقهاء على نوعين النوع الأول الناسج وهو يقابل الفقيه الذي يقوم بنصب الوكلاء الذي يجمعون له أموال الخمس ويكون انتشار هؤلاء الوكلاء إنتشاراً عنكبوتيا في المناطق والمجتمعات أما العناكب الصيادة التي لا تستخدم الشباك والتي تكون قليلة جداً قياساً بالعناكب الناسجة ، فهذه تشابه الفقهاء الذين ليس لديهم مقلدون وليس لديهم وكلاء بين الناس.
والصنفين يوجد بينهما فارق مهم وهو قوة البصر، فالبصر يكون ضعيف جداً لدى العناكب الناسجة دون الصيادة فهل تعلمون أحبتي لماذا ؟ إن قوة البصر هنا ترمز وتشير إلى قوة البصيرة، فالفقهاء النساجون أصحاب الوكلاء والمرجعيات الذين يجمعون أموال الخمس يأكلونها دون وجه حق، أي انهم يستولون ويسرقون أموال ليست من حقهم، أي انهم يأكلون الحرام، فأموال الخمس التي استولى عليها الفقهاء هي ملك للإمام المهدي (عليه السلام) وحينما استحلوها صاروا قد اكلوا الحرام.
فقد ورد من خبر أبي الحسن الأسدي عن أبيه المروي عن الاكمال ، قال : **(ورد على توقيع من محمد بن عثمان العمري ابتداء لم يتقدمه سؤال ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من استحل من مالنا درهما إلى أن قال : فقلت : في نفسي إن ذلك في كل من استحل محرما ، فأي فضيلة في ذلك للحجة ، فوالله لقد نظرت بعد ذلك التوقيع فوجدته قد انقلب إلى ما وقع في نفسي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على كل من أكل من مالنا درهما حراما ، قال الخزاعي : وأخرج إلينا أبو علي الأسدي هذا التوقيع حتى نظرنا فيه وقرأناه)**[١٠٥] .

فهذا الأكل الحرام والأموال الحرام التي يأكلها الفقهاء أدت إلى ضعف بصيرتهم وهذا السبب الذي سيجعلهم لا يرون الحق وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة كربلاء حينما قال **(هؤلاء قوم امتلأت بطونهم حراما فطبع على قلوبهم)** .

٥- تسطو على العناكب أنواع مختلفة من الزنابير ، تحملها بعد الفتك بها وتطعم بها يرقاناتها . بينما يقوم نوع آخر من الزنابير بوضع بيوضه في جوف العنكبوت بعد أن يكون قد شلها بلسعة منه لتكبر اليرقانة في جوف العنكبوت إلى أن يكبر ويخرج إلى الحياة . فالزنبور هنا يمثل القوى العظمى المتسلطة وهذه العملية التي يقوم بها الزنبور تذكرنا بما تقوم به القوى

---

[١٠٥] - جواهر الكلام - الشيخ الجواهري - ج ١٦ - ص ١٦٢

المستكبرة من زرع عملائها السريين في داخل الحوزات العلمية ليخرج إلينا من جوف هذه الحوزات التي ينظر اليها الناس بقدسية يخرج منها الزنابير (الأعداء) فيظن الناس أن هؤلاء رجال صالحون ولكنهم في الحقيقة أعداء قد تربوا في أحضان مؤسستنا الدينية لكي يقضوا على الدين وأهل الدين.

٦- إن من أهم ما يمتاز به العنكبوت هو وهن بيته لقول الله تعالى : { **وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ**} وهذا ما تمتاز به المؤسسة الدينة التي يتصور الناس بأنها كيان ضخم وكبير وأنه ملاذهم وملجأهم من عاديات الزمان ومخاطر الآفات التي تعصف بالأديان ، ولكن الناس غفلوا على أن هذه المؤسسة التي لجأوا إليها بنيت من الباطل والخداع والكذب فعلم الأصول الذي يعتبر العمود الفقري للمؤسسة الدينية علم باطل اسسه الشافعي وتبعه الشيباني وهم من أهل السنة الذين يرى علماء الشيعة بأنهم أناس منحرفون عقائدياً، فكيف جاز لهم الأخذ منهم فكل علم لم يصدر من أهل البيت فهو باطل ، يذكر ذلك السيد محمد باقر الصدر – وهو من أعلام الأصوليين – في قوله : ﴿**فإن التأريخ يشير إلى أن علم الأصول ترعرع وازدهر نسبيا في نطاق الفقه السني قبل ترعرعه وازدهاره في نطاقنا الفقهي الإمامي ، حتى إنه يقال : إن علم الأصول على الصعيد السني دخل في دور التصنيف في أواخر القرن الثاني ، إذ ألف في الأصول كل من الشافعي المتوفى سنة ﴿١٨٢﴾ هـ ومحمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ﴿١٨٩﴾ هـ بينما قد لا نجد التصنيف الواسع في علم الأصول على الصعيد الشيعي إلا في أعقاب الغيبة الصغرى أي في مطلع القرن الرابع**﴾[١٠٦].

إن هذا العلم الوضعي الباطل استخدم فيه الكثير من القواعد والأسس التي هدمت الدين وصارت الأمة بسببها مختلفة ومتناحرة حتى أبناء المذهب الواحد الشيعي ترى الخلافات وصلت بينهم في بعض الأحيان إلى التصادم والقتل والقتال ناهيك عن اختلافهم في الفتيا، فلا تجد مجتهدين أو فقيهين متفقين في فتاواهم فهل حكم الله متعدد ام واحد!.

وقد ذم الإمام علي (عليه السلام) هذا الاختلاف الذي وقع بينهم بقوله (**ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً وإلآههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد . أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه . أم نهاهم عنه فعصوه . أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه . أم كانوا شركاء له .**

---

[١٠٦] – المعالم الجديدة للأصول – السيد محمد باقر الصدر – ص٥٤

فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول (ﷺ) عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ فيه تبيان كل شيء وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً﴾ . وإن القرآن ظاهره أنيق . وباطنه عميق . لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به)[١٠٧].

فالقياس والاجتهاد مقابل النص واستعمال العقول في وضع الأحكام وهجر القرآن وعدم الاعتماد عليه في استخراج الحكم الشرعي وغيرها من الأمور هي التي مزقت الدين وكل ذلك بسبب ما يخرج من أولئك العناكب القابعين في دورهم ويرمون شباكهم الواهية على الناس، أما الأدهى من ذلك فهو قولهم (إن اختلاف أمتي رحمة)هذا عندما تسالهم عن الأختلاف الموجود في الفتوى ولا أعلم أي رحمة عندما يختلف المسلمون فبعض الفتاوى يكون المدار فيها بين أمرين في أحدهما ارتكاب المحرم من زنا او ربا او غيرها فنجد الفقهاء مختلفين حتى في مثل هذه المسائل فبعضهم يحلل وبعضهم يحرم فاذا جاء الاثنين أمام رب العزة من أجل الحساب فمن سيكون المذنب ومن هو المحسن وهل ستنجي المسيء المذنب فتوى الفقيه الذي جعله يسقط في الذنب {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**}[١٠٨] . واذا كان اختلاف الفقهاء رحمة فاجتماعهم وتوافقهم نقمة وفق ذلك !!!

فالنتيجة إن اختلاف الفقهاء في الفتوى جعل الناس يرتكبون المعاصي ويقعون في المحرمات كل هذه الأمور الفاسدة والمنحرفة والباطلة هي التي تمثل هذا البيت النخر الوهن الذي تصور الناس ان أهله الذرية المباركة من آل محمد ولكنه في الحقيقة بيت العنكبوت أفلا تعقلون.

٧- إن رجال الدين هؤلاء اتخذهم الناس أولياء بدعوى باطلة لا أساس لها من الصحة باعتبارهم نواب الإمام فقد سرق الفقهاء مقام الإمام المهدي (عليه السلام) والقابه ومنها لقب (ولي أمر المسلمين) فصدق الناس هذا القول واتخذوهم اولياء فانطبقت عليه الآية والمثل قال تعالى: { **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا**}.
فالمراجع الذين اتخذهم الناس أولياء وهم ليسوا في الحقيقة أولياء لله، فصار الناس بسبب ذلك مثلهم كمثل الذي اتخذ بيت العنكبوت بيتا له . فهل يستطيع هؤلاء ان يسكنوا في بيت العنكبوت الوهن الذي لا يقي من الحر ولا البرد ولا الأخطار .

---

[١٠٧] - نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ١ - ص ٥٤ - ٥٥
[١٠٨] - النساء ٨٢

بل إن من يتخذ بيت العنكبوت سكناً له سيكون هالكاً لأن العنكبوت ليس لديه ضوابط ولا مروءة ولا ورع عن فعل أي منكر وقبيح فالعنكبوت يأكل حتى زوجه وفي أفضل حالات العلاقة الزوجية وهي التلاقح، فكيف سيكون حال باقي زوار هذا البيت !
من المؤكد بأنه سيفترس دينهم ويسلبهم أرواح الإيمان . لذلك فقد وبخ الله تعالى هؤلاء الناس باتخاذهم هذا البيت الوهن الذي لم يأمرهم أن يلجؤوا إليه بل أمرهم باللجوء إلى أهل بيت محمد (ﷺ).
عن أبي إسحاق الهمداني قال حدثني أبو المعتمر قال سمعت أبا ذر يقول سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **(إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركب فيها نجى ومن تخلف عنها غرق إنما مثل أهل بيتي فيكم باب حطة من دخله غفر له ومن لم يدخل لم يغفر له فإنها ليست من فئة تبلغ مائة إلى يوم القيمة إلا أنا أعرف ناعقها وسايقها وعلم ذلك عند أهل بيتي يعلمه كبيرهم وصغيرهم)**[١٠٩] قال أبو عبد الله (ع)اياك والرئاسة واياك وان تطأ اعقاب الرجال فقلت جعلت فداك : اما الرئاسه فقد عرفتها واما ان اطا اعقاب الرجال فما ثلثا ما في يدي الا مما وطئت اعقاب الرجال .فقال ليس حيث تذهب . اياك ان تنصب رجل دون الحجة فتصدقه في كل ماقال. بحار الانوار ج/٢ ص٨٣

٨- إن رجال الدين وفقهاء السوء المضلين قد صاروا متكبرين في الأرض بعد أن كانوا مستضعفين ، فاليوم نرى إن المرجع صار ممن تكبّر في الأرض فلا أحد يصل إليه والحرس والحواشي تحيط به والناس يقبلون يديه منحنين كأنهم عبيد عنده، وهذه الأفعال التي لم يكن حتى أهل البيت يقبلوها على أنفسهم ، فصار هؤلاء أكثر الناس أموالاً بعد أن استولوا على أموال الإمام من الخمس ، لذلك فقد شابهوا بهذا الحال قارون وفرعون وهامان قال تعالى في سياق الآيات التي تتحدث عن العنكبوت **{ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ}** فقارون عرف بكثرة الأموال وهو ما يتمتع به المراجع في هذا الزمان، فقد أصبح المرجع تجبى له الأموال من كافة أصقاع الأرض وأصبحوا يتلذذون وحواشيهم بالنعمة والبيوت الفارهة والسيارات الباهضة الثمن فصاروا مثل قارون .

٩- اتخاذ الناس للمراجع أرباباً فالآية الشريفة التي ارتبطت بمثل العنكبوت تتحدث عن فرعون الذي ادعى الربوبية وهذا ما وقع معناه في مسالة التقليد لمراجع الدين . ولا نقصد بذلك أن يعبد أحدهم ويُتخذ إلها بل إن هؤلاء المراجع صار الناس طائعين لهم وهذه الطاعة هي نوع من أنواع الشرك والعبودية لغير الله تعالى:

---

[١٠٩] - بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٣١٧

فعن الحسن بن علي بن يقطين ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : **(من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يؤدي عن الله عز وجل فقد عبد الله وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان)** [١١٠]

وهذه الطاعة المطلقة للفقيه ومرجع التقليد هي عين الطاعة التي ذمها أهل البيت حينما اتبع اليهود والنصارى أحبارهم ورهبانهم حينما أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال، فاختلاف الفقهاء في الفتيا في الحقيقة يشير الى وجود أحكام غير صحيحة فأما أن يكون حكم هذا الفقيه حق أو من خالفه من الفقهاء، لأن حكم الله واحد فلا يمكن أن تكون المسالة حلال وحرام في نفس الوقت، لذلك فقد أشار أهل البيت (عليه السلام) إلى هذا النوع من الربوبية حينما فسروا قوله تعالى: ﴿ **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ** ﴾[١١١].

قال الصادق (عليه السلام): **﴿أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم ، ولكن أحلوا لهم حراما، وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون﴾**[١١٢]

فقد انطبقت صفة اتخاذ المراجع أرباباً مع فرعون الذي ادعى الربوبية والذي قرن ذكره مع ذكر العنكبوت فسبحان من أحكم هذا الترابط بين فرعون أول الزمان وفرعون وفراعنة آخر الزمان من خلال القرآن وأمثال القرآن .

١٠- أما هامان الذي قرن ذكره مع مثل العنكبوت ففيه رمزية إلى إعانة الظالمين والركون إليهم وهو ما تقوم به الحوزات وخاصة في آخر الزمان من الوقوف إلى جنب الحكومات والقادة الظالمين بعد أن حثوا الناس على انتخابهم والوقوف إلى جنبهم على الرغم من أن السلاطين والحكام هم أذناب الاستعمار وعمال الشيطان وظالمي الشعب والناس .

---

[١١٠] - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ - ص ٤٣٤

[١١١] - سورة التوبة آية ٣١

[١١٢] - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٥٣

مثل الحمار في القرآن

مثل الذين حملوا التوراة والإنجيل ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفار فمن هم المعنيون بهذا المثل في ذلك الزمان ومن هم المعنيون به في هذا الزمان هذا ما سيتم الكشف عنه في مثل الحمار في القرآن .

لقد جلس الأحبار والرهبان مجلس الأنبياء وهجروا الكتب السماوية وتعاليم الأنبياء قال تعالى في سورة الجمعة: **{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}**

الآية تحدَّثت عن اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا برسول الله محمّد (ﷺ) رغم أن التوراة والإنجيل بشَّرت به، لكنهم تجاهلوا البشارة، وما كان منهم بعد ظهوره (ﷺ) إلا أن كذبوه وحاربوه مع أنهم كانوا ينتظروه كابرًا عن كابر ، وجيلا بعد جيل .

إن الأحبار والرهبان ومقلديهم كانوا ينتظرون النبي الموعود (ﷺ) ويتوقعون ظهوره ويعرفون علاماته ومكان خروجه وفقاً لما جاء عن التوراة ولكن كان هناك أسباب تحول بينهم وبين أن يوفقوا لتصديقه والالتحاق به ونصرته .

السبب الاول: كان انتظارهم للنبي الموعود مشروط أي كانوا يريدون منه أن يأتي على حسب قواعدهم التي يريدونها لا حسب ما يريد الله سبحانه، وهذا الأمر (الشروط) سقطت فيها كل الأمم التي كانت تنتظر مخلصهم فلوا سلموا لله أمرهم ولم يشترطوا عليه لما كانت عاقبة أمرهم الوقوف ضد الذي كانوا ينتظرون لقرون متعاقبة بل إن الأحبار والرهبان هاجروا من مناطق سكناهم الخصبة إلى الحجاز الأرض المقفرة بحثاً عن الذي بشر به أنبياهم وكتبهم السماوية.

السبب الثاني: تسافل نفوسهم وانحطاط اخلاقهم وانغماسهم في الدنيا فهذه الأمور تجعل الانسان والعياذ بالله يكره الحق كما قال الله سبحانه في كتابه **{ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ}** فالحق والباطل طريقان متعاكسان ولا يمكن أن يجتمعا اطلاقاً، وهذا المرض الذي أصاب الرهبان والأحبار ومقلديهم، فجعلهم يكذبون رسول الله (ﷺ) الذي كانوا ينتظرونه والذي كان يوصي بأمره كبيرهم الى صغيرهم بحتمية ظهوره ، بل إن هذا المرض هو الذي جعلهم يفقدون نعمة ظهور الحجج بين ظهرانيهم ويعيشوا حالة التيه والغيبة فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) حاكياً عن بني اسرائيل كيف أنهم ضجوا الى نبيهم يحيى (عليه السلام) شاكين إليه سبب غياب أكثر أنبيائهم وشدة الطواغيت عليهم قائلاً: **(اشتدت البلوى على بني إسرائيل حتى ولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وترعرع فظهر وله سبع سنين فقام في الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه وذكرهم بأيام الله، وأخبرهم أن محن الصالحين إنما كانت لذنوب بني إسرائيل وأن العاقبة للمتقين)** [١١٣].

فقول الإمام الصادق (عليه السلام)**: (اشتدت البلوى على بني إسرائيل حتى ولد يحيى)** يبين كيف كانت حياتهم قبل قيام النبي يحيى وقوله (عليه السلام) **(وأخبرهم أن محن الصالحين إنما كانت لذنوب بني إسرائيل)** .

فكشف لهم نبيهم يحيى أن سبب الغياب ليس من الله سبحانه لأنه لا يريد الظلم والعذاب لعباده، ولا من الأنبياء لأنهم لا يحبون الظلم ولا يريدون أن يكثر الفساد في الأرض، بل إن النبي يحيى أوضح لهم أن الأنبياء كان غيابهم بسببكم أنتم يا بني إسرائيل فلو كنتم مستعدين لظهور نبيكم وكانت نواياكم صادقة عندما زعمتم أنكم أنصاره ومحبيه وشيعته لما تأخر عنكم بل لما غاب أصلاً.

وهذا الأمر أشار إليه الإمام الصادق (عليه السلام) في رواية اخرى فقد جاء عنه أنه قال: **(أوصى الله تعالى إلى إبراهيم (عليه السلام) أنه سيولد طفل لسارة فقالت {أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ} فأوحى إليها أنها ستلد ويعذب أولادها بردها الكلام عليّ . قال : فلما طال على بني إسرائيل العذاب ضجوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً فأوحى الله إلى موسى وهارون ليخلصهم من**

---

[١١٣] - مكيال المكارم ج١ ص٩٧

فرعون فحط عنهم سبعين ومائة سنة فقال الصادق (عليه السلام) هكذا أنتم لو فعلتم لفرج الله عنا، فأما إذا لم تكونوا فأن الأمر ينتهي إلى منتهاه)[١١٤]

السبب الثالث: جريمة جلوسهم بمجلس الأنبياء وأشار القرآن إلى هذا الأمر بقوله تعالى: **{ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }**[١١٥].

وعن أبي بصير- يعني المرادي - عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : قلت له : **({اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّه } فقال : أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم ، ولكن أحلوا لهم حراماً ، وحرموا عليهم حلالا ، فعبدوهم من حيث لا يشعرون)**[١١٦].

إن الرهبان والأحبار لم يكن لهم ارتباط بالسماء كما كان للأنبياء والرسل فكانوا لا يعرفون حلال الله وحرامه لأنهم هجروا أحكام التوراة وسنن أنبيائهم وكانوا يفتون مقلديهم حسب آراءهم الشخصية البعيد كل البعد شرائع الكتاب وسنن الأنبياء، وما تحليلهم للحرام وتحريمهم للحلال إلا دليلاً على ما نقول، لأن الأنبياء يقولون ما قاله الله لهم فلا يمكن أن يحلوا حراماً او يحرموا حلالاً بسبب اتصالهم الدائم بالسماء، وهذا ما يفتقر إليه فقهاء اليهود والنصارى .

وهنا وصف الله سبحانه التقليد لغير المعصوم بالعبادة أي من قلد في دينه انسانا غير منصوص عليه من قبل الله سبحانه فهو يعبد ذلك الشخص وصار بالنسبة اليه كالصنم البشري الذي يعبد من دون الله سبحانه، لأن المعصوم يؤدي عن الله سبحانه عن طريق الوحي أما غير المعصوم فهو لا يؤدي عن الله ولا يأتيه الوحي بأحكام الله سبحانه فيكون حكمه ظني وفتاواه أقرب للشيطان منها للرحمن، وهذه العبادة أشار إليها الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: **(إياكم والتقليد، فإنه من قلد في دينه هلك" إن الله تعالى يقول: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} فلا والله ما صلوا لهم ولا صاموا، ولكنهم أحلوا لهم حراماً، وحرموا عليهم حلالاً، فقلدوهم في ذلك، فعبدوهم وهم لا يشعرون)**[١١٧].

---

[١١٤] - إلزام الناصب ج ١ ص٤١٥

[١١٥] - التوبة (٣١)

[١١٦] -الكافي ج١ ص٥٣

[١١٧] - تصحيح اعتقادات الإمامية للشيخ المفيد ص٧٣

وقال (عليه السلام): **(من أجاب ناطقا فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله تعالى فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان)** [١١٨]

فالناطق عن الله هو من له اتصال به أو ناقلا عنه، أما من ينطق من خلال الآراء الشخصية والاجتهادات العقلية فمن المستحيل أن يكون نطقاً عن الله لان فتاواهم عبارة عن ظنون لا تغني عن الحق شيئا، وجاء في كتب اليهود والنصارى ما ينهى عن التقليد وعن اتخاذ الرجال وليجة دون الله سبحانه فقد جاء عن النبي عيسى (عليه السلام) بعد ان واجه الرهبان ومقلديهم قائلاً **(وانتم لماذا تتعدون وصية الرب بسبب تقاليدكم)**[١١٩].

فما كان من الرهبان والأحبار إلا أن عصوا الرسول وخالفوا تعاليم الله في كتابه فاستحدثوا ما أسموه أدلة على تقليد غير المعصوم، فقد جاء عن لسان الأنبا شنودة قوله (كل تعليم وصل عن طريق التسليم الرسولي والآبائي غير الكلام الذي ترك لنا كتابة في الكتاب المقدس ، في موضوعات ربما لم تذكر في الكتاب ولكنها لا تتعارض معه في شيء ما)[١٢٠].

في كلام القس اعتراف صريح بأن كتاب الله لم يأمر بتقليد غير الرسل والأنبياء لكن الذي أوجب التقليد هم أسلافه من الرهبان الذين سبقوه أما الله سبحانه وأنبياءه فلم يأمروا النصارى بالتقليد.

فبعد أن أقنعوا مقلديهم أن التقليد واجب وإن لم يقل به الله أو أنبياءه فهو ما تسالم عليه أجدادنا الأقدمون أي فقهاء اليهود والنصارى.

إن تقليد العوام لهؤلاء الفقهاء كانت في تحريم الحلال وتحليل الحرام وهي عبادة لهم من دون اللّه. وذلك لأن الناس جعلوهم شُركاء مع اللّه في الطاعة والتشريع. وتركوا ما أمرهم اللّه به في التوراة والإنجيل ، فهذا السبب الذي جعل عوام اليهود والنصارى يكذبون الموعود محمد (ﷺ) الذي انتظروه قرون طويلة لأن فقهاءهم (الأحبار والرهبان) كذبوا بالموعود لأنه لم يكن منهم اي لم يكن فقيها من فقهاءهم فلزم ذلك ان يوافقهم كل من قلدهم بالتكذيب لأنهم يقلدوهم في كل صغيرة وكبيرة، ولو كان العوام لا يرون أن تقليد هؤلاء واجب لما كذبوا وحاربوا (ﷺ) بل لصدقوه ودخلوا بتصديقه الجنة التي وعدوا بها إن نصروا الموعود .

<u>السبب الرابع</u> : هجرهم ما جاءت به كتب ربهم سبحانه ونبذهم سنن أنبايهم وراء ظهورهم واختراعهم ديناً مبنياً على الآراء والاجتهادات مغايراً لما جاء به أنبياءهم، وهذا ما جعل مقلديهم بعد قرون متعاقبة يرون ما جاء به الموعود (ﷺ) مخالف لما وجدوا عليه آباءهم فكان عندهم دين باطل لأنه مخالف لما عند فقهاءهم، فالفرق كبير بين ما جاء به الموعود وما عند فقهاءهم فلذلك حكموا على كذب الموعود وتكذيب دينه ووصفوه بدين باطل لا يمكن أن يكون هذا دين موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء.

---

[١١٨] - نفس المصدر .
[١١٩] - متي ١٥ : ٤-٦
[١٢٠] - اللاهوت المقارن ج١ ص ٥١ / الطبعة الثانية القاهرة ١٩٩٢

وهذه الحقيقة التي أشار الله سبحانه إليها في كتابه قائلاً **{ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً }**[١٢١].

قال تعالى: **{ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ* آمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }**[١٢٢].

وقال تعالى :{ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

وجاء عن الإمام العسكري (عليه السلام) في تفسير هذه الآيات قوله **(إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علمائهم بالكذب الصراح وبأكل الحرام وبالرشاء وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصنعات وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم وظلموهم من أجلهم. وعرفوهم بأنهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز ان يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله)**[١٢٣].

إن الرهبان والأحبار غيروا وحرفوا دينهم وكتبهم وصنعوا لهم ديناً مخالفاً لما جاءت به رسلهم، وهذا السبب الذي جعلهم لا يوفقوا لنصرة الموعود (ﷺ) عند قيامه لان الذي يحارب الله ورسله ويغير دينه ويضل عباده لا يستحق التسديد والتوفيق لنصرة الحق فهذه أهم الأسباب التي جعلت فقهاء اليهود والنصارى ومقلديهم يكذبوا بالموعود (ﷺ) الذي كانوا

---

[١٢١] - سورة النساء ٤٦

[١٢٢] - البقرة ٤٠-٤٢

[١٢٣] - وسائل الشيعة ج٢٧ ص١٣١

ينتظرونه لقرون طويلة ، أما سبب تشبيه الله لهم بالحمار الذي يحمل أسفاراً فسيئتيك تفصيله في الفصول التالية إن شاء الله تعالى .

انطباق سنة الماضين على هذه الأمة

سنثبت هنا بأن الفقهاء هم رهبان وأحبار هذه الأمة بالدليل القاطع، وقبل الشروع في اثبات المطلب هناك أمر مهم يجب الإشارة إليه وهو أن كل سنن بني إسرائيل تجري على أمة محمد (ﷺ) لا محال قال تعالى: { **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ** } فقد جاء في تفسير هذه الآية عن الصادق (عليه السلام)**: (لتركبن طبقاً عن طبق أي سيرٍ من كان قبلكم)**[١٢٤].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (**{ لتركبن طبقاً عن طبق } أي لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الامم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء)**[١٢٥].

وعنه (ﷺ) أنه قال: **(لتركبن سنة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ولا تخطئون طريقتهم شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع حتى أن لو كان من قبلكم دخل حجر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى تعني يا رسول الله قال فمن أعني)**[١٢٦].

ونقل البحراني في تفسيره عن زرارة عن ابي جعفر(عليه السلام) في قوله لتركبن طبقاً عن طبق قال: **(يا زرارة أولم تركب هذه الأمة بعد نبيها طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان)**[١٢٧].

وعن رسول الله (ﷺ) أنه قال: **(يكون في هذه الأمة كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة)**[١٢٨].

وعن سلمان أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: **(لتركبن أمتي سنة بني إسرائيل حذو النعل بالنعل وحذو القذة بالقذة شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى لو دخلوا جحراً لدخلوا فيه معهم إن التوراة والقرآن كتبته يد واحدة في رق واحدة بقلم واحد وجرت الأمثال والسنن سواء)**[١٢٩].

---

[١٢٤] - تفسير الصافي ج٥ ص٣٠٥
[١٢٥] - بحار الأنوار ج٦٥ ص٢٦٧
[١٢٦] - تفسير الصافي ج٥ ص٣٠٦
[١٢٧] - بحار الأنوار ج٢٤ ص٣٥٠
[١٢٨] - من لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٠٣
[١٢٩] - بحار الأنوار ج٢٨ ص١٤

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: **(قد قال ابو جعفر(عليه السلام)هي والله السنن القذة بالقذة مشكاة بمشكاة ولابد أن يكون فيكم ما كان في الذين من قبلكم)**[١٣٠].

وعلى ضوء ما جاءت به هذه الأحاديث الشريفة يتبين أن ما جرى في بني إسرائيل لابد أن يحصل في أمة محمد (ﷺ) حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ولا تخطأ أمة محمد (ﷺ) طريقة بني إسرائيل أبداً فما من فتنة ولا بدعة ولا عمل حصل مع بني إسرائيل إلا وأمة محمد (ﷺ) ستفعله.

ومن أراد تفصيل هذه السنن عليه الرجوع الى موسوعة القائم الجزء الثاني التي كتبت من فكر السيد أبي عبد الله الحسين القحطاني .

انطباق سنة الأحبار والرهبان على فقهاء عصر الظهور

هنا سنثبت بأن الفقهاء انطبقت عليهم السنة التي تحدثت عنها الآية القرآنية التي وصف الله بها الرهبان والأحبار بالحمار يحمل أسفارا وسنكشف بعض الأسرار الخاصة بتشبيه (الرهبان والأحبار بالحمار) وبعض التفاصيل الجانبية الخاصة بالحمار وعلاقته بالذي شبههم الله به

أهل البيت يشبهون الفقهاء بالرهبان والأحبار

قال رجل للصادق (عليه السلام): **(فإذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم ؟ وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم ؟ فإن لم يجز لأولئك القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم ، فقال (عليه السلام) : بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة، أما من حيث استووا فإن الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم ، وأما من حيث افترقوا فلا . قال : بين لي يا ابن رسول الله قال (عليه السلام) : إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصريح ، وبأكل الحرام والرشاء ، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات ، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه ، وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم ، وظلموهم من أجلهم ، وعرفوهم يقارفون المحرمات ، واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما**

---

[١٣٠] - بحار الأنوار ج٥٢ ص١١٠

يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله ، فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ، ولا تصديقه في حكاياته ، ولا العمل بما يؤديه إليهم عمن لم يشاهدوه ، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى ، وأشهر من أن لا تظهر لهم ، وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة ، والتكالب على حطام الدنيا وحرامها ، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقا ، والترفق بالبر والإحسان على من تعصبوا له وإن كان للإذلال والإهانة مستحقا . فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله تعالى بالتقليد لفسقة فقهائهم)[١٣١].

في هذه الرواية عدة إشارات مهمة يجب الالتفات إليها

اولاً: شبه الإمام الصادق (عليه السلام) فقهاء الشيعة برهبان اليهود.

ثانياً : شبه مقلدي فقهاء الإمامية بمقلدي رهبان اليهود.

ثالثاً: أشار إلى أن فقهاء الشيعة سيغيرون أحكام الله وسنن نبيه كما فعل رهبان اليهود.

اولاً: تشبيه الإمام الصادق (ع) فقهاء الشيعة برهبان اليهود.

جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام)مخاطباً شيعته ومحذرهم من تقليد فقهاءهم قائلاً: **(إياكم والتقليد فإنه من قلد في دينه هلك إن الله تعالى يقول {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله } فلا والله ما صلوا لهم ولا صاموا ولكنهم أحلو لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فقلدوهم في ذلك فعبدوهم وهم لا يشعرون)**[١٣٢].

وجاء في خاتمة المستدرك للميرزا النوري معلقاً على جملة من أشباه هذه الأحاديث قائلاً (تنبيه : ولا بد من ذكر ما صدر به الكتاب ، ليعرف أنه ما أخرج فيه إلا الخبر الثابت الصحيح ، عن الأئمة الأطياب (عليهم السلام) قال : فإنه لما كثرت الدعاوى والآراء ، واختلفت المذاهب والأهواء ، واخترعت الأقاويل اختراعاً وصارت الأمة شيعاً ، وافترقوا إفتراقاً ، ودرس أكثر السنن وانقطع ، ونجم حادث البدع فارتفع ، واتخذت كل فرقة من فرق الضلال رئيسا لها من الجهال ، فاستحلت بقوله الحرام ، وحرمت به الحلال ، تقليداً له واتباعاً لأمره ، بغير برهان من كتاب ولا سنة ، ولا بإجماع جاء من الأمة ، فذكرنا عند ذلك

---

[١٣١] - تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) ص ٢٩٩ - ٣٠٠

[١٣٢] - كتاب تصحيح اعتقادات الإمامية للشيخ المفيد ص٧٤

قول رسول الله (ﷺ) : **(لتسلكن سبيل الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)**، فكانت الأمة - إلا من عصمه الله منها بطاعته ، وطاعة رسوله وأوليائه ، الذين افترض الله طاعتهم - في ذلك كمن حكى الله عز وجل نبأه من الأمم السالفة ، بقوله عز وجل : **(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)** وروينا عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) ، أنه تلا هذه الآية فقال **(والله ما صاموا لهم ، ولا صلوا إليهم ، ولكنهم أحلوا لهم حراما فاستحلوه ، وحرموا عليهم حلالا فحرموه)**[١٣٣].

الميرزا النوري يريد بتعليقه القول بأن كل من جلس مجلس الأئمة المعصومين وتلاعب بالدين وادخل فيه ما ليس به فهو شبيه بالرهبان والأحبار الذين أحدثوا في دينهم وغيروا أحكام الله وسنن أنبياءهم .

وبعد ان اثبت الإمام الصادق (عليه السلام)ان سنة الرهبان ومقلديهم ستنطبق على فقهاء السوء ومقلديهم وجب علينا الإشارة إلى نقاط الشبه بين الفريقين (الاحبار والرهبان وفقهاء السوء)

النقطة الاولى : تصاريح كبار المحدثين بركوب فقهاء الشيعة مراكب فقهاء فسقة العامة بعد غيبة الإمام (عليه السلام).

لقد ذم الله سبحانه فقهاء اليهود والنصارى على حد سواء بهجرهم أحكامه التي أنزلها في كتابه وهجرهم لسنن أنبياءهم اذ قال عز من قائل: **{ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الظالمين }** فهم حملوا ما أوجب الله سبحانه عليهم ان يعملوا بأحكامه التي في التوراة لكنهم لم يحملوها اي لم يعملوا بأحكامها فكان كتاب الله بينهم مهجورا، وإن كانوا يقرؤون آياته فالقراءة وحدها دون العمل وفق ما يقرر كتاب الله لا تنفع كما هو واضح ، بل الأمر لم يقتصر على هجر الكتاب فقط بل فعلوا ما هو أشد من هجر كتاب الله سبحانه ، فقد جعلوا لأنفسهم الحق بالتشريع مع الله سبحانه، ومع مرور فترة من الزمن ليست بالطويلة وصلوا إلى ما هو أبعد من ذلك بأن سدوا الباب بوجه التشريع الإلهي المتمثل بالتوراة ومترجميها من الأنبياء والرسل.

وبهذا الأمر قد الغوا التشريع الرباني وجعلوا التشريع منحصراً بهم، فكانوا يشرعون أحكاماً مخالفة لأحكام الله سبحانه التي أنزلها في كتابه وهو قول الإمام الصادق (عليه السلام): **(إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصريح ، وبأكل الحرام والرشاء ، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات)**[١٣٤].

---

[١٣٣] - خاتمة المستدرك - الميرزا النوري - ج ١ - ص ١٥٧ – ١٥٨

[١٣٤] - الإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٦٣

فكانوا يغيرون أحكام الله سبحانه بأحكامهم التي استحدثوها والتي يأخذها مقلديهم عنهم بتسليم مطلق، لذلك ذم الله الرهبان لتغيرهم احكامه سبحانه وذم المقلدين لاتباعهم الأعمى دون تفحص ، وسنة الأحبار والرهبان عادت وانطبقت أول مرة في الإسلام بعد استشهاد رسول الله (ﷺ) فقد تم تغيير أحكام الله وهجر سنن نبيه وتغييب وصيه من قبل رهبان وأحبار أمة محمد (ﷺ) آنذاك.

فقد جاء عن صفوان بن يحيى عن أبي حازم قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): **(إني ناظرت قوماً فقلت : ألستم تعلمون أن رسول الله (ﷺ) هو الحجة من الله على الخلق ، فحين ذهب رسول الله (ﷺ) من كان الحجة بعده ؟ فقالوا: القرآن. فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم فيها المرجئيّ والحروري والزنديق الذي لا يؤمن حتى يغلب الرجل خصمه، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلاّ بقيم، ما قال فيه من شيء كان حقاً. قلت : فمن قيّم القرآن ؟ قالوا : قد كان عبد الله بن مسعود وفلان وفلان وفلان يعلم. قلت : كلّه ؟ قالوا : لا. فلم أجد أحداً يقال : إنّه يعرف ذلك كلّه إلاّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وإذا كان الشيء بين القوم ، وقال هذا : لا أدري ، وقال هذا : لا أدري ، وقال هذا : لا أدري ، وقال هذا : لا أدري ، فأشهد أنّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) كان قيم القرآن ، وكانت طاعته مفروضة، وكان حجّة بعد رسول الله (ﷺ) على الناس كلّهم، وإنّه (عليه السلام) ما قال في القرآن فهو حقّ. فقال ـ يعني الإمام الصادق (عليه السلام) رحمك الله)**[١٣٥].

وقد أحوجهم الإعراض عن مصدر التشريع المتمثل بالإمام المعصوم (عليه السلام) إلى إفتاء أتباعهم بعقولهم القاصرة ومن هنا بدئوا بالبحث عن مصدر للتشريع بديل عن الثقلين، فكان الاجتهاد هو البوابة لدخولهم لعلم تشريع جديد لم ينزل الله به من سلطان، فكانت ثمرة الإجتهاد القياس والظن والاستحسان هي هذه الفتاوى، فكانت كل فتاواهم مختلفة عن أحكام آل محمد (عليهم السلام) فكانت الموالي لأهل البيت (عليهم السلام) إذا احتاج حكما ولم يستطع أن يصل إلى الإمام سأل المخالفين ويأخذ بالضد، لأن المخالفين أسسوا ديناً مخالفاً لدين الله سبحانه، وقد أشار أهل البيت (عليهم السلام) إلى هذا الأمر فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) وهو يبين السبب أن المخالفين لهم دين مغاير لدين الله سبحانه في قوله لاحد اصحابه : **(لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما يقوله العامة؟ فقلت: لا أدري. فقال: إن علياً (عليه السلام) لم يكن يدين الله بدين إلاّ خالف عليه الامة إلى غيره إرادة لإبطال أمره وكانوا يسألون أمير المؤمنين (عليه السلام)عن الشيء الذي لا يعلمونه فإذا أفتاهم بشيء جعلوا له ضداً من عند أنفسهم ليلبسوا على الناس)**[١٣٦].

---

[١٣٥] ـ علل الشرائع ص١٩٢

[١٣٦] ـ فرائد الأصول للشيخ الأنصاري ج١ ص٦١٥

تصاريح كبار المحدثين بركوب فقهاء الشيعة مراكب فقهاء فسقة العامة

سنذكر هنا أهم أقوال المحدثين الذين عاصروا التحول الذي أصاب دين الله عز وجل على أيدي فقهاء السوء من الإمامية الذين غيروا دين الله وادخلوا عليه ما ليس فيه من أدوات العامة مثل الاجتهاد والقياس والاستحسان وبدع كثيرة سبقهم إليها فسقة العامة فكانوا السبب الرئيسي في تغييب الإمام المهدي (عليه السلام) وهو عين ما فعله العامة بعد غياب رسول الله (ﷺ) .

يقول الملا محمد أمين أسترابادي صاحب كتاب الفوائد المدنية : (وبالجملة وقع تخريب الدين مرتين ، مرة يوم توّفي النبي (ﷺ) ، ومرة يوم أجريت القواعد والاصطلاحات التي ذكرها العامة في الكتب الأصولية ودراية الحديث وفي أحكامنا وأحاديثنا . وناهيك أيها اللبيب أن هذه الجماعة يقولون بجواز الاختلاف في الفتاوي ، ويقولون قول الميت كالميت ، مع انه تواترت الأخبار عن الأئمة الأطهار بـ (أن حلال محمد (ﷺ) حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة)[١٣٧].

ولا يخفى في كلام الاسترابادي من عظمة الانحرافات التي طرأت على المذهب بعد غياب المحامي عن (عليه السلام) فبالحالتين فالدين وقع عليه تخريب ممن جلس بمجلس المعصوم الذي نصبه الله سبحانه فالمرة الاولى على يد الغاصبين لمقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والمرة الثانية على يد فقهاء السوء . وقول الاسترابادي (يوم أجريت القواعد والاصطلاحات التي ذكرها العامة في الكتب الأصولية ودراية الحديث وفي أحكامنا وأحاديثنا) فيه الدلالة الواضحة أن فقهاء الاجتهاد ركبوا مراكب فسقة العامة ما يجعلهم كما قال الإمام الصادق (عليه السلام)هم والأحبار والرهبان في مصاف واحد .

وبين الاسترابادي الطريقة الحقة في معرفة الأحكام رداً على فقهاء الاجتهاد الذي استعانوا بما استعان به فسقة العامة من اجتهاد وقياس وظن وغيرها من الأدوات الشيطانية وذلك في قوله : (الصواب عندي مذهب قدمائنا الإخباريين وطريقتهم ، أما مذهبهم فهو أن كل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة عليه دلالة قطعية من قبله تعالى حتى أرش الخدش ، وأن كثيراً مما جاء به النبي ﴿ ﷺ ﴾ من الأحكام ومما يتعلق بكتاب الله وسُنة نبيه ﴿ ﷺ ﴾ من نسخ وتقييد وتخصيص وتأويل مخزون عند العترة الطاهرة (عليهم السلام) وأن القرآن في الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعية ، وكذلك كثير من السُنن النبوية. وأنه لا سبيل لنا فيما لا نعلمه من الأحكام الشرعية النظرية أصلية كانت أو فرعية إلا السماع من الصادقين (عليهم السلام). وأنه لا يجوز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر كتاب الله ولا

---

[١٣٧] - الفوائد المدنية الشواهد المكية ص٣٦٩

من ظواهر السُنن النبوية ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر (عليهم السلام) بل يجب التوقف والاحتياط فيهما ، وأن المجتهد في نفس أحكامه تعالى إن أخطأ كذب على الله تعالى وافترى وإن أصاب لم يؤجر)[١٣٨].

وقفة : إن الطريقة الإخبارية انحرفت عما كانت عليه في ذلك الزمان فلا طريقة ولا مذهب يمثل دين محمد وأل محمد الحق في هذا الزمان .

وقبل الاسترابادي كانت المعركة على قدم وساق بين المدرسة الإخبارية وبين المدرسة الاصولية، فقد تصدى الشيخ الصدوق والكليني والشيخ النعماني صاحب كتاب الغيبة ، فقال الشيخ النعماني رداً على حملة تغيير دين ال محمد على ايدي فقهاء الأصول ما نصه (ثم أعجب من هذا ادعاء هؤلاء الصم العمي أنه ليس في القرآن علم كل شيء من صغير الفرائض وكبيرها ودقيق الأحكام والسنن وجليلها وأنهم لما لم يجدوه فيه احتاجوا إلى القياس والاجتهاد في الرأي والعمل في الحكومة بهما وافتروا على رسول الله (ﷺ) الكذب والزور بأنه أباحهم الاجتهاد وأطلق لهم ما ادعوه عليه لقوله لمعاذ بن جبل والله يقول : **{وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ}** ويقول : **{ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ}** ويقول: **{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ}** ويقول: **{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتابا}** ويقول: **{قل إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ}** . ويقول **{ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ}.** فمن أنكر أن شيئا من أمور الدنيا والآخرة وأحكام الدين وفرائضه وسننه وجميع ما يحتاج إليه أهل الشريعة ليس موجوداً في القرآن الذي قال الله تعالى فيه **{ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ}** فهو راد على الله قوله ومفتر على الله الكذب وغير مصدق بكتابه.

ولعمري لقد صدقوا عن أنفسهم وأئمتهم الذين يقتدون بهم في أنهم لا يجدون ذلك في القرآن لأنهم ليسوا من أهله ولا ممن أوتي علمه و لا جعل الله ولا رسوله لهم فيه نصيباً بل خص بالعلم كله أهل بيت الرسول (ﷺ) الذين آتاهم العلم ودل عليهم الذين أمر بمسألتهم ليدلوا على موضعه من الكتاب الذي هم خزنته وورثته وتراجمته ولو امتثلوا أمر الله عز و جل في قوله : **{ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}** وفي قوله : **{ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ }** لأوصلهم الله إلى نور الهدى وعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون وأغناهم عن القياس والاجتهاد بالرأي وسقط الاختلاف الواقع في أحكام الدين الذي يدين به العباد ويجيزونه بينهم ويدعون على النبي (ﷺ) الكذب أنه أطلقه وأجازه والقرآن يحظره وينهى عنه حيث يقول جل وعز: **{ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}** ويقول: **{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ}** ويقول: **{ وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا}** وآيات الله في ذم الاختلاف والفرقة أكثر من أن تحصى والاختلاف والفرقة في الدين هو الضلال ويجيزونه ويدّعون على رسول الله (صلى

---

[١٣٨] ـ الفوائد المدنية والشواهد المكية ص ١٠٤ ـ ١٠٥

الله عليه وآله وسلم) أنه أطلقه وأجازه افتراء عليه وكتاب الله عز وجل يحظره وينهى عنه بقوله : **{ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا}** انتهى كلامه أعلى الله مقامه[١٣٩]

فنرى أن الشيخ النعماني قد دافع عن كتاب الله وسنة أهل البيت (عليهم السلام) بكل ما أوتي من قوة ما يؤكد أن فقهاء السوء طعنوا بالثقلين، لأجل أن يفسحوا المجال لاستبدال الدين بدين آخر يلائم أهوائهم وطموحاتهم ويمكنهم من الجلوس في مجلس الإمام المنصّب من قبل الله، وهذا الهدف هو ما زهقت لأجله أرواح كثير من الخلائق بسبب إبليس اللعين لأنه قال للباري عز وجل انه سيضل الناس عن المعصوم وإذا استغنى الناس عن المعصوم فقد هلكوا وكان له ذلك فكل الأئمة (عليهم السلام) وقبلهم الأنبياء قتلوا ولم يأتم بهم إلا قلائل وبذلك صرح الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله : **(بلية الناس عظيمة ان دعوناهم لم يستجيبوا لنا وان تركناهم لم يهتدوا بغيرنا)**[١٤٠].

وقبل أن يهاجمهم الشيخ النعماني هاجمهم الشيخ المفيد والصدوق والكليني وامثال هؤلاء المحدثين لكن في النهاية تم تصفية كل من ينادي بالحفاظ على دين أهل البيت (عليهم السلام) كما حصل المظلوم محمد امين الاسترابادي فقد صدرت فتاوى من قبل فقهاء السوء بحقه وما كان من المقلدين الهمج الرعاع إلا انقضوا على بيت الاستربادي وقتلوه في الكاظمية المقدسة هو وعائلته لأجل دفاعه عن القرآن والائمة (عليهم السلام) وسحلت جثته في الشوارع ومثل المقلدين بجثته أبشع تمثيل .

وذكر جعفر السبحاني وهو من الفقهاء المتأخرين حقيقة الأمر الذي دار بين المولى الاسترابادي وبين من أدخل البدع والانحرافات على الدين في مقدمة تقريرات البروجردي وقال ما هذا نصه : (الشيخ محمد أمين الأسترآبادي (ت ١٠٣٣) فشن حملة شعواء على الأصول والأصوليين ، وزيف مسلك الإجتهاد المبني على القواعد الأصولية ، وزعم أن طريقة أئمة أهل البيت (عليه السلام) وأصحابه تخالف ذلك المسلك)[١٤١].

وهناك تصاريح مفصلة كثيرة أعرضنا عن ذكرها مراعاةً للاختصار ، وقد افتى المحدثون بنجاسة كتب الأصوليين التي شحنوها بالبدع والانحرافات التي تم استيرادها من العامة كالاجتهاد في الدين والقياس والاستحسان والعمل بالظن وتنصيب الفقيه بمنصب الإمام المعصوم واعطائه كل صلاحيات الإمام ، فقد أخرج الشيخ الفيض الكاشاني الفقهاء المجتهدين من الدين لتخريبهم دين ال محمد (عليهم السلام) بعد غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) وأصدر فتوى بتكفيرهم جميعاً.

---

١٣٩ ـ غيبة النعماني ص٥٦

١٤٠ ـ كنز الفوائد ص ١٩٧

١٤١ ـ لمحات الأصول ـ تقريرات البروجردي ، للسيد الخميني ـ المقدمة ص ١٥

مثل الفقهاء الذين حملوا القرآن ثم لم يحملوه كمثل الحمار يحمل أسفارا

لقد ذم الله سبحانه الأحبار والرهبان لأنهم هجروا أحكام التوراة فوصفهم بالحمار الذي يحمل الكتب المقدسة ولم يحملها لأن الحمار لا يعرف ما تحتويه هذه الكتب ولا يستطيع العمل بما فيها لأنه من الدواب التي لا عقل لها وكذلك الرهبان والأحبار الذين وصلوا إلى المرحلة البهيمية التي قال الله سبحانه عنها في كتابه **{ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا }** فالإنسان بطاعته لأوامر الله سبحانه يرتقى إلى درجة الملائكة بل أفضل من الملائكة أما إذا عصى أوامر الله سبحانه فهو يتسافل إلى البهيمية ويكون الحمار أفضل حالاً منه لأنه أي الحمار لا يملك عقل ولا يعصي أوامر الله سبحانه ، لكن الإنسان مع ما أعطاه الله من العقل فهو يعصيه لذلك يكون الحمار في بعض الحالات أفضل ممن يعلم ومع ذلك يعصي الله سبحانه ، نأتي الان الى فقهاء السوء وهجرهم لكتاب الله القرآن كما هجر أشباههم من الرهبان والأحبار الكتاب.

ولا يخفى على ذو لب بأن الله خص محمد وآل محمد بعلم ما كان وعلم ما يكون الى يوم القيامة وللتذكير اورد هذه الروايات الشريفة التي تشير إلى هذا المعنى فقد جاء في كتاب الكافي الجزء الاول ص ٢٦١ باب أن الائمة (عليهم السلام) يعلمون علم ما كان وما يكون وانه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم .

عن سيف التمار قال كنا مع أبي عبد الله (عليه السلام) جماعة من الشيعة في الحجر فقال (عليه السلام): **(علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدا فقلنا: ليس علينا عين فقال: ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لاخبرتهما أني أعلم منهما ولانبئتهما بما ليس في أيديهما، لان موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة)**

ومن غير المعقول ان يغفل آل محمد (عليهم السلام) عن جريمة هجر القرآن وهم (عليهم السلام) لم يدخروا جهداً لتبيان انحرافات الأمة إلى قيام القائم فتراهم في كثير من المواقف قد بالغوا في ايضاح مواصفات من يمثل الحق ومن يمثل الباطل وتعرضوا في أحاديثهم إلى كل صغيرة وكبيرة تخص هذه الأمة التي دخلت التيه من أوسع أبوابه بعد إعراضهم عن الله وحججه (عليهم السلام) فمن غير الممكن أن لا تتم الإشارة منهم (عليهم السلام) إلى هجر الفقهاء للقران ، لأن هجر الثقلين له مردودات كارثية على مصير المسلمين وعلى مصير الإسلام بالكامل، ومن له ادنى اطلاع بروايات أهل البيت (عليهم السلام) يرى أنه حصل ذلك بالفعل فقد صرحوا في عشرات التصريحات بأن هذه الأمة وفقهاءهم سيهجرون القرآن وينبذونه وراء ظهورهم ، والمطالع لروايات الخاصة بالمستقبل أو في آخر الزمان يجد الاهتمام الشديد من قبلهم بتوضيح أدق الأمور التي ستحدث في ذلك الزمان، فنجد أن الروايات تتكلم بشكل جلي وواضح عن اندثار الإسلام وهجر القرآن قبل قيام القائم (عليه

السلام) وهو من سيرجع الإسلام المحمدي ويحييه من بعد تضييعه على ايدي فقهاء السوء الذين وصفهم النبي الخاتم (ﷺ) **(فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ضل السماء منهم تخرج الفتنة واليهم تعود)**[١٤٢].

ووصفت روايات كثيرة أن الإمام عند مجيئه يحيي سنن النبي الخاتم وسنن آبائهم (عليهم السلام) فإحيائه لهذه السنن يكون بعد إماتتها من قبل الناس بمساعدة فقهائهم ،وسأطرح الروايات الشريفة التي تكلم ال محمد فيها عن إماتة سننهم (عليهم السلام) والتي ستحيى على يد القائم (عليه السلام) وساضع ثلاث تصريحات فقط للاختصار والا لو استقصينا كل التصاريح والتنبؤات الخاصة بهجر القرآن لطال بنا المقام :

التصريح الاول : قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(وأنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تُلي حق تلاوته ولا أنفق منه إذا حُرّف عن مواضعه ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر ، فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته فالكتاب يومئذ وأهله طريدان منفيان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يأويهما مئوٍ ، فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليس فيهم ومعهم لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا ، فأجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة ، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب أمامهم فلم يبقى عندهم منه إلا أسمه ولا يعرفون إلا خطه وزبره ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة)**[١٤٣].

التصريح الثاني : قال الإمام الصادق (عليه السلام): **(فلو قد قام قائمنا عجل الله فرجه وتكلم بتكلمنا ثم استأنف بكم تعليم القرآن وشرائع الدين والأحكام والفرائض كما أنزله الله على محمد (ﷺ) على سبعة أحرف لأنكر أهل التصابر فيكم ذلك اليوم إنكاراً شديداً ثم لم تستقيموا على دين الله وطريقته إلا من تحت حد السيف فوق رقابكم إن الناس بعد نبي الله (ﷺ) ركب الله به سنة من كان قبلكم فغيروا وبدلوا وحرفوا وزادوا في دين الله ونقصوا منه فما من شيء عليه الناس اليوم إلا وهو محرف عما نزل به الوحي من عند الله فأجب يرحمك الله من حيث تدعى إلى حيث ترعى حتى يأتي من يستأنف بكم دين الله استئنافا)**[١٤٤].

كلام الإمام الصادق (عليه السلام) يبين إن هجران القرآن مستمر إلى قيام الإمام المهدي (عليه السلام) فالناس معرضون عن القرآن الناطق والصامت بل حتى الأحكام الإلهية الحقة مهجورة مما يفيد بأن الأحكام قبل القائم ليست من الله بل من الشيطان اللعين ، والذي يسن هذه الأحكام الزائفة ليس البقال أو النجار أو الفلاح كما هو واضح بل الفقيه لما يملكه من

---

[١٤٢] - الكافي ج٨ ص٣٠٨
[١٤٣] - الكافي ج٨ ص٣٨٨
[١٤٤] - بحار الأنوار ج٢ ص٢٤٦

نفوذ في هذه المؤسسة التي تدعي الارتباط بالله وبالدين ، وليس القرآن وحده من هجر بل سنن النبي واله (عليهم السلام) من قبل الناس وفقهاءهم بدليل قول الإمام الصادق (عليه السلام): **(إن الناس بعد نبي الله (ﷺ) ركب الله به سنة من كان قبلكم فغيروا وبدلوا وحرفوا وزادوا في دين الله ونقصوا منه فما من شيء عليه الناس اليوم إلا وهو محرف)**[١٤٥].

بل الامر المحير أن الفقهاء ومقلديهم لا يستقيمون على دين الله ورسوله محمد (ﷺ) إلا تحت حد السيف مما يعطينا صورة مخزية للفقهاء ومقلديهم وإلى أي درجة من التراجع وصلوا بحيث لا يقبلون كلام الاطايب (عليهم السلام) الا بالإكراه والسيف.

التصريح الثالث : جاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل قال في جانب منه : **(كل ذلك لتتم النظرة التي أوحاها الله تعالى لعدوه إبليس إلى أن يبلغ الكتاب أجله ويحق القول على الكافرين ويقترب الوعد الحق الذي بيّنه في كتابه بقوله: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ }**[١٤٦]**. وذلك إذا لم يبق من الإسلام إلاّ اسمه ومن القرآن إلاّ رسمه وغاب صاحب الأمر بإيضاح الغدر له في ذلك لاشتمال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له، وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها ويُظهرُ دين نبيه ﷺ على يديه على الدين كله ولو كره المشركون)**[١٤٧].

إن الفقهاء ومقلديهم قبل هجرهم للقران هجروا الإسلام وبذلك لا نستغرب من هجر القرآن من قبلهم وهو قوله (عليه السلام): **(وذلك إذا لم يبق من الإسلام إلاّ اسمه ومن القرآن إلاّ رسمه)** بل الطامة الكبرى ليس هجرهم للقران والإسلام بل من يدعي حب آل محمد وموالاتهم يكون أشد أعداء القرآن والإسلام وآل محمد والقائم من آل محمد (عليهم السلام) بقولهم (عليهم السلام) : **(وغاب صاحب الأمر بإيضاح الغدر له في ذلك لاشتمال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له)** فالذي يتربص بعدل القرآن إن يقضي عليه يكون هجر القرآن عنده أمر يسير.

اعترافات فقهاء الحوزة بهجرهم للقران

بعد أن اخبرونا آل محمد (عليهم السلام) بأحاديث كثيرة بأن الفقهاء واتباعهم سيهجرون القرآن بقي علينا أن نرى التطبيق العملي للهجران على أرض الواقع وهنا سندرج اعترافات خطيرة

---

[١٤٥] - بحار الأنوار ج٢ ص٢٤٨
[١٤٦] - النور(:٥٥)
[١٤٧] - تفسير الصافي ج٢ ص٣٣٨

من قبل الفقهاء الذين حملوا القرآن ثم لم يحملوه وسأقتصر على أربع اعترافات من قبل الفقهاء فقط والا فالاعترافات فاقت العشرات.

اولاً :- يقول السيد علي الخامنئي المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية : (مما يؤسف له إن بإمكاننا بدء الدراسة ومواصلتنا لها إلى حين استلام إجازة الاجتهاد من دون أن نراجع القرآن ولو مرة واحدة لماذا هكذا ؟ لأن دروسنا لا تعتمد على القرآن)[١٤٨].

اعتراف واضح وصريح بأن المجتهد يحصل على شهادة الاجتهاد من دون أن يراجع القرآن ولو مرة واحدة ويقول السيد الخامنئي إن دروسهم لا تعتمد على القرآن!!! والنتيجة القرآن مهجور عند الفقهاء وفي حوزاتهم.

ثانياً :- يقول السيد محمد حسين فضل الله : (فقد نفاجأ بأن الحوزة العلمية في النجف أو في قم أو في غيرهما لا تمتلك منهجا دراسيا للقرآن)[١٤٩].

فإذا كانت المؤسسات الدينية لا تمتلك منهجاً دراسياً للقران فأي منهج تمتلك هذه المؤسسات التي هجرت القرآن والنتيجة فالقرآن مهجور عند الفقهاء وفي حوزاتهم.

ثالثاً :- يقول السيد علي الخامنئي في موضع أخر وطامة أخرى : (إن الانزواء عن القرآن الذي حصل في الحوزات العلمية وعدم استئناسنا به ، أدى إلى إيجاد مشكلات كثيرة في الحاضر ، وسيؤدي إلى إيجاد مشكلات في المستقبل ... وإن هذا البعد عن القرآن يؤدي إلى وقوعنا في قصر النظر)[١٥٠].

هذا الاستنتاج الذي استنتجته يا سيد نتيجة هجر القرآن من قبل الفقهاء قد سبقك به آل محمد قبل أكثر من ألف عام فقد قالوا من لم يكن القرآن دليله لا يزال تتنكبه الفتن ولا يزال أمره إلى سفال، وما ترك أحد كلام الله عز وجل إلا ضل وغوى ومن لم يتمسك به فإلى الضلالة والردى.

وللفائدة أنقل كلام العترة عليهم افضل الصلاة والسلام فقد جاء عن يوسف بن عبد الرحمن، رفعه إلى الحارث الأعور، قال دخلت على أمير المؤمنين(عليه السلام) فقلت: **(يا أمير المؤمنين، إنا إذا كنا عندك سمعنا الذي نشد به ديننا، و إذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة، لا ندري ما هي قال: (أو قد فعلوها قال: قلت: نعم. قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) يقول: أتاني جبرئيل فقال: يا محمد، ستكون في أمتك فتنة. قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله، فيه بيان ما قبلكم من خبر، و خبر ما بعدكم، وحكم**

---

[١٤٨] - ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية **ص١١٠**

[١٤٩] - نفس المصدر ص١١١

[١٥٠] - نفس المصدر ص١١٠

ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من وليه من جبار فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تزيغه الأهواء ولا تلبس به الألسنة، ولا يخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء. هو الذي لم تكنه الجن إذ سمعته أن قالوا: { إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ } من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم، هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[١٥١].

هذا القرآن كما يصفه الذي خوطب به (صلى الله عليه واله وسلم) وهذه النتائج الكارثية للذين يهجروه واستبدلوه بغيره وحصل الذي حذر منه الائمة (عليهم السلام) فقد اختلف الناس إلى فرق ومجموعات بعض يستذل بعض وبعض يكفر بعض وبعض يلعن بعض وهذا كله بسبب هجر القرآن.

ويقول مرتضى مطهري بعد ان ملأت مسامعه انتقادات الفقهاء السابقين لهجر القرآن في الحوزات : قائلاً: (عجبا ، أن الجيل القديم نفسه قد هجر القرآن وتركه ، ثم يعتب على الجيل الجديد لعدم معرفته بالقرآن ، إننا نحن الذين هجرنا القرآن ، وننتظر من الجيل الجديد أن يلتصق به ، ولسوف أثبت لكم كيف أن القرآن مهجور بيننا إذا كان شخص ما عليما بالقرآن ، أي إذا كان قد تدبر في القرآن كثيراً ، ودرس التفسير درساً عميقاً ، فكم تراه يكون محترما بيننا ؟ لا شيء أما إذا كان هذا الشخص قد قرأ " كفاية " الملا كاظم الخراساني فإنه يكون محترماً وذا شخصية مرموقة . وهكذا ترون أن القرآن مهجور بيننا . وإن إعراضنا عن هذا القرآن هو السبب في ما نحن فيه من بلاء وتعاسة ، إننا أيضا من الذين تشملهم شكوى النبي(ﷺ) إلى ربه **{ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا})**[١٥٢].

وهذا الكلام ايضاً مما لا يحتاج إلى تعليق لشدة وضوحه ، وقد تم ما تنبأ به الإمام الصادق (عليه السلام) بخصوص ركوب فقهاء الشيعة مراكب فسقة العامة وصدق (عليه السلام) بتشبيهه الفقهاء برهبان اليهود واحبار النصارى بهجرهم على حد سواء حينما حملوا كتب الله المقدسة ولم يحملوها فهم وبصدق كالحمار يحمل اسفار كما وصفه رب العزة سبحانه.

اعترافات الفقهاء الحوزة بهجرهم للسنن النبوية

يقول الباري جل شأنه: **{ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ}** وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: **{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا**

---

١٥١ - بحار الأنوار ج٨٩ ص٢٤

١٥٢ - **إحياء الفكر الديني ص١٥٤**

عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُون كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ }.

إن فقهاء اليهود والنصارى كانوا معروفين بمخالفتهم لتعاليم أنبياءهم ولذلك وصفهم الله سبحانه في كتابه **{ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُون كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }** فالأحبار والرهبان لم يدعوا سنة الا خالفوها ولا امر صادر عن أنبياءهم إلا وعملوا خلافه ، لذلك وبخهم الله سبحانه في القرآن على هجرهم تعاليم أنبياءهم ، فهم بعد أن هجروا التوراة واحكامهم طعنوا بسنن أنبياءهم، فإذا وردت سنة تحرم امراً ما ، فعلوا خلاف السنة ، فما من فعل حرمه الأنبياء، إلا وفعلوه ، لأن التوراة والسنن الواردة عن أنبياءهم تأمرهم بالعدل والانصاف والزهد بالدنيا وعدم أكل الحرام وعدم كنز الذهب والفضة وعدم الجلوس مجلس الأنبياء والأوصياء ، لكنهم طعنوا بالسنن النبوية بعد طعنهم بالكتاب لأجل سد الباب بوجه التشريع الإلهي المتمثل بالكتاب المقدس وسنن الأنبياء وتعاليمهم.

فالأحبار والرهبان على يقين تام بأن التوراة وتعاليم الأنبياء إن تم تداولها بين الناس فإن المخطط الذي يريدوه لن يتم وهو سلب الأموال والجلوس مجلس الأنبياء وهذا واضح بوصايا النبي عيسى (عليه السلام) فقد سد الباب على فقهاء اليهود والنصارى المهووسين بتقمص دور النبي أو الوصي بقوله للناس **(وانتم لماذا تتعدون وصية الرب بسبب تقاليدكم)** [١٥٣].

والفرق واضح بين وصايا الرب - والتقاليد فالوصايا من الله سبحانه والتقاليد من الفقهاء فلهذا وقع التعارض بين القولين ووبخ السيد المسيح عوام اليهود بسبب اخذهم الاحكام من الرهبان بدل من اخذها من الكتاب المقدس ومن تعاليم الأنبياء فكان السيد المسيح يعاني من قضية تقليد الرهبان، وصرح بحرمة اخذ السنن التي ترسخت في اذهان عوام اليهود من غير الكتاب والسنن للأنبياء.

نأتي الآن إلى أشباه الأحبار والرهبان - فقهاء السوء - وحملهم سنن النبي الأكرم وآله (عليهم السلام) ثم لم يحملوها، وقبل البدء بسرد الأدلة على هجر السنة من قبل فقهاء السوء الإمامية أحببت أن أنقل تنبؤات أهل البيت (عليهم السلام) بهجر سنن النبي واله (عليهم السلام) وسأختصرها بثلاث تصاريح فقط .

---

[١٥٣] - متي ١٥ : ٤-٦

التصريح الاول : تنبأ ال محمد (عليهم السلام) بهجر الثقل الاصغر (الاخبار الشريفة) من قبل الفقهاء بعد غياب الإمام المهدي (عليه السلام) وجعلوا البديل عن السنن الشريفة سنن مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وهذه السنن المخترعة من قبل الفقهاء اعتمدت بشكل كامل على نتائج عقولهم ، فصارت بديلا عن السنن الإلهية الحقة والتي سيحييها الإمام المهدي (عليه السلام) مرة اخرى بعد ان تم اضاعتها من قبل الفقهاء حيث يقول الإمام الصادق (عليه السلام): **(فلو قد قام قائمنا عجل الله فرجه وتكلم بتكلمنا ثم استأنف بكم تعليم القرآن وشرائع الدين والأحكام والفرائض كما أنزله الله على محمد (ﷺ) على سبعة أحرف لأنكر أهل التصابر فيكم ذلك اليوم إنكاراً شديداً ثم لم تستقيموا على دين الله وطريقته إلا من تحت حد السيف فوق رقابكم إن الناس بعد نبي الله (ﷺ) ركب الله به سنة من كان قبلكم فغيروا وبدلوا وحرفوا وزادوا في دين الله ونقصوا منه فما من شيء عليه الناس اليوم إلا وهو محرف عما نزل به الوحي من عند الله فأجب يرحمك الله من حيث تدعى إلى حيث ترعى حتى يأتي من يستأنف بكم دين الله استئنافا)**[١٥٤].

أول مهمة يبدأ بها القائم (عليه السلام) مع انصاره على صعيد نشر علمه هي تعليم الشيعة القرآن لأنهم لا يعلمون منه إلا خطه وزبره كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(فلم يبقى عندهم منه إلا أسمه ولا يعرفون إلا خطه وزبره)**[١٥٥].

وبعد ان يحيي القرآن بعد أن كان ميت عندهم يأتي إلى سنة رسول الله (ﷺ) الضائعة فيبثها من جديد وهو قوله الإمام الصادق (عليه السلام): **(وشرائع الدين والأحكام والفرائض كما أنزله الله على محمد (ﷺ))**[١٥٦].

وقوله كما انزلها على محمد (ﷺ) فيه إشارة إلى أن الناس في زمن قيام القائم (عليه السلام) ليسوا على دين النبي الاكرم الحقيقي ولا يوجد عندهم من سننه شيء ، وقوله: **(لأنكر أهل التصابر فيكم ذلك اليوم إنكاراً شديداً ثم لم تستقيموا على دين الله وطريقته إلا من تحت حد السيف فوق رقابكم)** .

فيه إشارة إلى عدم قبول الناس لهذه السنن من القائم لأنهم يرون هذه السنن جديدة عليهم ولا يعرفوها فهم لديهم دين غير هذا وسنن غير هذه السنن وسننهم سنها لهم فقهائهم بالاجتهاد وهي معارضة لسنن القائم (عليه السلام).

وجاءت رواية في كتاب شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي - ج ٣ - ص ٢١٣ ما نصه : (**يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله (ﷺ) لحكم به ، يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلا الدين الخالص أعدائه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد لما**

---

[١٥٤] - بحار الأنوار ج ٢ص٢٤٦

[١٥٥] - نهج البلاغة ج٢ ص٣١

[١٥٦] - بحار الأنوار ج٢ ص٢٤٧

يرونه عن الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم ، فيدخلون كرها تحت حكمه خوفا من سيفه وسطوته ورغبة فيما لديه).

وقوله (**إن الناس بعد نبي الله ﷺ ركب الله به سنة من كان قبلكم فغيروا وبدلوا وحرفوا وزادوا في دين الله ونقصوا منه فما من شيء عليه الناس اليوم إلا وهو محرف عما نزل به الوحي من عند الله فأجب يرحمك الله من حيث تدعى إلى حيث ترعى حتى يأتي من يستأنف بكم دين الله استئنافا**) يثبت بأن الشيعة حرفوا وغيروا وزادوا وانقصوا في دينهم وهذا يشمل احكام وسنن النبي الاكرم (ﷺ) لكن عند قيام القائم يحيي السنن مرة اخرى.

وملخصه أن الناس وفقهائهم غيروا وحرفوا وبدلوا وزادوا في الدين المحمدي الأصيل وما موجود اليوم بين أيدي المسلمين هو دين لا يمت إلى الله بصلة، بل دين اجتهادات وقياسات واستحسانات وظنون شيطانية جاء بها فقهاء عن طريق فقهاء وبأعترافهم ، أما إذا قام القائم فيكون (**ثم استأنف بكم تعليم القرآن و شرائع الدين والأحكام والفرائض كما أنزله الله على محمد ﷺ**)

التصريح الثاني :- ما ورد في دعاء الندبة للإمام المهدي (عليه السلام): **(أين بقية الله التي لا تخلوا من العترة الهادية ، أين المعد لقطع دابر الظلمة ، أين المدخر لتجديد فرائض الدين والسنن أين المتخذ لإعادة الملة والشريعة، أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده، أين محيي معالم الدين وأهله).**

وهذا التصريح من اوضح التصاريح التي تخص ضياع السنن والفرائض عند الشيعة بعد غياب الإمام المهدي (عليه السلام) والعجيب انهم يقرأوه ولا ينظرون ولا يلتفتون إلى أنه يصف حالهم هم، ومع ذلك هم يقولون إن الدين بخير !!

ومن المؤكد إنه بعد أن يتم هجران السنن سيكون هناك بديل وإلا من غير الممكن هجر السنن دون أن يطرح البديل للناس من قبل الفقهاء، والسنن البديلة التي طرحها الفقهاء سنن ما أنزل الله بها من سلطان وهي متعارضة مع سنن الأئمة (عليهم السلام) لأن الإمام بعد قيامه سينشر السنن النبوية الحقيقية التي ضُيّعت، أما مصير السنن المبتدعة فالإمام سوف ينسفها في اليم نسفا ويجعلها قاعاً صفصفاً ويعيد السلام غضاً طرياً لا تشوبه بدعة أو خدعة.

التصريح الرابع :- عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (**الويل الويل لامتي في الشورى الكبرى والصغرى ، فسئل عنهما فقال (ﷺ) أما الكبرى فتنعقد في بلدتي بعد وفاتي لغصب خلافة أخي وغصب حق ابنتي ، وأما الشورى الصغرى فتنعقد في الغيبة الكبرى في الزوراء لتغيير سنتي وتبديل أحكامي**)[١٥٧].

كما فعل فقهاء اليهود والنصارى وفقهاء العامة من تبديل سنن الأولياء الصالحين فكذلك فعل فقهاء السوء الإمامية بعد الغيبة للإمام (عليه السلام) من هجر السنن واستبدالها بسنن

---

[١٥٧] - **وكتاب مائتان وخمسون علامة للطباطبائي ١٣٠**

شيطانية بعيدة كل البعد عن السماء ففقهاء العامة بعد أن هجروا القرآن هجروا سنن الائمة (عليهم السلام) بطرق لئيمة فهم حينما علموا بأن سنن الله قد أودعها أولياءه عمدوا إلى اسلوب شيطاني لمعرفتها ليتم إماتتها فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) وهو يوضح طريقة فقهاء السوء العامة كيف انهم يستخدمون المكر للفتك بالسنن كما فعل قبلهم الأحبار والرهبان قائلاً (عليه السلام) لأحد أصحابه: **(أتدري لم امرتم بالأخذ بخلاف ما يقوله العامة؟ فقلت: لا أدري. فقال: إن علياً (عليه السلام) لم يكن يدين الله بدين إلاّ خالف عليه الامة إلى غيره إرادة لابطال أمره وكانوا يسألون أمير المؤمنين (عليه السلام)عن الشيء الذي لا يعلمونه فإذا أفتاهم بشيء جعلوا له ضداً من عند أنفسهم ليلبسوا على الناس)**[١٥٨].

فبهذه الطرق الشيطانية أسسوا لهم دين خلاف دين الله سبحانه .

وعلى ضوء ما جاء في التصريح الرابع أنه سيتم في آخر الزمان الإعلان عن طرح دستور(سنن) للشيعة لا يعتمد على أحكام الله ولا على سنن أولياءه بمباركة فقهاء الاجتهاد في ذلك الوقت، وسميت هذه الجريمة من قبل الرسول الاكرم (ﷺ) بالشورى الصغرى تشبيهاً لها بالشورى الكبرى التي تم فيها غصب خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام).

والنبي الأكرم في كلامه يريد أن يوضح حقيقة مفادها، إن تنصيب شخص غير معصوم وليس بناطق عن الله سبحانه سوف لا يفتي ولا يحكم بما انزل الله سبحانه بل يفتي ويحكم بما يراه عقله واجتهاده الشخصي على عكس الحجة فهو يفتي عن الله ويحكم بما أنزل الله سبحانه وهو من سيعيد الأمور إلى نصابها .

متى بدأ التأسيس لهجر الثقلين وما هي التبريرات لذلك

بعد أن اخبرنا آل محمد (عليهم السلام) بأحاديثهم الواردة بكثرة أن الفقهاء سيهجرون السنن ويستبدلوها بسنن اجتهادية ظنية وأن القائم (عليه السلام) عند قيامه سيحيي سنن جده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بقي علينا أن نرى التطبيق العملي للهجران على ارض الواقع. وهنا سندرج ثلاث اقوال كل قول نتحدث فيه عن مرحلة من مراحل هجر سنن أهل البيت (عليهم السلام).

إماتة السنة الشريفة من قبل الفقهاء الذين حملوا السنة ثم لم يحملوها

المرحلة الاولى :

---

[١٥٨] - الوسائل ١٨:٨٣

حارب المحدثون القدامى ظاهرة الطعن بسنة محمد واله (عليهم السلام) في بداياتها من قبل فقهاء الإجتهاد والقياس والاستحسان بكل قوة فمنهم من عذب ومنهم من قتل ومنهم من نفي من وطنه ، وتاريخ معاناة المحدثون ورواة الحديث من قبل فقهاء الإجتهاد حافل بجرائم يندى له جبين الإنسانية قبل الشرع والدين، فقد لاقى أحد المدافعين عن تراث ال محمد (عليهم السلام) ضد فقهاء الاجتهاد محمد الاسترابادي ما لم يلقي غيره من الارهاب والتعذيب فقد حاصر مقلدة فقهاء السوء على اثر فتاوى مراجعهم بيته بمدينة الكاظمية قرب الإمامين الجوادين (عليهم السلام) وتم سحله وعائلته في الشوارع بسبب انه دافع عن محمد واله ودينهم ، ضد الاجتهاد والآراء الشخصية، وينقل السيد رؤوف جمال الدين أن سبب قتل جده الميرزا السيد محمد الأخباري أنه دارت بينه وبين الشيخ جعفر كاشف الغطاء مراسات ومجادلات في مهمات مسائل الأصول فلما انتصر فيها على الشيخ جعفر وأفحمه ولم يستطع الرد على حججه القوية وبراهينه الساطعة واسقط ما في يده وشاع خبر ذلك بين الناس استشاط غضباً وكتب في جوابه حيث لم يكن لديه ما يجيب به (لقد تعجلت بنار الدنيا قبل نار الآخرة).

فكتب اليه الميرزا السيد محمد الأخباري : (لقد توعدتني بما توعد به سلفك جدي الإمام الحسين في يوم عاشوراء في كربلاء) . ثم هجم على السيد في داره في الكاظمية أتباعه وأحاطوا به وبعد مجابهة قتلوه وجماعة كانت معه وصلب ثلاثة أيام.

فهذه هي الصورة الحقيقية للصراع الذي دار في بدايات تغيير الدين المحمدي بين من يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم من أشباه الأحبار والرهبان من جهة وبين من يدافع عن الحق المتمثل بالثقلين من جهة أخرى ، ومن ينذر نفسه للدفاع عن الحق فإنه يعرف مدى التضحيات التي سيدفعها في سبيل الدفاع عن دين الله ضد من يريد تحريفه وتزييفه، فمصير المدافعين عن الحق وأهله الموت بأبشع صوره كما حصل مع أئمتنا (عليهم السلام) فقد قتلوا ومثل بأجسادهم الطاهرة بسبب دفاعهم عن أحكام الله سبحانه كما قال الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم العاشر في كربلاء للمتشيعة الذين قاتلوا تحت لواء أبيه أمثال الشمر الذي كان يسمى فقيه أهل العراق قائلا (عليه السلام): **(يا ويلكم علام تقاتلوني على حق تركته أم على سنة غيرتها أم على شريعة بدلتها)** فهذا حال الدنيا العجيبة فالذي يدافع عن الدين ضد الذين يريدون تخريبه يسمى مبتدع ويقتل شر قتلة والذي يغير ويحرف يسمى حصن الإسلام والمدافع عنه كما كان أنداد أهل البيت ممن استولى على مناصبهم التي نصبهم الله فيها .

أما فقهاء الشيعة المجتهدين فلم يكن حالهم أفضل من حال الذين سبقوهم ، فالتحريف والتغيير الذي أجروه على الدين لم يكن أقل من تغيير أشباههم من فقهاء العامة والأحبار والرهبان بأديانهم ، فقد استحدث فقهاء الاجتهاد قواعد غريبة إنماث تحتها كل الدين، وهذه القواعد تم إستيراد أكثرها من العامة والقسم الآخر قاموا باختراعه بأنفسهم ، وهذه القاعدة التي سنتكلم عنها هنا والتي من خلالها تم تدمير سنن محمد واله (عليهم السلام) ، كانت البداية لتأسيس دين جديد ومخالف لدين الله سبحانه الذي عرفناه من الثقلين (الكتاب والسنة) والقاعدة تقول: (إنّ القرآن قطعي الصدور ظنّي الدلالة، والسُنّة ظنّية الصدور والدلالة).

معنى هذه القاعدة المستحدثة ، أن القرآن غير محرف وصدوره عن الله قطعي يقيني لكن مدلولات آياته ظنية ومتنه غير واضح وكل آياته تحمل وجوه كثيرة ولا يمكن الاعتماد عليه لأخذ أحكام الإسلام وعليه يجب البحث عن مصدر آخر لأخذ أحكام الإسلام منه .

ولهذا السبب بحثوا عن مصدر للتشريع يكون أفضل واوضح من القرآن وأكثر يقيناً منه وبعد هذه التهمة للقران وضعوه جانباً .

أما السنة الشريفة فهي الأخرى قد نالها من هؤلاء الفقهاء أشد مما نال القرآن فالسنة عندهم غير قطعية الصدور ، اي لا يوجد دليل على أن هذه الروايات واردة عن أهل البيت، ولا قطعية الدلالة أي أن الروايات غير مفهومة ولا يمكن الإعتماد عليها لأخذ الأحكام ، فالسنن لا يعدوا كونها ظن بظن عند فقهاء الاجتهاد، أما القياس والظن والاستحسان والاجتهاد فهو عندهم يقين وأفضل من كلام الله سبحانه وكلام الأئمة (عليهم السلام) ويصلح لاستنباط الأحكام وهذا ما حصل بالفعل فكل أحكامهم اليوم ظنية واذا سألت فقيه عن فتواه هل هي يقينية يقول لك لا هي ظنية . فعندها تعرف مدى عظمة المكر الذي مكروا به الثقلين فمن جهة اتهموا القرآن والسنة أنهما ظنيي الدلالة ومن جهة أخرى يفتوك بالظن ويعترفون بذلك .

ويكذب فريتهم على الثقلين بأنهما ظنيي الدلالة والصدر قول رسول الله (ﷺ): **(إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)** [١٥٩].

وقال في روايات اخرى: **(مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها وقع في النار)** وفي رواية " هلك " وفي رواية " غرق " وقال في مواضع أخر: **(مثل أهل بيتي فيكم كباب حطة من دخله كان آمنا)** [١٦٠].

وعلق أبو الصلاح الحلبي في كتابه الكافي للحلبي - - ص ٩٦ – ٩٧ ما نصه (ووجه الاحاديث ، أنه صلى الله عليه وآله أمر على جهة الإخبار بالتمسك بكتاب الله وعترته هي أمان المتمسك بهم من الضلال ، إذ لو كان الخطاء جائزاً على المتمسك لم يكن المتمسك آمنا من الضلال ، ولأنه صلى الله عليه وآله جمع بينهم وبين الكتاب المهيمن على كل حجة في وجوب التمسك ، وذلك مقتض لكونهم حججا يجب الاقتداء بهم كالكتاب ، ولأنه صلوات الله عليه وعليهم أوجب التمسك بهم في كل شيء ببرهان إطلاق التمسك من غير تخصيص ، ولمساواته في ذلك بينهم وبين الكتاب الذي يجب التمسك بجميعه ، وذلك مقتض للاقتداء بأقوالهم وأفعالهم المتعلقة بالتكليف ، وهذا معنى فرض الطاعة الذي لا يستحقه إلا الإمام " الى قوله " ونص على نجاة متبع أهل بيته وأمانه من الضلال).

وهم بجريمتهم هذه قد سقطوا هم ومقلديهم في أحضان الشيطان ، لأن ابتعادهم عن الثقلين ينتج عنه الضلال كما هو واضح ، ونوجه إليهم هذا القول : هل رسول الله (صلى الله عليه

---

[١٥٩] - كمال الدين وتمام النعمة ص٢٤٠

[١٦٠] - كتابه الكافي للحلبي - - ص ٩٧

وآله وسلم) غفل عن ما انتبهتم له من أن الثقلين لا يصلحان لأخذ أحكام الإسلام منهما، ثم إذا كانا لا يصلحان لأخذ الأحكام كما تزعمون فكيف يوجه رسول الله (ﷺ) الناس إلى التمسك بالثقلين وضمن لمن تمسك بهما بعدم الضلالة ابداً فهل خفي عنه (ﷺ) أن كلام الله وكلامه وعترته ظني ولا يصلح التعبد بأحكامهما !!

سأنقل رواية أخرى لبطلان هذه الاراجيف فقد جاء عن أبي عبد الله (عليه السلام)- في حديث - قال : **(يظن هؤلاء الذين يدعون أنهم فقهاء علماء أنهم قد أثبتوا جميع الفقه والدين مما تحتاج إليه الأمة ، وليس كل علم رسول الله ﷺ علموه ، ولا صار إليهم من رسول الله ﷺ ولا عرفوه ، وذلك أن الشيء من الحلال والحرام والأحكام يرد عليهم فيسألون عنه ولا يكون عندهم فيه أثر عن رسول الله ﷺ ويستحيون أن ينسبهم الناس إلى الجهل ويكرهون أن يسألوا فلا يجيبوا ، فيطلب الناس العلم من معدنه ، فلذلك استعملوا الرأي والقياس في دين الله ، وتركوا الآثار ودانوا بالبدع ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : كل بدعة ضلالة ، فلو أنهم إذا سألوا عن شيء من دين الله فلم يكن عندهم فيه أثر عن رسول الله، ردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم)**[١٦١].

وكانت هذه المرحلة الأولى من التأسيس لإلغاء الثقلين من الحياة الناس ولكي يتم فسح المجال لإدخال سنن وقواعد جديدة تتيح لهم التصرف بالأموال والمناصب الإلهية لكي يتم تركيع الناس لهم، فمن غير الممكن أن يمرر المشروع الشيطاني لفقهاء السوء ما دام الناس تدين بالثقلين لأن كل قول فيهما يربط الناس بالله والإمام المعصوم فقط، وبالتالي التعبد بالثقلين يخرج كل من يريد أن يعلوا في الأرض من دائرة الرئاسة التي حذر منها ال محمد (عليهم السلام) وحصروها بهم فقط ، لكن هذا الأمر لا ينفع الشيطان واتباعه لأن الأمر اذا تم كما يريد الله وأهل البيت لا يدخل النار سوى ابليس اللعين وهذا ما لا يقبله ابداً.

المرحلة الثانية:

هذه المرة الطعن بالثقلين جاء من جهة أخرى فبعد أن قللوا من شأن الثقلين من جهة عدم وضوحهما للناس بدأوا ينسبون اليهما النقص وعدم تغطيتهما للأحداث الجارية، فالثقلين كما يقولون كتبت أحكامها جامدة لا تتحرك مع تحرك عجلة الزمن وأحداثه المتجددة، فعليه يجب أن نتدخل لسد الفراغ الذي تركه الله في كتابه وسد الفراغ الذي تركه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة من بعده ، ومن المؤكد بان هؤلاء إذا أرادوا أن يسدوا الفراغ المزعوم فالتكملة لا تكون ربانية بطبيعة الحال لأن الوحي انقطع مع ذهاب صاحبه فيكون سد الفراغ من عقولهم واجتهاداتهم ، وإليكم الدليل على الطعن بالقرآن والسنة من قبل الفقهاء.

---

[١٦١] - وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٢٧ - ص ٦١

العلامة الحلي يقول بعدم تمامية الكتاب والسنة

قال العلامة الحلي في كتاب الألفين يقول : (الوقايع غير متناهية والكتاب والسنة متناهيان)[١٦٢].

وقال في موضع آخر من نفس الكتاب ما هذا نصه: (الوقايع غير محصورة ، والحوادث غير مضبوطة ، والكتاب والسنة لا يفيان بها)[١٦٣].

فكلامه واضح بخصوص أن القرآن والسنة ، وهو يرى أن الثقلين قد توقفت احكامهما عند زمن محدد لأن المستجدات في تطور مستمر والقرآن والسنة لا يفيان بالغرض فوجب الدخول وبالسرعة الممكنة لتكملة ما ينقص الثقلين القرآن والسنة من أحكام لأن الله لم يكمل دينه والرسول ترك فراغ كبير في سنته والفقهاء المجتهدون باستطاعة عقولنا أن تكمل ما بدئه الله سبحانه ورسوله ولم يكملاه ، ولا اطيل بالشرح لكن لنرى أي القولين أصدق قول الله وآل محمد (عليهم السلام) والسنة بأن فيهما كل الأحكام وليس فيهما نقص أم قول الفقيه الذي يزعم أن بهما نقص .

يقول الله تعالى: **{ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }**

قال تعالى **{ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا }**

قوله تعالى: **{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ}**

عن سماعة ، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال قلت له : **(أكل شئ في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله أو تقولون فيه ؟ قال : بل كل شئ في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله)[١٦٤].**

وعن ابي جعفر (عليه السلام)قال: **(خطب رسول الله (ﷺ) في حجة الوداع فقال أيها الناس والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد امرتكم به ، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه)[١٦٥].**

---

[١٦٢] - كتاب الألفين - العلامة الحلي - ص ٢٧

[١٦٣] - كتاب الألفين - العلامة الحلي - ص ٢٨

[١٦٤] - الكافي ج ١ ص ٤٨ - ٥٠ - من كتاب فضل العلم

[١٦٥] - اصول الكافي ج٢ ص٧٤

وما روى عن النبي (ﷺ) حيث يقول : **(أيها الناس حلالي حلال إلي يوم القيامة ،وحرامي حرام إلى يوم القيامة ،ألا وقد بينهما الله عزّ وجلّ في الكتاب وبينتهما لكم في سنتي وسيرتي ، وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدي، من تركها صلح له أمر دينه وصلحت له مروته وعرضه ، ومن تلبس بها وقع فيها وأتبعها كان كمن رعى غنمه قرب الحمى ،ومن رعى ماشيته قرب الحمى نازعته نفسه أن يرعاها في الحمى، ألا وإن لكل ملك حمى، وحمى الله عز وجل محارمه، فتوقوا حمى الله ومحارمه)**[١٦٦].

وقول الإمام الصادق (عليه السلام)**: (ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة)**[١٦٧].

وقوله (عليه السلام): **(ان عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس ،وان الناس ليحتاجون الينا، وان عندنا كتاباً املاء رسول الله وخط علي (عليه السلام) صحيفة فيها كل حلال وحرام)**[١٦٨].

يقول الله سبحانه ومن بعده محمد واله (عليهم السلام) ان القرآن والسنة فيهما تبيان كل شيء حتى ارش الخدش وما اختلف اثنان الا وهناك حكم في القرآن والسنة، وهنا المؤمن مخير بين ان يصدق الله ومحمد واله بأن القرآن والسنة فيهما تبيان كل شيء أو يكذبهما ويصدق الفقهاء المجتهدين .

المرحلة الثالثة :

وبعد أن طعنوا بالثقلين بحجة ظنية دلالتهما اخترعوا هذه المرة عذراً آخر لضرب الثقل الأصغر وهو قيامهم بـتقسيم الروايات حسب صحتها، وهذا الأمر فيه حق من وجه وباطل محض من وجه آخر ، فإذا كانت محاكمة كلام الأئمة (عليهم السلام) بقواعد فسقة العامة وابتداعاتهم فهذا هو الباطل بعينه وهو ما وقع فعلا .

فقد قاموا بتصنيف كلام المعصوم إلى أصناف (ضعيف وحسن وموثق وخبر الاحاد وغيره) وبهذه التقسيمات أماتوا السنة بالكامل فاغلب الروايات دثرت بسبب هذه القواعد الباطلة وزعموا أن السنة (الروايات) الواصلة إلينا أغلبها مكذوبة وغير صحيحة والباقي منها ظني الدلالة ظني الصدور، بمعنى أن السنة لا تصلح لجعلها مرجعاً لأخذ الأحكام، وعليه يجب أن يكون للمذهب الشيعي مراجع أخرى لاستنباط الأحكام مثل (العقل وما يحكم به والقياس والاجتهاد والظن والاجماع).

---

[١٦٦] - وسائل الشيهة ج١٨ ص١٢٤

[١٦٧] - شرح اصول الكافي ج٢ ص٢٨٠

[١٦٨] - الفصول المهمة في اصول الأئمة ج١ ص٤٨٧

إن أول من قسم الأحاديث وفق هذا النظام الباطل هم فقهاء العامة المخالفين لآل محمد (عليهم السلام) ، وكانت نتيجة ذلك أن طرح أغلب ما جاءت به كتبهم من روايات وما أبو حنيفة علينا ببعيد فقد رد كل السنة الواردة عن النبي الاكرم (ﷺ) في كتبهم ولم يصح عنده حسب قواعده المخترعة إلا سبعة عشر حديث أو أقل من ذلك وكان الدافع الحقيقي من تقسيم الأحاديث إلى هذه الأقسام ضرب السنة ليس إلا ليخلوا الجو للفقهاء، وبعد أن يتم اسقاطها من الاعتبار بحجة أنها غير صحيحة الصدور عن النبي (ﷺ) يتم طمس أو الاستيلاء على المصدر الثاني لتشريع الاحكام، فضرب القرآن والسنة بحجج واهية، يعني الغاء ربانية التشريع، وبعد ذلك يأتي الفقيه ويكون هو المشرع بدل الله سبحانه فيحلل ما يشاء ويحرم ما يشاء.

وحصل بالفعل ما أرادوا فقد استولى فقهاء العامة على مصادر التشريع بعد غياب رسول الله (ﷺ) وكانت فتاواهم تعتمد على اجتهادهم وقياساهم العقلية وكان المتضرر من هذه العملية الشيطانية الثقلين فقط ، وكانت لآل محمد (عليهم السلام) مناقشات مع العامة من الذين استبدلوا التشريع الرباني بتشريع (إنسي - شيطاني) فقد ورد أن أبا حنيفة جاء إلى الإمام الصادق (عليه السلام) فقال له الإمام (عليه السلام): **(يا أبا حنيفة إذا ورد عليك شيء ليس في كتاب الله ، ولم تأت به الآثار والسنة كيف تصنع ؟ فقال : أصلحك الله أقيس وأعمل فيه برأيي ، فقال : يا أبا حنيفة ! إن أول من قاس إبليس الملعون ، قاس على ربنا تبارك وتعالى ، فقال : { أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين } قال فسكت أبو حنيفة ، فقال : يا أبا حنيفة ! أيما أرجس ؟ البول ، أو الجنابة ؟ فقال : البول ، فقال : فما بال الناس يغتسلون من الجنابة ، ولا يغتسلون من البول ؟ فسكت ، فقال : يا أبا حنيفة أيما أفضل ؟ الصلاة ، أم الصوم ؟ قال : الصلاة ، قال : فما بال الحائض تقضي صومها ، ولا تقضي صلاتها ؟ فسكت)**[١٦٩].

وقول الإمام الصادق (عليه السلام) لأبي حنيفة **(إذا ورد عليك شيء ليس في كتاب الله ، ولم تأت به الآثار والسنة)** ليس اعترافاً له بأن الثقلين لم يرد فيهما كل حكم بدليل قول الإمام الصادق (عليه السلام) في روايات كثيرة يقول فيها بعدما سأله سعد بن عبد الله الأعرج قال: **(قلت لأبي عبد الله إن من عندنا ممن يتفقه يقولون يرد علينا مالا نعرفه في الكتاب والسنة فنقول فيه برأينا ، فقال كذبوا ليس شيء إلا وقد جاء في الكتاب وجاء في السنة)**[١٧٠].

بل كان قول الإمام من باب الاحتجاج لكي يجعله يقر بما يعتقد به من ضلالات ومن ثم يفند مزاعمه ويثبت خطأه.

والإمام الصادق (عليه السلام) لم يتهاون مع هذا الأمر الخطير فقد جعل أبا حنيفة اضحوكة بين الجالسين وبين كيف أنه مشتبه في زعمه وبين له أيضاً أنه ومن يعتقد بعدم تمامية القرآن

---

[١٦٩] - بحار الأنوار ج٢ ص٢٩٣

[١٧٠] - بصائر الدرجات ص٣٩١

والسنة ضال مضل، وفي نفس الوقت أراد الإمام أن يبين لأبا حنيفة ولغيره أن المعصوم هو فقط من يستطيع فهم الثقلين وهو فقط منصوص عليه من قبل الله سبحانه، ومن ادخل نفسه في هذا الأمر ملعون ، كما صرحت بذلك كثير من الروايات الشريفة ،أضف إلى ذلك أن كل من اعتقد بعدم تمامية القرآن والسنة آيل إلى الفضيحة كما جرى لأبي حنيفة الملعون وفي الآخرة ينتظره عذاب الله الأكبر.

وينسحب كلام الإمام الصادق (عليه السلام) على كل فقيه يقول بالقياس والاجتهاد ويعمل به فلا فرق بين الفقيه السني أو الشيعي فلا يحق لأحد أن يخرب الدين بأي حجة ، وفقهاء الشيعة سلكوا مسك أبا حنيفة الملعون وأشباهه.

أعداء آل محمد أول من صنف الأحاديث

كان الحديث يصنف إلى صنفين حديث صحيح وآخر مكذوب ، وجعل النبي (ﷺ) قاعدة لمعرفة صحت الأحاديث قائلاً في خطبته بمنى **: (أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله ، فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله ، فلم أقله)**[١٧١].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : (خطب النبي (ﷺ) بمني ، فقال : **(أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله)**[١٧٢].

وعن أيوب بن الحر قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : **(كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)**[١٧٣].

عنه ، عن أبي أيوب المدايني ، عن إبن أبي عمير ، عن الهشامين جميعاً وغيرهما قال : **(خطب النبي (ﷺ) ، فقال : أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف القرآن فلم أقله)** [١٧٤]وهناك روايات كثيرة جداً بهذا الخصوص .

إن معرفة صحة الحديث كما امر الله سبحانه تكون بعرضها على القرآن في زمن النبي (ﷺ) وبعد زمانه تعرض على القرآن والسنة الشريفة فقط وكان المسلمون يعملون بهذه القاعدة التي سنها رسول الله (ﷺ) لكن العامة بعد غياب رسول الله خالفوا الوصية وتنكبوا على هذه القاعدة النبوية ، فصنفوا الأحاديث إلى أصناف كثيرة منها الحسن والضعيف والموثق وغيره وبعد طرح هذه التسميات على النصوص سقط اغلبها، فقد جاء في كتاب

---

[١٧١] - عوائد الأيام للمحقق النراقي ص٤٦٨

[١٧٢] - الكافي - ج ١ ص٦٩

[١٧٣] -- الكافي - ج١ ص ٦٩

[١٧٤] - بحار الأنوار ج٢ص٢٤٢

أضواء على السنة المحمدية ـ محمود أبو رية ـ ص ٣١٨ ما نصه (الترمذي هو أول من قسم الحديث صحيح ، وحسن ، وضعيف ، وكان قبله لا يقسم إلا إلى صحيح وغير صحيح) وتبعه أهل ملته من بعده فالحديث كان يصنف إلى صحيح وغير صحيح قبل هذه التسميات الجديدة عند العامة .

فقهاء الشيعة يسلكون مسلك العامة في تقسيم الحديث

كان الشيعة في زمان الائمة (عليهم السلام) إذا ورد عليهم حديث وأرادوا معرفة صحته جاؤوا الى المعصوم (عليه السلام) وسألوا عن ذلك وكان الحديث عندهم أما صحيح وصادر عن العترة أو مكذوب عليهم ، والمكذوب يرد علمه إلى أهله وهم آل محمد (عليهم السلام)، وكان الشيعة يعملون على هذه الطريقة لمعرفة الأحاديث إلى أن غيب المعصوم (عليه السلام) فانقسم الشيعة إلى قسمين ، قسم وهم القلة تمسكوا بما أمرهم به الائمة (عليهم السلام) بعدم رد الحديث وان اشمأزت منه قلوبهم، فالرد اليهم (عليهم السلام) وهو الحل والخلاص لمعرفة الحديث الصحيح من غيره ، أما القسم الثاني وهم الأكثر اتبعوا فقهاء الاجتهاد الذين خرجوا عما كان عليه الشيعة من الالتزام بما قرره الأئمة (عليهم السلام) من عرض الحديث على القرآن والسنة والرد اليهم (عليهم السلام) .

فكانت لهم طريقة لمعرفة الحديث الصحيح من المكذوب وهو ما سار عليه فسقة العامة من عرض الحديث على عقولهم فإذا استحسنت عقولهم الحديث قبلوه وان رفضته رفضوه فكان العقل هو الحاكم على كلام الائمة (عليهم السلام).

وهناك طريقة اخرى لمعرفة الأحاديث ايضاً استوردوها من فسقة العامة وهو عرض الحديث على علم الرجال ، ومنهجهم هذا مخالف لمنهج محمد وآله الأطهار (عليهم السلام) الذي وضعوه لمعرفة الحديث لان علم الرجال أو الأصول هو علم وضعه فسقة العامة ولا يمت بصلة إلى آل محمد (عليهم السلام) بل هو على العكس من منهج ال محمد وبالضد منه تماماً.

والدليل على أن منهجهم لمعرفة الاحاديث استوردوه من فسقة العامة اعتراف الفقيه محمد باقر البهبودي الذي قال في مقدمة زبدة الكافي ما نصه (حتى أواخر القرن السابع ، بقى معياراً للصحة والاعتبار الشرطان اللذان تقدم تحديدهما ، من حيث استنادهما إلى القرآن والسنة ، وقد تقدم شرح مختصر لهما في مستهل كلامنا . غير أنه ـ ومنذ أواخر القرن السابع ـ برز ميل جديد ، فمتابعة لعلماء أهل السنة تعين معيار جديد لصحة الحديث : فقد تقرر بموجب هذا الاتجاه الجديد أن صحة الحديث يحددها ـ فقط ـ سند الحديث : وقاموا ـ على هذا الأساس

ـ بتقسيم أحاديث الكتب الأربعة إلى خمسة أقسام : حديث صحيح وحديث حسن وحديث موثق وحديث قوي وحديث ضعيف)

فقد كان الشيعة ومحدثوهم يعرفون الحديث الصحيح من غيره من خلال عرضه على الثقلين الكتاب والسنة حتى القرن السابع وبعده اتت البدع تترى من فسقة العامة إلى مذهب آل محمد (عليهم السلام) بجهود فقهاء الاجتهاد المتأخرين فهم من ساهموا في سلخ دين الحق واستبداله بدين العامة والمعتمد على الاجتهاد والظن والقياس وكل بدعة، وقول الفقيه (تقرر بموجب هذا الاتجاه الجديد) أي أنه جديد على دين آل محمد (عليهم السلام) وجديد على الشيعة فقبل هذا الاتجاه كان الامر مختلف تماماً، وقوله (بموجب هذا الاتجاه الجديد أن صحة الحديث يحددها ـ فقط ـ سند الحديث).

وبعد دخول هذا المنهج الغريب إلى الدين تغيرت طريقة معرفة الحديث فالشيعة ومحدثوهم كانوا يعتمدون على ما قاله الله سبحانه ومحمد واله (عليهم السلام) لمعرفة صحة الحديث وهو عرض الحديث على الثقلين، ولكن بعد القرن السابع تغير المنهج ، فبدأنا نسمع تقسيمات جديدة لم نكن نعرفها من قبل ولم يشير اليها آل محمد (عليهم السلام) في رواياتهم وهي تقسيمات العامة للحديث بتقسيم أحاديث الكتب الأربعة إلى خمسة أقسام : حديث صحيح وحديث حسن وحديث موثق وحديث قوي وحديث ضعيف.

وجاء في كتاب مرآة الكتب ـ التبريزي ـ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ما نصه : (السيد أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن طاووس الحسني هو أخو السيد رضي الدين علي بن طاووس لأبيه وأمه . ذكره تلميذه ابن داود في رجاله وأثنى عليه غاية الثناء . وهو (رحمه الله) كان مجتهدا واسع العلم ، إماما في الفقه والأصولين . وهو أول من قسم الحديث إلى أربعة أقسام ، وتبعه في ذلك وشيده تلميذه العلامة الحلي).

فقبل هذين المجتهدين لم يقسم الحديث عن الشيعة هذا التقسيم، وأول من قسم الأحاديث هم العامة وجاء في كتاب إرشاد الأذهان ـ العلامة الحلي ـ ج ١ ـ ص ٦٦ ما نصه : (نعم وهذا العلامة هو أول من قسم الحديث إلى أقسامه المشهورة ، قال السيد الأمين : اعلم أن تقسيم الحديث إلى أقسامه المشهورة كان أصله من غيرنا ، ولم يكن معروفا بين قدماء علمائنا) وقول العلامة السيد الامين " اصله من غيرنا " اي من غير مذهب آل محمد (عليهم السلام) بل هو أجنبي على المذهب ولم يأمر به الأطهار (عليهم السلام) في رواياتهم.

إن الفقهاء المجتهدين مولعين بمذهب فسقة العامة فما من فعل أو قاعدة مخترعة إلا وادخلوها إلى دين آل محمد (عليهم السلام) ، فلما ادخل الحلي هذه وغيرها من هادمات الدين وصفوه كأحد المحدثين الذين هدموا الدين حيث جاء في كتاب منتهى المطلب (ط.ج) ج ٣ ـ ص ترجمة المؤلف ٢٤ : (وبالغ بعض متعصبة الأخبارية فقال : هدم الدين مرتين ، ثانيتهما : يوم أحدث الاصطلاح الجديد في الأخبار . وربما نقل عن بعضهم جعل الثانية : يوم ولد العلامة الحلي)

رواة الحديث يردون أصحاب الاجتهاد حول تصنيف الروايات

كان الرد حازم من قبل المحدثين والرواة على المجتهدين الذين قسموا الاحاديث على طريقة العامة، فلم يكن هذا التقسيم موجوداً قبل العلامة الحلي وشيخه أبن طاووس مما جعل المولى الاسترابادي وجمهور الإخباريين يعارضون هذا التقسيم الموضوع بعد أن قبله فقهاء الأصوليين إلى يومنا هذا وجعلوه دستوراً في معرفة الأحاديث وقد علق الاسترابادي على هذا التقسيم قائلاً : (إعلم أن تقسيم الحديث إلى أقسامه المشهورة كان أصله من غيرنا، ولم يكن معروفا بين قدماء علمائنا وأول من استعمل ذلك الاصطلاح العلامة الحلي، فقسم الحديث إلى الصحيح والحسن والموثق والضعيف والمرسل وغير ذلك، وتبعه من بعده إلى اليوم)[١٧٥].

ويقصد بغيرنا هم علماء أهل السنة فهم أول من عمل بهذه القواعد وحاكموا كلام الرسول الأعظم، ومنهم أبا حنيفة فقد اسقط كل الروايات الواردة عن النبي الاكرم (ﷺ) ولم يصح عنده حسب قواعده وتقسيماته إلا سبعة عشر حديث أو دون ذلك وقد سار فقهاء الاجتهاد الشيعة بعد غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)على ما سار عليه أبناء العامة حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل وما اخطأوا طريقهم قيد انملة.

وقال الحر العاملي في الوسائل ما نصه : (الاصطلاح الجديد موافق لاعتقاد العامة واصطلاحهم ، بل هو مأخوذ من كتبهم كما هو ظاهر بالتتبع ... وقد أمرنا الأئمة عليهم السلام باجتناب طريقة العامة)[١٧٦].

وقال أيضاً : (إن هذا الإصطلاح مستحدث في زمان العلامة ، أو شيخه أحمد أبن طاووس كما هو معلوم ، وهم معترفون به . وهو اجتهاد وظن منهما فيرد عليه جميع ما مر في أحاديث الاستنباط ، والاجتهاد ، والظن في كتاب القضاء وغيره . وهي مسألة أصولية لا يجوز التقليد فيها ولا العمل بدليل ظني ، اتفاقا من الجميع ، وليس لهم هنا دليل قطعي ، فلا يجوز العمل به . وما يتخيل - من الاستدلال به لهم - ظني السند أو الدلالة ، أو كليهما ، فكيف يجوز الاستدلال بظن على ظن ، وهو دوري ؟ ! مع قولهم عليهم السلام : شر الأمور محدثاتها)[١٧٧].

---

[١٧٥] - أعيان الشيعة- محسن الامين- ج ٥ - ص ٤٠١
[١٧٦] - وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٣٠ - ص ٢٥٩
[١٧٧] - وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٣٠ - ص ٢٦١

وقد ذكر صاحب المنتقى : (أن أكثر أنواع الحديث المذكورة في دراية الحديث بين المتأخرين من مستخرجات العامة، بعد وقوع معانيها في أحاديثهم ، وأنه لا وجود لأكثرها في أحاديثنا)[١٧٨].

إن نتائج التصنيف التي خرج بها الأصوليون وفق تقسيم العلامة الحلي للأحاديث واعتمادهم المطلق عليه أنهم وزنوا على سبيل المثال أحاديث الكافي بالجملة على ذلك التقسيم فنتج عن ذلك أن الكافي يشتمل على؟١٦١٢١؟ حديث منها ؟٥٠٧٢؟ حديث صحيح و؟٩٤٨٥؟ حديث ضعيف والباقي بين موثوق وحسن وغيرها من التسميات، إلا أن ما يهمنا بيانه هو عدد الصحيح وعدد الضعيف والملاحظ بأن عدد الضعيف يساوي ضعف الصحيح تقريباً بل أكثر بكثير حيث ذكر السيد مرتضى العسكري ما هذا نصه : ؟وقد ألف أحد الباحثين في عصرنا صحيح الكافي اعتبر من مجموع ١٦١٢١ حديثاً من أحاديث الكافي ٣٣٢٨ حديثاً صحيحاً وترك ١١٦٩٣ حديثاً منها لم يراها حسب إجتهاده صحيحة [١٧٩].

وقال أيضاً : (وان أقدم الكتب الأربعة زمانا وأنبهها ذكراً وأكثرها شهرة هو كتاب الكافي للشيخ الكليني ، وقد ذكر المحدثون بمدرسة أهل البيت ان فيها خمسة وثمانين وأربعمائة وتسعة آلاف حديث ضعيف من مجموع ١٦١٢١ حديث)[١٨٠].

وبعد أن رفض الإخباريون طريقة العلامة في تقسيم الأحاديث قاموا ببيان عقيدتهم حيث قالوا بصحة جميع الأخبار خصوصاً الواردة في الكتب الأربعة وغيرها من الكتب الأخرى واعتبروها قطعية الصدور عن المعصوم (عليه السلام) واقاموا الأدلة على اعتقادهم، منها ما ذكره الحر العاملي في الفائدة التاسعة في ذكر الأدلة على صحة أحاديث الكتب المعتمدة في كتابه وسائل الشيعة حيث ذكر اثنان وعشرين وجه استدل ببعض هذه الوجوه على صحة الكتب الاربعة وقطعية صدور رواياتها عن المعصومين (عليهم السلام) وكان دليله في قوله : (شهادة الشيخ ، والصدوق ، والكليني ، وغيرهم من علمائنا بصحة هذه الكتب والأحاديث ، وبكونها منقولة من الأصول والكتب المعتمدة . ونحن نقطع - قطعا ، عاديا ، لا شك فيه - : أنهم لم يكذبوا ، وانعقاد الإجماع على ذلك إلى زمان العلامة)[١٨١].

أما محمد باقر البهبودي صاحب كتاب صحيح الكافي فقد اسقط أكثر من ٧٩% من أحاديث الكافي الشريف حسب إجتهاده !! كما يقول مرتضى العسكري وقد اسقط أصحاب الرجال من فقهاء الأصوليين أكثر من ٥٨% من أحاديث الكافي الشريف على حسب إجتهادهم أيضاً

---

[١٧٨] - منتقى الجمان - ج ١ - ص ١٠

[١٧٩] - معالم المدرستين - السيد مرتضى العسكري - ج ٣ - ص ٢٨٢ – ٢٨٣.

[١٨٠] - معالم المدرستين - السيد مرتضى العسكري - ج ٣ - ص ٢٨٢.

[١٨١] - وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٣٠ - ص ٢٥٨

وهل يعقل أن يؤلف ثقة الإسلام الكليني وهو من المعاصرين لنواب الإمام المهدي (عليه السلام) كتاباً يحوي على أكثر من (٧٩% أو ٥٨%) من أحاديثه ضعيفة فهل يتصور احد أن الكليني لم يعرض كتابه على نواب الإمام وهو قريب منهم!!

الخلاصة مما تقدم من المراحل الثلاثة يثبت بأن سنن محمد واله (عليهم السلام) تم هجرها من قبل فقهاء السوء الذين شبههم الائمة (عليهم السلام) بالأحبار والرهبان الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها.

بعد أن اثبتنا بأن فقهاء الشيعة المجتهدين هجروا الثقلين "الكتاب والسنة " بالأدلة القاطعة وبالاعترافات الواضحة كما فعل اشباههم من الأحبار والرهبان، بقي علينا أن نشير إلى بعض الصفات والأفعال والسلوكيات المشتركة بين فقهاء اليهود والنصارى وفقهاء الشيعة المجتهدين كما سيأتي.

الصفات والافعال والسلوكيات المشتركة بين فقهاء اليهود والنصارى وفقهاء الشيعة المجتهدين

اولاً : تطويل اللحى بين الأحبار والرهبان والفقهاء

ثانيا : أكل السحت (الأموال المحرمة) بين الأحبار والرهبان والفقهاء

ثالثاً : بدعة التقليد بين الأحبار والرهبان والفقهاء

رابعاً : التفاخر بالانتساب الى الرسل بين الاحبار والرهبان والفقهاء

خامساً: تقبيل الأيادي بين الأحبار والرهبان والفقهاء

أولا: تطويل اللحى بين الأحبار والرهبان والفقهاء

كان علماء اليهود يطيلون لحاهم وقد عرفوا بهذه الصفة وكان السبب لتطويل لحاهم هو لخداع العوام ليس إلا ، لأن العوام يتصورون أن الفقيه إذا كانت لحيته طويلة فهي دلالة على علمه وصدقه كما يتصورون، وبهذه الخدع وصل الرهبان إلى غاياتهم من تسلطهم على عوامهم وكذلك الحال مع فقهاء السوء فقد تشبهوا بالأحبار والرهبان واطلقوا لحاهم لكي يخدعوا مقلديهم، فلا تكاد تجد فقيها إلا ولحيته تصل إلى أكثر من شبر ونصف ، وبهذا قد تشبهوا بمن لا يجوز التشبه بهم وهم الأحبار والرهبان هذا أولا . وثانياً خالفوا أمر الأئمة (عليهم السلام) الذين أمروا بعدم اطالة اللحى أكثر من قبضة اليد.

وعن ابي حمزة عمن أخبره عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : **(ما زاد على القبضة ففي النار يعني اللحية)**[١٨٢].

أفبعد كل هذا يصح منا أن نتشبه بالمجوس واليهود وفرعون مع كل ما ورد من النهي عن ذلك!! وقد جاء في الحديث الشريف المروي عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : **(مر بالنبي (ﷺ) رجل طويل اللحية فقال : ما كان على هذا لو هيأ من لحيته فبلغ ذلك الرجل فهيأ لحيته بين اللحيتين ثم دخل على النبي (ﷺ) فلما رآه قال هكذا فأفعلوا)**[١٨٣].

فالحد الشرعي للحية كما قرره الأئمة (عليهم السلام) أربع أصابع (قبضة) أو أقل من ذلك فإذا زادت عن ذلك دخل صاحبها النار لمخالفته الله ورسوله فالمؤمن الورع يحتاط في اي تكليف شرعي لكي لا يقع في المحذور بل يجب عليه يجعل لحيته أقل من أربعة أصابع لأن اللحية تطول كما هو معلوم فإذا زادت خالف الشرع فالأفضل جعلها دون القبضة .

وإذا نظرنا اليوم إلى لحى الفقهاء نراهم قد اطالوها بشكل ملفت ومخالف للحد الشرعي الذي بينه الأئمة في رواياتهم الشريفة ما يجعلهم يشبهون الأحبار والرهبان في هذا الأمر ، ولم تدلنا الروايات على أن الأنبياء والرسل كانوا يطيلون لحاهم بل كان الفراعنة والطواغيت وفقهاء السوء هم من يطيلون لحاهم.

فقد جاء عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (عليه السلام) قال في كلام طويل حول قصة موسى (عليه السلام): **(فلما درج موسى كان يوماً عند فرعون فعطس موسى فقال الحمد لله رب العالمين ، فأنكر فرعون عليه ولطمه وقال ما هذا الذي تقول فوثب موسى على لحيته وكان طويل اللحية فهلبها أي قلعها فآلمه ألماً شديداً بلطمه اياه فهم فرعون يقتله فقالت امرأته هذا غلام حدث لا يدري ما يقول ، فقال فرعون بل يدري ، فقالت إمرأته ضع بين يديه تمراً وجمراً فقالت ان ميز بينهما فهو الذي تقول فوضع بين يديه تمر وجمر وقال له كل فمر يده الى التمر فجاء جبرائيل فصرفها الى الجمر)**[١٨٤].

---

[١٨٢] - الحدائق الناظرة ج٥ ص٥٥٩

[١٨٣] - نفس المصدر

[١٨٤] - بحار الأنوار ج١٣ ص٢٦

ثانيا: اكل السحت " الاموال المحرمة " بين الأحبار والرهبان والفقهاء

قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ** } [١٨٥].

إن فقهاء اليهود والنصارى بعد أن جلسوا مجلس الأنبياء والأوصياء بحجة أن تقليدهم واجب كما قالوا لمقلديهم أكلوا أموال من تبعهم بالباطل من غير وجه حق، فكانوا يختلقون الحجج البالية لاستنزاف أموال مقلديهم وأخذ أقواتهم بحجة أن الشرع أوجب عليهم دفع الأموال لهم لأنهم - أي الأحبار او الرهبان - هم الحجة على الناس بعد الأنبياء والأوصياء، ولم يرضى الله لهم هذه السرقة المشرعنة ، فذمهم القرآن على ذلك كما في الآية أعلاه، ثم اعقب ذلك سبحانه بقوله { **وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** } ويفهم من هذه الآية أن الأموال بعد السرقة يتم إنفاقها للصد عن سبيل الله أي بطرق محرمة وغير شرعية، والملاحظ أن الأحبار سبقوا الرهبان بأكل أموال مقلديهم وسبحان الله كيف أن الرهبان ساروا على سنة الأحبار في سرقة أموال مقلديهم فصدق الله حينما قال: { **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.** } فما هي إلا سنن تنطبق على كل أمة .

أما الفقهاء المتشيعة فقد ساروا على ما سار عليه أشباههم من الأحبار والرهبان من أكل أموال الناس بالباطل، فكما أوجب الأحبار والرهبان على مقلديهم دفع الأموال لهم بحجج غير شرعية فكذلك فقهاء الشيعة أوجبوا على مقلديهم دفع الأموال لهم بحجج غير شرعية لا تستند الى دليل معتبر ، فقد قاموا بسرقة أموال الخمس ، فالخمس من الأمور التي أوجبها الله تعالى على المكلف بأن يدفع خمس أمواله للرسول (ﷺ) وبعد الرسول الأكرم يكون دفع الأموال للإمام المعصوم (عليه السلام) ولكن بعد غيبة الإمام اختلف الأمر فاحتار الناس فلم يعرفوا إلى من تعطى هذه الأموال ، والإمام صاحب الخمس غائب ، فكانت هذه الفترة فرصة ذهبية للفقهاء لاستحواذ على أموال الإمام وهو غائب فصدرت الفتاوى على أن الخمس يجب دفعه إلى الفقيه في الغيبة. فاستجاب الناس لهذه الفتوى واستجابتهم لهذه الفتوى كانت لسببين الاول جهلهم بروايات أهل البيت التي تحرم اعطاء الخمس لغير الإمام المعصوم وثانياً ان الناس كانوا تثقون بالفقيه ولا يتوقعون ان يكذب عليهم لأجل سرقة أموال الإمام.

فهذين السببين دفعت الناس لتسليم أموال الإمام الغائب إلى الفقيه وكانت هذه السرقة المشرعنة من قبل الفقهاء، فالخمس قد جعل الإمام شيعته منه في حل بعد الغيبة بنص صريح ، ولكن الفقهاء كذبوا على عوام الناس وسلبوا أموال الإمام منهم بحجج واهية ليست من الشريعة في شيء.

---

[١٨٥] - **التوبة ٣٤**

وهذا ما ورد في مكاتبة الإمام المهدي (عليه السلام)الى محمد بن عثمان العمري: **(.... أما الخمس فقد أبيح لشيعتنا وجُعلوا منه في حل الى وقت ظهور أمرنا ...)**[١٨٦].

ثالثا: بدعة التقليد بين الاحبار والرهبان والفقهاء

الشيعة يعبدون فقهاءهم كما عبد اليهود والنصارى الأحبار والرهبان

أوجب الأحبار والرهبان على عوام اليهود والنصارى تقليدهم بأمور الدين، وقد أشار القرآن إلى هذا الأمر بقوله تعالى: { **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** } فالعبادة هنا معناها الطاعة المطلقة فقد جاء عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)قال: **(قلت له :{ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله}، فقال: أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم ما أجابوهم ولكن أحلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا، فعبدوهم من حيث لا يشعرون)**[١٨٧].

أما اليهود فهم قلدوا فقهاءهم (الأحبار) بعد غياب النبي موسى ووصيه يوشع (عليهما السلام) فالفراغ الحاصل بغياب الحجة أثار شهوة الأحبار التسلطية فاستغلوا الفرصة بطرح انفسهم كبديل للنبي في غيبته وما كان من العوام الجهلة إلا أن باركوا هذا البديل فتمت الطبخة بجلوس الأحبار في مجلس النبي ، وبقوا متسلطين على الناس يعيثون في الأرض فساداً وفي الشريعة تخريباً إلى أن أظهر الله نبيه عيسى (عليه السلام) فلاقى من الأحبار ومقلديهم أشد مما لاقى موسى من فرعون وملائه، فقد بين النبي عيسى (عليه السلام) كيف جلس هؤلاء على كرسي موسى (عليه السلام) بعد غيابه قائلاً لليهود : **(على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس: فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ويحبون المتكأ الأول في الولائم، والمجالس الأولى في المجامع والتحيات في الأسواق ، وأن يدعوهم الناس:**

---

[١٨٦] - الإستبصار ج : ٢ ص : ٥٧

[١٨٧] - الكافي ج١ ص٥٣

سيدي، سيدي وأما أنتم فلا تدعوا سيدي، لأن معلمكم واحد المسيح، وأنتم جميعا إخوة)[188]

كان مجيء النبي عيسى (عليه السلام) بمثابة الزلزال على سلطان الأحبار، فقد نسف عروشهم التي بنوها على الكذب والخداع والحرام وفضح كذبتهم التي كذبوها على عوام اليهود، من أنهم نواب النبي موسى وحججه وبابه الذي منه يؤتى بعد غيبته وكشف زيفهم للعوام وبين كل مثالبهم للعلن فلم يدخر جهداً إلا بذله لتعريتهم أمام مقلديهم وأمام كل الناس .

أما النصارى ورهبانهم فكما حصل مع اليهود بعد غياب الحجة (عليه السلام) - موسى ووصيه - من استيلاء فقهاء اليهود على منصب الحجة ، فكذلك جلس الرهبان في مجلس النبي عيسى (عليه السلام) بعد غيبته وبنفس الطريقة فما أن خلت الساحة من حجة الله ظاهر للناس إلا واستغل الرهبان الفراغ بطرح انفسهم كبديل للحجة ، وتم الأمر وتربع الرهبان على كرسي الحجة في غيابه، وكان النصارى فرقتين في ذلك الوقت فرقة تسمى البروتستانت وهؤلاء لا يعترفون بتقليد الرهبان وهم قلة قليلة، اما الكثرة فهم من اعتقد بالتقليد لغير النبي امثال الرهبان ، فقد جاء عن الانبا شنودة زعيم الاقباط في الشرق قائلا : (والبروتستانت لا يؤمنون بالتقليد ولا يلتزمون الا بالكتاب المقدس وبهذا يتركون كل التراث الذي تركته الاجيال السابقة للكنيسة ، كل ما تركه الآباء والرسل ، وآباء الكنيسة الاولى والمجامع المقدسة والقوانين والنظم الكنسية ، وما في الكنيسة من طقوس ومن نظم ، وما اخذناه من تعليم شفاهي عبر هذه الاجيال الطويلة كلها) [١٨٩] .

فالبروتستانت خالفوا الفرقة التي نصبت الرهبان في مجلس الحجة ، وهذا الخلاف موجود إلى الآن بين الفرقتين وما أشبهه بالخلاف بين فقهاء الاصول والتقليد وبين الفرقة الإخبارية لدى الشيعة كما مر ذكره .

وعندما بعث الله نبيه الكريم دعا النصارى إلى الإسلام لكن الذي حصل أن الرهبان واجهوا رسول الله بالتكذيب والإعراض ومنعوا مقلديهم من الحاق بركب رسول الله (ﷺ) وضللوهم عن الحق الذي جاء به النبي الأكرم (ﷺ) وما كان من المقلدين إلا أن التزموا بأمر الرهبان فلم يلتحق برسول الله (ﷺ) إلا القليل ممن هدى الله ونبذ التقليد لهؤلاء ، فكان التقليد هو العقبة العظمى أمام عوام النصارى للعبور إلى بر الأمان المتمثل برسول الله (ﷺ) فبطاعتهم لرهبانهم وإعراضهم عن الرسول (ﷺ) ومعصيتهم لله عز وجل استحقوا أن بشرهم الله بدخول النار خالدين فيها هم ومن قلدوه أمر دينهم من الرهبان.

نأتي الآن إلى أشباه الأحبار والرهبان (فقهاء الإمامية) فنقول: إن الذي جرى على اليهود والنصارى جرى وبنفس الشاكلة والمضمون على الشيعة، فبعد غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) قام فقهاء السوء بالتسلل بأسرع من لمح البصر على منصب إمام الزمان (عليه

---

[١٨٨] - أنجيل متى - الاصحاح ٢٣

[١٨٩] - اللاهوت المقارن ج١ ص ٥١ / الطبعة الثانية القاهرة ١٩٩٢

السلام) وعضوا بالنواجذ على منصبه الإلهي، وما كان من الشيعة إلا أن صفقوا بحرارة لسد الفراغ الذي أحدثه غياب الإمام المهدي (عليه السلام)عنهم وكأنهم فرحوا بغيبته، غافلين ومتغافلين عن أن الإمام لم يتركهم رغبة في الغيبة بل لأن الشيعة في ذلك الزمان قد هجروا باب السفراء ولجأوا إلى الفقهاء ، فلم يغب الإمام الغيبة الكبرى بل الناس هي من غيبته في غيابة الجب كما فعل أخوة يوسف.

فأسرعت هذه الأمة الجاحدة لتنصب بديلاً عن الإمام كأنهم نسوا او تناسوا نهي الائمة (عليهم السلام) من تنصيب رجل دون الحجة وتصديقه في كل ما يقول ، لكن ماذا نقول والسنن تأبى إلا أن تجري على كل الأمم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، فقد جاء عن الأئمة (عليهم السلام) في النهي عن تقليد غير المعصوم روايات كثيرة تنهى الشيعة عن فعل مثل هكذا أمر عظيم وأكدت روايات اخرى كثيرة على أن المعصوم إذا غاب فمنصبه لا يليق بغيره ومحرم تنصيب أحد دونه ، كما فعل العامة بعد غياب رسول الله (ﷺ) .

لذلك فقد دخل الشيعة كما دخلت الأمم السابقة في عبادة رجال الدين وهذا ما أشار إليه واضحا الإمام ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) حيث قال لاحد اصحابه : **(إياكم والتقليد ، فإنه من قلد في دينه هلك إن الله تعالى يقول : { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله } فلا والله ما صلوا لهم ولا صاموا ، ولكنهم أحلوا لهم حراماً ، وحرموا عليهم حلالاً، فقلدوهم في ذلك ، فعبدوهم وهم لا يشعرون)**[١٩٠].

باب عدم جواز تقليد غير المعصوم ممن يقول برأيه

بإسناده عن رسول الله (ﷺ) ، أنه قال : **(حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)**[١٩١] وقوله (ﷺ) **(اذا لم يبق عالم)** إشارة إلى الغيبة ففي الغيبة فُقد العالم وعندها احتاج الناس إلى من يفتيهم لكنهم وقعوا بالذي ادهى وامر واذا بهم جعلوا (رؤساء جهالا) في منصب المعصوم وبدل من أن يهديهم إلى الحق وإذا به يزيدهم ضلالاً إلى ضلالهم.

وعن علي (عليه السلام) أنه قال: **(فإذا كان كذلك اتخذ الناس رؤساء جهالا ، يفتون بالرأي ويتركون الآثار ، فيضلون ويضلون ، فعند ذلك هلكت هذه الأمة)**[١٩٢].

عن أبي عبد الله (عليه السلام)، أنه قال: **(من دخل في هذا الدين بالرجال ، أخرجه منه الرجال ، ومن دخل فيه بالكتاب والسنة ، زالت الجبال قبل أن يزول)**[١٩٣].

---

[١٩٠] - تصحيح اعتقادات الإمامية - الشيخ المفيد - ص ٧٢ - ٧٣ مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٧ - ص ٣٠٧ - ٣١١

[١٩١] - الحدائق الناظرة ج١٠ ص٦٢

[١٩٢] - تحف العقول ص٣٦

وعن المفضل بن عمر ، قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام)**: (من دان الله بغير سماع من عالم صادق ، ألزمه الله التيه إلى الغنا ومن ادعى سماعا من غير الباب الذي فتحه الله لخلقه ، فهو مشرك به ، وذلك الباب هو الأمين المأمون على سر الله المكنون)**[١٩٤].

وفي قول الإمام (عليه السلام): **(ومن ادعى سماعا من غير الباب الذي فتحه الله لخلقه ، فهو مشرك به)** هدم لكل أدلة الفقهاء على وجوب تقليدهم ، لأن الباب الذي فتحه الله لعباده هو الإمام المعصوم فقط والروايات التي تؤكد أن باب الله هم آل محمد (عليهم السلام) كثيرة جداً ، ومن ادعى أنه باب الله فهو كذاب أشر وادعاءه لهذا الأمر كذب سيحاسب عليه.

والحديث يؤكد على أمر آخر وهو أن من أخذ معالم دينه من غير الباب الذي فتحه الله وهو المعصوم المرتبط بالله فقد أشرك به أي أشرك بالإمام المنصب من قبل الله سبحانه ، لسبب أن فقهاء السوء يفتقرون إلى الاتصال بالسماء .

وهناك الكثير من الاحاديث الشريفة التي تنهى بكل وضوح عن تقليد غير المعصوم تركناها للاختصار، ولكثرة ما تواتر عن الائمة من النهي عن تقليد غير المعصوم قال المحدثون القدامى في تصنيفاتهم إن التقليد محرم عن الشيعة الا للمعصوم (عليه السلام) .

فقد جاء عن الشيخ المفيد في تصحيح اعتقادات الإمامية : ص٧٤ حيث قال : **(ولا يصح النهي عن النظر ، لأن في العدول عنه المصير إلى التقليد والتقليد مذموم باتفاق العلماء ونص القرآن والسنة ولو كان التقليد صحيحاً والنظر باطلاً لم يكن التقليد لطائفة أولى من أخرى)**

وجاء عن الشيخ الطوسي في كتابه الاقتصاد قائلاً : (التقليد إن أريد به قبول قول الغير من غير حجة - وهو حقيقة التقليد فذلك قبيح في العقول، لأن فيه إقداما على ما لا يأمن كون ما يعتقده عند التقليد جهلا لتعريه من الدليل ، والإقدام على ذلك قبيح في العقول ولأنه ليس في العقول تقليد الموحد أولى من تقليد الملحد إذا رفعنا النظر والبحث عن أوهامنا ولا يجوز أن يتساوى الحق والباطل)[١٩٥].

فكان الشيعة فرقتين كما كان النصارى بعد غياب الحجة عنهم ، ففرقة تمسكت بالثقلين فقط ولم تنصب رجل دون الحجة وهم قلة قليلة، وفرقة نصبت رجل دون الحجة وصدقته في كل ما يقول ، وقالت هذه الفرقة عن الفقيه الذي نصبوه ، هذا هو البديل عن الإمام الغائب وهو من نسأله عن معالم ديننا فغيبة الإمام وفقدانه لا يضرنا من ناحية وصول الأحكام الشرعية لأن الفقيه موجود وهو من سيتكفل ببيان كل الأحكام الشرعية لنا ، وتم الأمر ونصبوا الفقهاء بمنصب الإمام وهؤلاء الفقهاء هم الذين غيروا وحرفوا دين أهل البيت (عليهم السلام) وهم

---

[١٩٣] - الكافي ج١ ص٧

[١٩٤] - الكافي ج١ ص٣٧٧

[١٩٥] - الاقتصاد - الشيخ الطوسي - ص ١٠ – ١١

موجودون إلى الآن ويسمون بفقهاء الإجتهاد أو فقهاء الاصول وهم الغالبية العظمى من الشيعة.

وعلى يد هؤلاء بدأ التحريف والتبديل ، فما أن غُيّب الإمام على أيديهم وأيدي مقلديهم ، حتى أدخلوا كل علوم وقواعد فسقة العامة إلى دين أهل البيت (عليهم السلام) ، فأول ما أدخل من البدع إلى التشيع بعد تنصيب الفقهاء ، الاجتهاد ثم القياس وهلم جرا حتى وصل بهم الأمر بعد الاستغناء بعلوم فسقة العامة إلى هجر القرآن وتضييع سنن محمد وآله (عليهم السلام) ، والفضل يعود إلى من ضيع الدين لأول صنمين في تلك الحقبة المظلمة هما (محمد ابن احمد بن جنيد الاسكافي) و(أبو محمد الحسن بن أبي عقيل العماني الحذاء) فهذين الفقيهين هما أول من أدخل قواعد فسقة العامة إلى دين أهل البيت بعد غيبة قائمهم (عليهم السلام).

فقد جاء عن احد المعجبين بهؤلاء المبتدعين المدعوا الشيخ الكركي معترفاً بقوله (علماء يعتمدون على مبانيهم الأصولية العقلية ، ولهم طريقتهم الخاصة بهم في الاستدلال الفقهي ، وكانوا يستدلون بالعقل على كثير من الأمور منهم : أ - أبو محمد الحسن بن علي بن أبي عقيل العماني الحذاء (ابن أبي عقيل) شيخ فقهاء الشيعة ، والظاهر أن الزعامة الدينية الشيعية كانت له بعد الغيبة الصغرى ، انتقلت إليه بعد آخر السفراء الأربعة . وهو أول من أدخل الاجتهاد بشكله المعروف إلى الأبحاث العلمية)[١٩٦].

فالكركي يعترف بأن الشيخ العماني كان يعتمد على علم الأصول العامي الذي ابتدعه الشافعي وادخله العماني بعد الغيبة إلى التشيع ويعتمد العماني لاستنباط الأحكام الشرعية على عقله لا على الثقلين وقوله "اي الكركي " (وكانوا يستدلون بالعقل على كثير من الأمور منهم : أ - أبو محمد الحسن بن علي بن أبي عقيل العماني الحذاء ابن أبي عقيل).

يبين أن العقل عند هؤلاء هو المعتمد لا القرآن والسنة وهذا طبيعي لأن الذين اخذوا منهم هذه البدع هم فسقة العامة الذين كانوا يعتمدون على عقولهم لا على المعصومين (عليهم السلام) فكذلك فقهاء الاجتهاد الشيعة، فبعد أن غيبوا الإمام (عليه السلام) تركوا الثقلين وراحوا يلهثون وراء فضلات النواصب ، وقول الكركي (شيخ فقهاء الشيعة) يبين ما قلناه فيما سبق من أن الشيعة وفقهاءهم جميعاً إلا ما رحم ربي التحقوا بالذي نصب نفسه في منصب الحجة كما حصل لليهود والنصارى بعد غياب الأنبياء (عليهم السلام).

وقوله (والظاهر أن الزعامة الدينية الشيعية كانت له بعد الغيبة الصغرى ، انتقلت إليه بعد آخر السفراء الأربعة) ما يوضح سرعة الالتفاف على منصب الإمام من قبل فقهاء السوء وفرحهم بغياب الإمام (عليه السلام) فما أن غاب الإمام وإذا بالقوم هدموا دينه ونصبوا بديله ، وقول الكركي (وهو أول من أدخل الاجتهاد بشكله المعروف إلى الأبحاث العلمية) أي إن

---

[١٩٦] - جامع المقاصد - المحقق الكركي - ج ١ - ص تكملة مقدمة التحقيق ١٣

الاجتهاد في دين الله لم يكن موجود قبل هذين المبتدعين (ابن جنيد والعماني) ولم يعرفه الشيعة ولا أصحاب الأئمة بل ولم يشر إليه الأئمة في رواياتهم بل إنهم (عليهم السلام) اوجبوا دخول النار لمن استخدمه في الدين ، في كثير من رواياتهم المنقولة إلينا.

وقال الشيخ الطوسي في الرسائل العشر ص ٤٨ : (وهكذا نرى أن المذهب الشيعي مع محافظته على أصوله المسلمة قد تأثر بالآخرين من حيث شاء أو لم يشأ ، ولكنه لم يفارق أصوله ولم يتخل عن ذاتيته طرفة عين أبدا . وهناك مجال للبحث والدراسة فيمن أبدى أولا هذه الشجاعة والجرأة وعمد إلى فتح هذا الباب على المجتهدين بعد أن كان مقفلا أمامهم في المذهب الإمامي . فعند العلامة الطباطبائي بحر العلوم ، وقبله السيد نعمة الله الجزائري في شرح التهذيب وبعده صاحب الروضات ، وغيرهم ، كان المؤسس الأول لهذا الأساس هو الحسن بن أبي عقيل العماني المعاصر للشيخ الكليني (م ٣٢٩ هـ) وبعده محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي المعاصر للشيخ الصدوق (م ٣٨١ هـ))

وهنا ايضاً يؤكد الطوسي على أن المذهب الشيعي تأثر بغيره من المذاهب الأخرى وأكد ما قاله صاحبه الكركي من أن أول من أدخل الإجتهاد وباقي قواعد فسقة فقهاء العامة إلى التشيع بعد الغيبة هو العماني ولم يسبقه أحد من الفقهاء وقوله (فيمن أبدى أولا هذه الشجاعة والجرأة) ما يبين أن الفقهاء بعد الغيبة كانوا يترددون في إدخال قواعد المخالفين والتردد في أمر يوضح أن هذا الأمر منكر وقبيح وإلا لو كان حق لما ترددوا فيه وهم يزعمون أنهم أتقياء لا يخافون في أمر الله لائم فلماذا التردد!! لكن جرأة العماني على الله التي افتقدها كل فقهاء عصره وقبل عصره جعلته يغير ما عجز عنه جمهور الفقهاء المعجبين بدين ابناء العامة.

وقوله: (وعمد إلى فتح هذا الباب على المجتهدين بعد أن كان مقفلا أمامهم في المذهب الإمامي) هنا نسأل من اقفل هذا الباب بوجه الفقهاء ومنعهم من إدخال قواعد فسقة فقهاء العامة إلى التشريع قبل غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)، أكيد ليس الفقهاء أنفسهم لأن الأئمة (عليهم السلام) كانوا موجودين آنذاك ، والفقهاء ليس هم من اقفل التشريع بوجه من أراد ادخال قواعد العامة إليه لأنهم هم من يريد أن تتم هذه العملية على يديه .

إلى أن جاء الذي لا يخشى أن يغير دين الله سبحانه ولا يتردد أن يحرف ما جاء به محمد (ﷺ) فيتبين أن الذي حرم هذه الأمور هم حجج الله محمد وآله (عليهم السلام) كما بينا في الروايات التي مرت ، وإلا لما تردد القوم ، وعلى أثر هذا التحول الخطير الذي أدى بدين آل محمد (عليهم السلام) إلى الانهيار وحل مكانه دين المخالفين .

وقد صرح ملا محمد أمين أسترابادي صاحب كتاب الفوائد المدنية قائلاً (وبالجملة وقع تخريب الدين مرتين ، مرة يوم توّفي النبي (ﷺ) ، ومرة يوم أجريت القواعد والاصطلاحات التي ذكرها العامة في الكتب الأصولية ودراية الحديث وفي أحكامنا وأحاديثنا . وناهيك أيها اللبيب أن هذه الجماعة يقولون بجواز الاختلاف في الفتاوي ، ويقولون قول الميت كالميت ، مع انه

تواترت الأخبار عن الأئمة الأطهار بـ (أن حلال محمد (ﷺ) حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة)[١٩٧].

رابعا: التفاخر بالانتساب إلى الرسل بين الأحبار والرهبان وفقهاء الحوزات

افتخر الأحبار على عوام اليهود بنسبهم المتصل بإبراهيم النبي (عليه السلام) ، وكانوا يتصورون أنهم أقرب الناس إلى الله سبحانه ، ولم يعيروا إي أهمية للأعمال الصالحة ، بل اتكالهم على النسب أكثر من اتكالهم على العمل الصالح وكانت تجليات افتخارهم بالنسب تظهر بشكل واضح بتعاملهم مع عوام اليهود بل حتى مع الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى بني إسرائيل بعد النبي موسى (عليه السلام).

فبسبب نسبهم المتصل بالأنبياء علواً في الأرض علواً كبيراً وملكوا الرقاب والأموال ليس بسبب تقواهم وورعهم بل بسبب نسبهم الذي يعود إلى أحد أنبياء الله سبحانه، وقد اعطانا كتاب الله صور كثيرة عن انحراف الأحبار ، لكن كان الأحبار يسترون أغلب عيوبهم أمام مقلديهم من اليهود بقضية انتسابهم إلى النبي (عليه السلام)، وكان اتباعهم ومقلديهم أيضاً يقدرون انتسابهم إلى النبي (عليه السلام)، ولم تجعلهم " قدسية النسب" يرون عيوبهم الكثيرة والواضحة وضوح الشمس.

فالأحبار كانوا يتحدثون عن صفات النبي إبراهيم وهم على النقيضِ تماماً، ويفعلون من الأعمال ما كان ينهى عنه إبراهيم (عليه السلام)، فهم لم يأخذوا من النبي إبراهيم سوى النسب الذي كان أحد الأسباب التي جعلتهم ينصبون أنفسهم أئمة لليهود وبالتالي أحلوا الحرام وحرموا الحلال ، فالأنبياء والرسل وحدهم من يعرف حلال الله وحرامه بسبب اتصالهم بالسماء اما غيرهم من فقهاء السوء فلم يختصهم بعلمه .

والفقيه الذي نصب نفسه للناس إماماً ، فهو يفسد أكثر مما يصلح لأن اعتماده يكون على الظن لا على الوحي ، فترى وراء كل نبي أو وصي غائب يتسلط حفنة من الفقهاء الجهلة فيبدؤون بسلخ الدين الذي جاء به النبي أو الوصي الذي جلسوا مجلسه بغيابه، وينسجون دين بآرائهم واوهامهم واجتهاداتهم الشيطانية ، ويقدموه إلى الناس على أنه من قبل الله سبحانه ، والذين يتقبلون الدين المحرف من قبل فقهاء السوء سيدخلون ضمن الشرك لأنهم تركوا النبي المعصوم واستبدلوه بغيره من الجاهلين ، فتصدق عليهم هذه الاية : **{ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ }**

---

[١٩٧] ـ الفوائد المدنية ص٣٦٨

وقد ذم الله تعالى اليهود في كثير من المواطن على لسان أنبياءه بسبب إتكالهم وتفاخرهم بنسبهم دون الإتكال على الأعمال الصالحة يقول الإنجيل **(لو كُنتم أبناء إبراهيم، لعمِلتُم أعمال إبراهيم)**[١٩٨] في هذه الآية يوبخهم النبي عيسى بسبب تفاخرهم على غيرهم من اليهود بنسبهم الذي لا ينفعهم بشيء.

ويثبت النبي عيسى في حديثه أنهم أعداء إبراهيم ، لأنهم لم يعملوا عمله بل خالفوا كل ما فعله وما قاله ، فهم وإن كانوا من ذريته مادياً إلا أنهم ليس من ذريته روحياً لأن للإنسان نسبين مادي وروحي ، والنسب الروحي هو الذي يعول عليه في النجاة من النار والدخول إلى الجنة ، والقرآن يحكي عن المؤمن كيف يخرجه الله من صلب الكافر والكافر يخرج من صلب المؤمن فالنسب المادي لا يترتب عليه اي ثمرة تنفع صاحبه حتى قال النبي (ﷺ) : **(سلمان منا أهل البيت)**[١٩٩] وسلمان لم يكن عربياً اصلا.

فالأحبار وحتى الرهبان لم يكونوا من ذرية إبراهيم الخليل روحياً بل مادياً فقط ، وكانت حقيقة نسبهم متصلة بإبليس اللعين، وهذا ما قاله لهم النبي عيسى (عليه السلام) لهم وامام مقلديهم، بعد أن جردهم من هذا الفخر الكاذب الخاوي من أنهم أبناء إبراهيم ، فقال لهم أنتم أعداء إبراهيم لأنكم تخالفونه في كل شيء وهذا كلامه الذي وجهه إليهم قائلاً : **(فأنتم أولاد أبيكم إبليس)**[٢٠٠].

فالنبي عيسى (عليه السلام) مع علمه بأن نسبهم يعود إلى إبراهيم (عليه السلام) إلا أنه لم يعترف بهذا النسب . بل قال لهم أنتم من ذرية إبليس اللعين .

وهذا الكلام يثبت بأن هناك نسب روحي ونسب مادي فكثير من المؤمنين يخرج من أصلابهم ذرية خبيثة وكثير من الفجار يخرج من أصلابهم ذرية طيبة.

وما حصل مع ابن النبي نوح (عليه السلام) يعطينا صورة واضحة عن النسب الحقيقي لابن نوح، فحينما عصى أمر الله وأمر أبيه لم ينسبه الله سبحانه إلى نوح أبيه بل نفى صلته بنوح قائلاً **{ قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْأَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ }** مع أنه بالحقيقة كان ابنه.

وكذلك فقهاء اليهود والنصارى بل كل فقهاء الأديان وحتى فقهاء الشيعة والسنة إذا لم يطيعوا الله والنبي وأهل البيت والإمام المهدي (عليه السلام)، وإن كانوا سادة من ذرية رسول الله (ص) مادياً ، فهم بالحقيقة اولاد ابليس . اما النسب المادي فلا يشكل اي فرق بل انه يكون من الاسباب القوية لزيادة صاحبه في الدخول الى الضلال والكفر والاتكال على الاوهام دون الاتكال على طاعة الله سبحانه كما حدث للأحبار فلم يزدهم نسبهم بالرسول الا طغياناً وكفرا ، والرب الجليل وصفهم بأولاد ابليس لأنهم كانوا يعادون المصلحين من الأنبياء وكانوا يفتون لمقلديهم بقتلهم ، وكان يقتل في اليوم الواحد بسبب فتاوى فقهاء اليهود سبعين نبيا ، والفقهاء

---

[١٩٨] - يوحنا ٨ : ٣٩

[١٩٩] - عيون اخبار الرضا ج١ ص٧٠

[٢٠٠] - يوحنا الاصحاح ٨:٤٤

كانوا بالحقيقة لا يتبعون الله سبحانه بل يتبعون أوامر الشيطان ابيهم، لان من مصلحة الشيطان القضاء على المصلحين ، لذلك لا نستغرب من انهم اولاد الشيطان وليسوا اولاد الأنبياء ، وقال لهم يوحنا حينما رأى تفاخرهم على الناس بانتسابهم لرسول الله (عليه السلام) قائلاً : **(ولا تقولوا لأنفسكُم: إن أبانا هو إبراهيم. أقول لكم: إن الله قادرٌ أن يجعل مِن هذه الحجارة أبناء لإبراهيم)**[٢٠١]. ونسبهم الى الرسول لا يدخلهم الجنة ولا يبعدهم عن النار بل يبعدهم عن الجنة ويدخلهم إلى النار كما حدث بالفعل .

فكذلك ينطبق هذا الأمر على فقهاء السوء الذين ينتسبون إلى رسول الله (ﷺ) فإذا ثبت أنهم خالفوا كلام الله ورسوله وكلام الأئمة فلا ينفعهم نسبهم إلى الرسول ،لذلك نرى ان الرسول والأئمة اكدوا في أحاديثهم على أن النسب إلى الرسول لا ينفع بل في بعض الأحيان يؤدي بصاحبه إلى نار جهنم كما حصل مع فقهاء اليهود والنصارى فقد ورد عن علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال **: (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)**[٢٠٢].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): **(إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به ثم تلا {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا } ثم قال إن ولي محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته)**[٢٠٣].

إن كثيراً من الذين ينتسبون إلى الرسول تراهم اليوم بين الناس مقدسين ليس لطاعتهم لله ولتقواهم وورعهم ، بل لأجل النسب فقط ، ولا يخفى أن في مجتمعنا ظاهرة تقديس من له نسب بالرسول

فيتم تقدمهم هؤلاء امام كل الناس ويتم توقيرهم واحترامهم وهم بالحقيقة من اصحاب المعاصي والكبائر.

وهذه الظاهرة " تقديس من له نسب بالرسول " ليست محصور (عند العوام) بل التجلي الكامل والواضح لهذه الظاهرة تجدها بين الفقهاء أنفسهم وفي حوزاتهم .

وهناك عبارات أطلقها من يظن أنه ظلم بسبب هذه القاعدة المستوحى من الجاهلية يعرفها المقربين من المراجع والحوزات مثل مقولة المرجع الغروي الذي كان يشكي دائماً ويقول (لو كانت عمامتي سوداء لقلدني كل العالم) ما يشير إلى حقيقتين اولهما أن الموازين مقلوبة عند العوام بحيث التقييم عندهم لا يكون حسب التقوى والورع بل التقييم لأجل النسب لا غير ، وهذا لا ينكره أحد من الشيعة من أن التقديس يكون أكبر للفقيه الذي كان من المنتسبين إلى رسول الله (ﷺ).

---

[٢٠١] - متى ٣ : ٩

[٢٠٢] - نهج البلاغة ج ٤ ص٧

[٢٠٣] - نهج البلاغة - ج ٤ - ص ٢١ - ٢٢

وكأنهم لم يسمعوا قول الله سبحانه في كتابه **{ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ، فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خالدون }.**

وجاء عن ابراهيم بن محمد الهمداني قال سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: **(من أحب عاصياً فهو عاص ومن أحب مطيعاً فهو مطيع من أعان ظالماً فهو ظالم ومن خذل عادلاً فهو خاذل إنه ليس بين الله وبين أحد قرابة ولا ينال احد ولاية الله إلا بالطاعة)** [٢٠٤].إن قضية النسب لا يلتفت إليها يوم القيامة بل الاعتماد يكون على التقوى والعمل الصالح .

الخلاصة : ان فقهاء السوء الذي يتفاخر بعضهم على بعض بالنسب تارة وبالآباء تارة أخرى هم أحبار ورهبان هذا الزمان كما فعل أشباههم من بني إسرائيل من قبل.

خامسا : تقبيل الأيادي بين الأحبار والرهبان والفقهاء

اشتهرت عند اليهود والنصارى ظاهرة تقبيل أيدي رجال الدين من الأحبار والرهبان فهم يعتبرون تقبيل ايدي (فقهاءهم) من مظاهر الاحترام ، ولم تمر هذه البدعة دون معارضة وان جاءت المعارضة من فئة قليلة فقد انتفض البعض قائلاً لا يجب تقبيل يد رجل الدين فهو إنسان عادي فما فرقه عن غيره ، وقالوا إن هذه البدعة لم تكن موجودة في زمان الأنبياء إنما ظهرت بعد رحيلهم ، وبدأ المؤيدون لهذه البدعة بالدفاع بكل ما اتيح لهم من وسائل ، لكنهم عجزوا عن إثبات بدعتهم من الكتاب المقدس.

واختلافهم في حكم تقبيل اليد يكشف ويبين أن هذه البدعة لم يوجبها الله سبحانه عليهم في كتابه ولم يأمر بها أنبياءهم ، بل فعلها العوام بمباركة رجال الدين من النصارى واليهود.

وبما أن أمة محمد (ﷺ) تجري عليها سنن بني إسرائيل كما جاء عن النبي الاكرم (ﷺ) : **(لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه ! قالوا : فاليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال فمن إذن)**[٢٠٥].

فلابد ان تجري سنة تقبيل أيدي رجال الدين على هذه الأمة .

وهذا الأمر حصل بالفعل في أمة محمد (ﷺ)، فنجد أن أتباع الفقهاء ومقلديهم يقبلون أيدي فقهاءهم جهراً ولا يعتبرون ذلك أمراً مخالفاً للشرع، لجهلهم بالشرع أولاً ولرضى فقهاءهم بهذه الظاهرة ثانياً ، وكان الأجدر بالفقهاء أن ينكروا هذه البدعة المخالفة لأوامر أهل البيت

---

[٢٠٤] - عيون اخبار الرضا ج١ ص٢٦٠

[٢٠٥] - الرسائل العشرة ص١٢٧

(عليهم السلام)، بل الذي حصل هو العكس، فترى الفقيه هو من يسبق العامي بمد يده أمامه ليقبلها.

وللأمانة نشير الى أن فقيهاً واحداً فقط من بين كل الفقهاء لم يرضا بهذه البدعة التي صارت عرف في المذهب الشيعي وهو السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (رحمه الله) فقد صرح في خطبة الجمعة ان تقبيل يد غير المعصوم أمر محرم في الشريعة ، لكن لم يُلتفت إلى كلامه ولحد الآن لاتزال هذه البدعة منتشرة في اوساط الفقهاء واتباعهم.

وبعد هذه المقدمة، سنعرض قول أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الأمر، ونرى هل تقبيل يد الفقهاء جائز شرعاً أم إنه محرم .

عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن رفاعة بن موسى ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: **(لا يقبل رأس أحد ولا يده إلا يد رسول الله (ﷺ) أو من اريد به رسول الله (ﷺ))**[٢٠٦].

وقوله أو من أريد به رسول الله (ﷺ) أريد به الوصي وسيصرح به في الخبر التالي .

عن ابن أبي عمير، عن زيد النرسي ، عن علي بن مزيد صاحب السابري قال : **(دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فتناولت يده فقبلتها ، فقال : أما إنها لا تصلح إلا لنبي أو وصي نبي)**[٢٠٧].

فنحن الإمامية نؤمن ونعتقد بأن المعصوم ينقل عن الله سبحانه ، فكلامه هو عين كلام الله عز وجل فإذا حرم الإمام شيء فالمحرم الحقيقي هو الله سبحانه واذا حلل كذلك ، والتحريم في كلام الإمام الصادق (عليه السلام) واضح بخصوص تقبيل يد غير المعصوم وليس فيه غموض أو لبس، وبعد معرفة حكم تقبيل يد غير المعصوم نسأل من ابتدع هذه البدعة ومن رضا بها ، لماذا المقلدين ومراجعهم لم يلتزموا بقول المعصوم، وهل مخالفتهم للائمة عليهم السلام هو جهل بكلامهم أم هو عناد وإصرار على ما جاءت به الآثار الشريفة، أما إذا احتملنا أن المخالفة جاءت جهلاً فتلك مصيبة ، أن يكون مرجع دين جاهلاً بأحكام الله سبحانه وعالماً فقط بما يخالفه ، أما إذا كانت المخالفة عناداً فالمصيبة أعظم ، فكيف للفقيه ومقلديه ، أن يعاندوا الله سبحانه ولا يطبقون أحكامه ، وهل لهم ناصر من دون الله اذا توفتهم رسل الله عند مماتهم.

الخلاصة نقول كما قلنا سابقاً إن الفقهاء وأشباههم من الأحبار والرهبان تشابهوا بهذا الامر أيضاً.

---

[٢٠٦] - شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ٩ - ص ٦٥

[٢٠٧] - الكافي ج٢ ص١٨٥

علاقة الحمار بالفقهاء

المستوى الاول :- علاقة الفقهاء بالحمار وعلاقة اليماني بالقسورة

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن على نبيه الكريم (ﷺ). فكان القرآن من أعظم معاجزه (ﷺ) التي أيده الله بها لإثبات نبوته .

ومن وجوه المعاجز الكثيرة للقران ، معجزة اشتماله على أخبار الأولين والآخرين ، فما من حدث وقع في الأمم السالفة أو سيقع في المستقبل إلا وقد أحاط القرآن به خبرا ، كما سيأتيك تفصيله ، لكن هذه الأخبار والعلوم شفرها الله سبحانه لئلا يستولي عليها ابليس واعوانه من الإنس الظالمين ليستخدموها لإفساد الارض ، بل إن هذه الشفرة لا يستطيع احداً حلها إلا من أرسله الله وعلمه كيفية استخراج هذه الكنوز من كتابه.

والرسول الكريم محمد (ﷺ)هو المترجم حصراً ، اما بعد رحيله ، فالحملة للقران هم ذريته وعترته الطاهرة الذين اختصهم الله بهذه الخاصية فكانوا هم أهل القرآن وحملته كما كان جدهم (ﷺ)، وجاء ما يوضح هذا الأمر في رواياتهم الشريفة فقد جاء عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: **({ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون } قال: الذكر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونحن أهله)**[٢٠٨].

وفي رواية قال (عليه السلام) : **(نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن وفينا معدن الرسالة)**[٢٠٩].

فللقران أهل وله عدل ومفسر، وهم محمد وآله الأطهار (عليهم السلام) فقط لا غير ، أما غيرهم فممتنع عنهم علمه ومغلق عليهم بابه، فلا للولوج في عمقه يهتدون ولا لكشف خباياه يقدرون وأنى لهم ذلك والذي ضرب الحجاب بينهم وبين القرآن هو رب القرآن الله سبحانه وتعالى فهل تنفع الحيلة مع خالق الخلق.

والقرآن وحده لا ينفع الناس كما قلنا أعلاه لأنه كتاب مشفر وفك الشيفرة عند المعصوم فقط ، وهذا الحديث يؤيد ما نقول فقد جاء عن النبي الاكرم (ﷺ) أنه قال: **(إني تارك فيكم الثقلين**

---

[٢٠٨] - الكافي ج١ ص٢١٠

[٢٠٩] - عيون اخبار الرضا ج١ ص٧١

كتاب الله وعلي بن أبي طالب ، وعلي بن أبي طالب أفضل لكم من كتاب الله لأنه مترجم لكم عن كتاب الله)[٢١٠].

فالكتاب وحده لا ينفع دون المفسر له ، وهو الثقل الثاني للقران وهو المعصوم (عليه السلام)، فإذا أراد المؤمن أن يعرف ما بداخل هذا الكتاب العظيم من معارف وعلوم ما عليه إلا أن يأتي البيوت من أبوابها فكما قال الائمة (عليه السلام) إن القرآن له أهل وأهله محمد واله (عليهم السلام).

فيجب الدخول للقران عبر بابه محمد وآله (عليهم السلام) لا غيرهم.

القرآن فيه أخبار الأولين والآخرين

أخبرنا الله سبحانه في آيات كثيرة بأن القرآن في تبيان كل شيء وتعرض الأئمة (عليهم السلام) لهذه الآيات كثيراً فقد جاء عن عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: **(إني امرؤ من قريش، ولدني رسول الله (ﷺ) وعلمت كتاب الله، وفيه تبيان كل شيء، وفيه بدء الخلق، وأمر السماء وأمر الأرض، وأمر الأولين وأمر الآخرين، وما يكون، كأني أنظر ذلك نصب عيني)**[٢١١].

وعن عبد الاعلى وأبو عبيدة وعبد الله ابن بشر الخثعمي سمعوا أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: **(إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، قال: ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال: علمت ذلك من كتاب الله عز وجل، إن الله عز وجل يقول فيه تبيان كل شيء)**[٢١٢].

فالقرآن كما قال أهله (عليهم السلام) فيه أمر الأولين وأمر الآخرين، وما يكون وفيه علم ما كان وما يكون. فكل ما حصل في الأمم السابقة هو موجود في كتاب الله سبحانه وكل ما سيحدث في هذا الزمان وفي آخر الزمان إلى قيام الساعة موجود أيضاً في القرآن ، وكشف أهل البيت (عليهم السلام) عن بعض الأخبار المستقبلية التي ستحدث في آخر الزمان التي أودعها الله في كتابه ، فمثلاً تكلم القرآن عن الإمام المهدي (عليه السلام) وعن أنصاره وحتى عن أعداءه كما أشرنا في ما مر من بحثنا ، والإشارة من قبل الله سبحانه وتعالى إلى القائم وأنصاره وأعدائه في القرآن كانت مشفرة ، والمترجم (عليه السلام) هو من أوضح التفاصيل الخاصة بهذه الإشارات ، والأمر لا يقتصر على ذكر الإمام المهدي (عليه السلام) وأنصاره وأعدائه في بعض الآيات بل نزل ثلث القرآن في جميع اهل البيت (عليهم السلام) وثلث في اعدائهم كما اخبرونا هم (عليهم السلام) لكن كما قلنا بصيغة الشيفرات .

---

[٢١٠] - الانتصار ج٦ ص١٣٥

[٢١١] - مختصر بصائر الدرجات ص١١٠

[٢١٢] - الكافي ج١ ص٢٦١

فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال **(نزل القرآن أثلاثا، ثلث فينا وفي محبينا، وثلث في أعدائنا وأعداء من كان قبلنا ، وثلث سنن وأمثال ، ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السموات والأرض، ولكل قوم آية يتلونها هم منها في خير أو شر)**[٢١٣].

فالإمام الصادق (عليه السلام) يقول (فينا) أي كل الائمة (عليهم السلام) بما فيهم قائمهم (عليه السلام)، وقوله (أعدائنا) يشمل كل أعداء الأئمة بما فيهم أعداء القائم في آخر الزمان .

والان سنأتي على أنصار القائم وأعداءه الذين ذكرتهم الآية في كتاب الله عز وجل وهي هذه الآية **{ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ }** سيكون الكشف عن ملامح المذكورين في هذه الآية في المستويات ادناه مع التمهيد للنتيجة الخاتمة .

المستوى الاول: الإمام المعصوم هو القسورة المذكور في القرآن

وصف الله سبحانه حجته المعصوم بالقسورة في كتابه، فالقسورة اسم من أسماء الأسد وجاءت روايات كثيرة تثبت بأن الآية نزلت في أمير المؤمنين (عليه السلام) في زمانه فقد جاء عن أبو جعفر وأبو عبد الله (عليهما السلام): **(نزلت قوله " ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة " في أمير المؤمنين (عليه السلام) . وفي حديث خيبر: أنت أول من آمن بي ، وأول من جاهد معي ، وأول من ينشق عنه القبر . وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا خرج من بيته تبعه أحداث المشركين يرمونه بالحجارة حتى أدموا كعبه وعرقوبيه، فكان علي يحمل عليهم فينهزمون ، فنزل { كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة })**[٢١٤].

فالمولى سبحانه وصف وليه بالقسورة وخصمه بالحمر المستنفرة ، وهذا الأمر ينسحب على كل الأئمة (عليهم السلام) وعلى أعدائهم عليهم اللعنة وهناك مواقف كثيرة صرح فيها الإمام علي (عليه السلام) بأنه هو القسورة بل كان شائع بين الناس أن الإمام هو القسورة لا غيره فقد وصف الإمام نفسه في معركة خيبر بالقسورة قائلاً **(أنا الذي سمتني أمي حيدرة ضرغام آجال وليث قسورة)** وقال القاسم ابن الإمام الحسن (عليه السلام) في الطف وهو يرتجز قائلاً **(إن تنكروني فأنا ابن حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة على الاعادي مثل ريح صرصرة أكيلكم بالسيف كيل السندرة)** فكلمة قسورة كانت معروفة عن بني هاشم أنها من خواص الإمام المعصوم (عليه السلام).

---

[٢١٣] - الكافي ج٢ ص٦٢٨

[٢١٤] - كتاب بحار الأنوار - العلامة المجلسي (- ج ٤١ - ص ٦٢)

وجاء في تفسير علي بن إبراهيم في تفسير هذه الآية والآيات التي تسبقها : **(قوله تعالى: { وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ } قال: حقوق آل الرسول وهو الخمس لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهم آل الرسول (عليهم السلام).**

قوله تعالى: { وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ } أي يوم المجازاة حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ قال: الموت.

وقوله تعالى: { فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ } قال: لو أن كل ملك مقرب ونبي مرسل شفعوا في ناصب لآل محمد ما قبل منهم ما شفعوا فيه.

ثم قال: { فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ } قال: عما يذكر لهم من موالاة أمير المؤمنين (عليه السلام) { كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ } يعني من الأسد)[٢١٥].

فالذي يعرض عن أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي هو القسورة يكون هو المقصود بالـ(الحمر المستنفرة)

واختصاص المعصوم بأسم (قسورة) المذكور بالقرآن كان معروف حتى عند باقي الناس فقد جاء عن الأصبغ بن نباتة ، أنه قال : **(كنت جالسا عند أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يقضي بين الناس، إذ أقبل جماعة معهم أسود مشدود الأكتاف . فقالوا : هذا سارق يا أمير المؤمنين ، فقال : يا أسود ، سرقت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ثكلتك أمك ، فإن قلتها ثانية ، قطعت يدك ،سرقت ؟ قال : نعم ، قال : يا ويلك ، ماذا تقول ، سرقت ؟ قال : نعم . قال: فعند ذلك ، قال (عليه السلام) : اقطعوا يده ، وجب عليه القطع . قال : فقطعت يمينه ، فأخذها بشماله وهي تقطر دما ، فاستقبله رجل يقال له : ابن الكواء . فقال له : يا أسود ، من قطع يمينك . قال : قطع يميني سيدي أمير المؤمنين ، قائد الغر المحجلين ، والأولى بالنبيين وسيد الوصيين ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إمام الهدى وزوج فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى ، أبو الحسن والحسين المختار والمرتضى ، السابق إلى جنات النعيم ، مصادم الأبطال المنتقم من الجهال ، زكي الزكاة ، منيع الصيانة ، ابن هاشم القمقام ابن عم الرسول . الإمام الهادي للرشاد ، والناطق بالسداد ، شجاع كمي ، حجاج وفي فهو الوفي ، بطين أنزع ، أمين ، من آل حم وطه ويس وحم والميامين ، محل الحرمين ، ومصلى القبلتين ، خاتم الأوصياء ، ووصي خاتم الأنبياء ، القسورة الهمام والبطل الضرغام المؤيد بجبرئيل ، المنصور بميكائيل ، المبين فرض رب العالمين ، المطفأ نيران الموقدين ، وخير من نشأ من قريش أجمعين ، المحفوف بجند من السماء علي بن أبي طالب (عليه السلام)على رغم أنف الراغمين ، مولى الخلق أجمعين . قال : فعند ذلك قال له ابن الكواء : ويلك يا أسود ، قطع يمينك وأنت تثنى عليه هذا الثناء كله ؟ ! قال : وكيف لا أثني عليه ، وقد خالط حبه لحمي ودمي والله ما قطعها إلا بحق أو جبه الله علي . قال : فدخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) فقلت له : يا سيدي ، رأيت**

---

[٢١٥] - تفسير القمي ج٢ ص٣٩٦

عجبا ! قال : وما رأيت ؟ قال : صادفت أسودا وقد قطعت يمينه ، فأخذها بشماله ويده تقطر دما فقلت له : يا أسود ، من قطع يمينك ؟ فقال : سيدي أمير المؤمنين ، وأعدت عليه القول وقلت له : يا ويلك قطع يمينك ، وأنت تثني عليه هذا الثناء كله ؟ ! قال لي : مالي لا أثني عليه ، وقد خالط حبه لحمي دمي ، والله ما قطعها إلا بحق أوجبه الله علي . قال : فالتفت أمير المؤمنين إلى ولده الحسن (عليه السلام) وقال له : قم هات عمك الأسود ، قال : فخرج الحسن (عليه السلام) في طلبه ، فوجده في موضع يقال له : كندة فجاء به إلى أمير المؤمنين ، فقال له : يا أسود ، قطعت يمينك وأنت تثني علي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما لي لا أثني عليك ، وقد خالط حبك لحمي ودمي ، والله ما قطعتها إلا بحق علي مما ينجيني من عقاب الآخرة . فقال (عليه السلام) : هات يدك ، فناوله إياها فأخذها ووضعها في الموضع الذي قطعت منه ، ثم غطاها بردائه ، وقام يصلي (عليه السلام) ودعا بدعوات لم ترد ، وسمعناه يقول آخر دعائه : آمين ، ثم شال الرداء ثم قال : انضبطي كما كنت أيتها العروق واتصلي . قال : فقام الأسود ، وهو يقول : آمنت بالله ، وبمحمد رسول الله ، وبعلي الذي رد اليد القطعاء بعد تخليتها من الزند ثم انكب على قدميه وقال : بأبي أنت وأمي يا وارث علم النبوة)[٢١٦].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : **(عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما كشفت النساء ذيولهن عن مثله لا والله ما رأيت فارسا محدثا يوزن به لرأيته يوما ونحن معه بصفين وعلى رأسه عمامة سوداء وكأن عيينه سراجا سليط يتوقدان " الى قوله "ثم حمل عليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) وعلى ذريته حملته وتبعه خويلة لم يبلغ المائة فارس فأجالهم فيها جولان الرحى المسرحة بثقالها فارتفعت عجاجة منعتني النظر ثم انجلت فاثبت النظر فلم نر إلا رأسا نادرا ويدا طايحة فما كان بأسرع أن ولوا مدبرين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة فإذا أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أقبل وسيفه ينطف ووجه كشقة القمر وهو يقول : قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لعلهم ينتهون قال عكرمة : وكان ابن عباس رضي الله عنه يحدث قال أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وقال : يا علي إنك لمقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله)**[٢١٧]. وهناك حوادث كثيرة اثبتت هذا الاسم للمعصوم (عليه السلام) ، وفي المقابل ثبت اسم (الحمار) لخصم المعصوم ، في زمان أمير المؤمنين (عليه السلام) أو في زمان رجعته قبل قيام القائم كما سيأتيك بيانه في المستويات أدناه .

المستوى الثاني :- اليماني هو أمير المؤمنين في عصر الظهور

ذكرة الروايات كثيرة رجوع أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل قيام القائم (عليه السلام) والتحاقه بالإمام المهدي (عليه السلام)، هذه الرجعة كما اثبت السيد القحطاني تكون برجعة

---

[٢١٦] - الروضة في فضائل أمير المؤمنين { شاذان بن جبرئيل القمي - ص ٢٢٤ - ٢٢٧

[٢١٧] - بحار الانوار ج٣٢ ص٦٠١

الروح لا الجسد، فروح الإمام علي (عليه السلام) ترجع لتسدد ابنه السيد اليماني الموعود ، وسندرج الروايات التي تتكلم عن رجوع الإمام علي (عليه السلام) إلى الدنيا مع بعض التعليقات للتوضيح.

قول تعالى: { **قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَومِ الْوَقْتِ المَعْلُومِ** } عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: **(إنّ إبليس قال: أنظرني إلى يوم يبعثون فأبى الله ذلك عليه وقال: إنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشيائه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهي آخر كرّة يكرّها أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقلت: وإنّها لكرّات؟ قال: نعم إنّها لكرّات وكرّات، ما من إمام في قرن إلاّ ويكرّ معه البِرّ والفاجر في دهره حتّى يديل الله المؤمن من الكافر فإذا كان يوم الوقت المعلوم كرَّ أمير المؤمنين في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال لها الروحا قريباً من كوفتكم فيقتتلون قتالاً لم يقتل مثله منذ خلق الله عزّ وجلّ العالمين)**[٢١٨].

قوله تعالى في آية أخرى: { **سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا** } عن القمي: الآيات أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة إذا رجعوا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم في الدنيا)

قوله تعالى في آية اخرى : { **وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ الله تُنكِرُونَ** } عن القمّي: يريكم آياته يعني أمير المؤمنين والأئمّة في الرجعة فإذا رأوهم قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين أي جحدنا بما أشركناهم { **فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** } يرجع الله سبحانه امير المؤمنين (عليه السلام) قبل القائم وعند القيام يبايع الإمام علي القائم (عليه السلام)[٢١٩].

فقد جاء عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) يقول: **(لو قد خرج قائم آل محمد (ﷺ) لنصره الله بالملائكة المسومين والمردفين والمنزلين والكروبيين يكون جبرائيل أمامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن يساره والرعب مسيره عن أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله والملائكة المقربون حذاه ،أول من يتبعه محمد** (صلى الله عليه وآله وسلم) **وعلي (عليه السلام) الثاني، ومعه سيف مخترط ، يفتح الله له الروم والصين والترك والديلم والسند والهند وكابلشاه والخزر)**[٢٢٠].

فمن هذه الرواية الشريفة وروايات أخرى كثيرة يظهر أن أول من يتبع الإمام المهدي (عليه السلام)هو محمد (ﷺ) والثاني هو علي (عليه السلام) ولا يمكن أن نتصور في حال من

---

٢١٨ - مختصر بصائر الدرجات ص٢٧

٢١٩ - بحار الأنوار ج٥٣ ص٥٦

٢٢٠ - غيبة النعماني ص٢٤٠

الأحوال إن رسول الله (ﷺ) أو الإمام علي (عليه السلام) يكونان تابعين للإمام المهدي (عليه السلام) وإن ذلك يكون بالرجعة المادية .

فهذا لا يمكن قبوله مطلقاً ولكن الأولى والأصح إن يكون المقصود من أتّباع محمد وعلي (صلوات الله عليهما) للمهدي بالرجعة الروحية فإن ارواحهم (عليهم السلام) تكون مسددة ومؤيدة للإمام المهدي واليماني، وستكون روح الإمام علي (عليه السلام) مسددة ومؤيدة لوزير المهدي (عليه السلام) اليماني الموعود وهذا دليل على الرجعة الروحية.

أمير المؤمنين (ع) يتكلم بلسان اليماني

كثيراً ما تكلم أمير المؤمنين (عليه السلام) بلسان غيره من الأنبياء والرسل والإمام المهدي واليماني الموعود والذي يهمنا في هذا المقام هو كلام امير المؤمنين (عليه السلام) الخاص باليماني الموعود وسنذكر الروايات لكل حادثة تكلم عنها الإمام علي (عليه السلام) بلسان اليماني

أمير (ع) يتكلم بلسان اليماني بخصوص دابة الارض

الرواية الأولى:

وصف آل محمد (عليهم السلام) الإمام المهدي بالشمس الخارجة من مغربها ففي الحديث الوارد عن الضحاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة في خطبة طويلة لأمير المؤمنين (عليه السلام) قال فيها: **(بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع {لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً } ثم قال (عليه السلام) لا تسألوني عما يكون بعد ذلك فإنه عهد إلي حبيبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن لا أخبر به أحد غير عترتي فقال النزال بن سبرة لصعصعة ما عني أمير المؤمنين بهذا القول فقال صعصعة يا ابن سبرة أن الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم هو الثاني عشر من العترة التاسع من ولد الحسين وهو الشمس الطالعة من مغربها يظهر عند الركن والمقام يطهر الأرض ويضع ميزان العدل)**[٢٢١].

فالإمام المهدي (عليه السلام) هو الشمس الخارجة من مغربها والدابة غير الشمس كما ورد عن ال محمد (عليهم السلام) فقد جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: **(لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات الدجال والدخان وطلوع الشمس من مغربها ودابة الأرض)**[٢٢٢].

---

[٢٢١] - بحار الأنوار ج٥٢ ص١٩٥

[٢٢٢] - المصنف ج٨ ص٦٦٢

هنا رسول الله (ﷺ) فرق بين الدابة والشمس الخارجة من مغربها فتكون الدابة ليست الإمام المهدي (عليه السلام) بل هي شخص آخر.

وجاء أيضاً عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) في حديثهما عن قوله عز وجل **{وَيوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً}** انهما قالا (عليهما السلام) : **(طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة والدجال والرجل يكون مصراً ولم يعمل على الإيمان ثم تجيء الآيات فلا ينفعه إيمانه)**[٢٢٣].

وهنا ايضاً قد تم التفريق بين الشمس وبين الدابة من قبل الإمامين (عليهما السلام)

أما مكان خروج الدابة ومن أين تأتي فقد جاء عن المدائني أنه قال: **(دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) بالمدينة -في حديث طويل إلى أن قال - قلت فله علامة قبل ذلك قال نعم علامات شتى قلت مثل ماذا قال خروج دابة من المشرق)**[٢٢٤].

وقد اثبتنا في ابحاث كثيرة وخاصة في موسوعة القائم الجزء الأول بأن اليماني يخرج من المشرق من خراسان ونضيف أيضاً ما ورد عن النبي (ﷺ) قال : **(وسيخرج من هذا - أي علي (عليه السلام) - فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى اليمني، فإنه يُقبل من المشرق، وهو صاحب راية المهدي)**[٢٢٥].

الرواية الثانية :

المتابع للروايات الخاصة باليماني وما سيفعله من انجازات أو حروب أو اي عمل في أي مفصل من مفاصل حركته المباركة يجد أن هناك إصرار من قبل أهل البيت (عليهم السلام) بذكر اسم الإمام علي (عليه السلام) بدلاً عن اليماني وهذا الأمر مقصود لكي يقولوا أن اليماني هو علي في عصر الظهور وإليكم إخوتي الدليل على هذا الأمر.

الصيحة باسم الإمام علي (ع) في أول النهار

الصيحة التي أخبرونا عنها آل محمد (عليهم السلام) صيحتان واحدة في أول النهار من قبل جبرئيل باسم وزير آل محمد اليماني والثاني في آخر النهار من قبل الشيطان باسم السفياني الملعون

---

٢٢٣ - بحار الأنوار ج٦ ص٣١٢

٢٢٤ فلاح السائل لابن طاووس ص١٧١

٢٢٥ - المهدي المنتظر الموعود/ ب٤: ١٠٧

فالروايات الخاصة بالصيحة تأتي مرة حاكية عن الأرواح الراجعة لتسديد أصحاب الحق أو أصحاب الباطل ، فمثلاً أتت روايات تذكر بأن الصيحة تكون باسم أمير المؤمنين (عليه السلام) وهذه الروايات تتحدث عن الروح المسددة لصاحب الصيحة الأصلي وهو اليماني فقد جاء عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: **(ينادي مناد من السماء أول النهار يسمعه كل قوم بألسنتهم: ألا إن الحق في علي وشيعته)**[٢٢٦].

هنا الصيحة باسم علي وشيعته وهو يمثل خط الصالحين، اما الروايات التي تتكلم عن صيحة إبليس فقد أتت باسم عثمان .

فعن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: **(قلت: وكيف يكون النداء؟ قال: ينادي مناد من السماء أول النهار يسمعه كل قوم بألسنتهم: ألا إن الحق في علي وشيعته. ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض: ألا إن الحق في عثمان وشيعته فعند ذلك يرتاب المبطلون)**[٢٢٧].

نرى أن أهل البيت (عليه السلام) قالوا بأن محتوى الصيحة سيكون باسم الإمام علي (عليه السلام) وعثمان في هذه الرواية لكن في روايات أخرى تكون الصيحة باسم السفياني وشخص اخر لم يذكر اسمه واليكم الروايات.

عن الصادق (عليه السلام) قال: **(ثم ينادي إبليس ـ لعنه الله ـ في آخر النهار: ألا إن الحق في السفياني وشيعته، فيرتاب عند ذلك المبطلون)**[٢٢٨].

هنا النداء لم يكن بأسم عثمان بل الأمر تغير وحل محل عثمان السفياني ، ولنرى التغيير في صاحب نداء الحق ومن هو الذي سيكون النداء باسمه

قال: (عليه السلام) : **(ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء... قلت: بم ينادى؟ قال: باسمه واسم أبيه، ألا أن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه، فلا يبقى شيء من خلق الله فيه الروح إلا يسمع الصيحة)**[٢٢٩].

إن المهدي أطلق عليه اسم (على) في الرواية الأولى و(السفياني) أطلق عليه أسم (عثمان) أما في الروايتين الأخيرتين فقد تحول الخطاب من عثمان إلى السفياني ومن علي إلى فلان بن فلان ، فما هو السر ؟!.

---

٢٢٦ ـ كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص٤٣٥

٢٢٧ ـ كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص٤٣٥

٢٢٨ ـ كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٦٥٢، الباب السابع والخمسون علامات خروج القائم

٢٢٩ ـ كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص٣٠١

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: قلت لأبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: **(كيف يكون ذلك النداء؟ قال: ينادي مناد من السماء أول النهار: ألا إن الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس لعنه الله في آخر النهار: ألا إن الحق في السفياني وشيعته، فيرتاب عند ذلك المبطلون)**[٢٣٠].

وهنا الأمر مختلف عما جاء في الروايات السابقة فقد ذكر (الإمام علي + السفياني) خلاف الروايات التي تذكر (فلان مع السفياني) أو (علي مع عثماني) مما يبين ان على هو اليماني وعثمان هو السفياني وهذا الدمج بين الشخصيات لا يمكن حله وفهمه إلا بالقول بالرجعة الروحية التي اثبتها السيد القحطاني في موسوعة القائم.

وقد يقول قائل بأن الرواية لم تذكر اليماني فنقول إن الرواية لم تذكر الاسم الصريح بل قالت فلان بن فلان وعدم ذكر الاسم يؤكد بأن اليماني هو المعني لأن اليماني قد عهد رسول الله لأهل البيت بأن لا يحدثوا باسمه حتى يبعثه الله وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام حيث ورد عن جابر الجعفي قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول سئل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: **(اخبرني عن المهدى ما اسمه فقال اما اسمه فان حبيبي رسول الله عليه السلام عهد إلى الا أحدث به حتى يبعثه الله قال اخبرني عن صفته قال هو شاب مربوع حسن الوجه حسن الشعر يسيل شعره إلى منكبيه و يعلو نور وجهه سواد شعر لحيته ورأسه بابى ابن خيرة الإما)**[٢٣١].

ومما اثبته السيد القحطاني بان المهدي لقب مشترك بين الإمام الحجة بن الحسن ووزيره اليماني الموعود بدليل ما ورد عن خالد عن أبي قلابة عن ثوبان ، قال : **(إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان ، فأتوها ولو حبوا على الثلج ، فإن فيها خليفة الله المهدي)**[٢٣٢].

فالمتعارف بان اليماني هو من ياتي بالرايات السود كما اثبتنا في موسوعة القائم ج١ إذن ففلان بن فلان الذي ذكرته رواية الصيحة هو اليماني الموعود .

---

[٢٣٠] - كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٦٥٢

[٢٣١] - المستجاد من الإرشاد (المجموعة) - العلامة الحلي - ص ٢٦٦

[٢٣٢] - الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١١٩

والذي يثبت بان الإمام علي (عليه السلام) سيكون مسددا لليماني الموعود هو ما ورد عن أبي بصير ، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) : – في حديث طويل الى أن قال– **(ولا يخرج القائم (عليه السلام) حتى يقرأ كتابان ، كتاب بالبصرة ، وكتاب بالكوفة ، بالبراءة من علي (عليه السلام))**[٢٣٣].

وعن عباية الأسدي قال : **(سمعت أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وهو مشنكى وأنا قائم عليه ، لأبنين بمصر منبرا ، ولأنقضن دمشق حجرا حجرا ، ولأخرجن اليهود والنصارى من كل كور العرب ولأسوقن العرب بعصاي هذه ، قال : قلت له : يا أمير المؤمنين كأنك تخبر أنك تحيى بعد ما تموت ؟ فقال : هيهات يا عباية ذهبت في غير مذهب يفعله رجل مني)**[٢٣٤].

فعلي (عليه السلام) ستتبرء منه الشيعة وسيقوم بنقض الشام وطرد اليهود ولكن بيد اليماني الموعود الذي سيكون مسَدَدًا بروح الإمام علي (عليه السلام)

الخلاصة : نقول ، ان اليماني سيمثل الإمام علي في اخر الزمان والإمام علي (عليه السلام) تكلم نيابة عن اليماني كما في الرواية السابقة ، وفي ذلك إشارة إلى رجعته روحياً لتسديد ولده اليماني وعليه يكون السر في قول الإمام على(انا دابة الارض _ او انا) بعد هذا الكلام قد انكشف وبدا الامر واضح فهو (عليه السلام) يتكلم عن لسان اليماني .

المستوى الثالث : مصداق القسورة والحمير في بالقرآن

في هذا المستوى سيتم الكشف عن قضية اليماني الموعود (القسورة) وحروبه مع الحمر المستنفرة (فقهاء السوء) في الكوفة .

وردت رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تأويل آيات خاصة في آخر الزمان ، وتكلم فيها عن حروب اليماني وعن فرار المرجئة (الفقهاء) من دعوته اليكم الرواية :

جاء في تفسير أهل البيت (عليهم السلام) عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله عز وجل : **({عليها تسعة عشر} أي تسعة عشر رجلا فيكونون من الناس**

---

[٢٣٣] - كتاب الغيبة – محمد بن إبراهيم النعماني – ص ٣٢٠ – ٣٢١

[٢٣٤] - بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٥٣ – ص ٥٩ – ٦٠

كلهم في الشرق والغرب . وقوله : {وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة } قال : فالنار هو القائم (عليه السلام) الذي أنار ضوؤه وخروجه لأهل الشرق والغرب ، والملائكة هم الذين يملكون علم آل محمد صلوات الله عليهم . وقوله : { وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا } قال : يعني المرجئة ، و قوله : {ليستيقن الذين أوتوا الكتاب} قال : هم الشيعة ، وهم أهل الكتاب، وهم الذين أوتوا الكتاب والحكم والنبوة. وقوله : {ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب } أي لا يشك الشيعة في شيء من أمر القائم (عليه السلام) ، وقوله : {وليقول الذين في قلوبهم مرض} يعني بذلك الشيعة وضعفائها { والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا } فقال الله عز وجل لهم : { كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء } فالمؤمن يسلم ، والكافر يشك، وقوله : { وما يعلم جنود ربك إلا هو } فجنود ربك هم الشيعة ، وهم شهداء الله في الأرض ، وقوله : { وما هي إلا ذكرى للبشر } .{ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر } قال : يعني اليوم قبل خروج القائم (عليه السلام) من شاء قبل الحق وتقدم إليه ، ومن شاء تأخر عنه ، وقوله : { كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين } قال : هم أطفال المؤمنين ، قال الله تعالى : { واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم } قال : يعني أنهم آمنوا في الميثاق ، وقوله :{ وكنا نكذب بيوم الدين} قال : يوم الدين : خروج القائم . (عليه السلام) . وقوله : { فما لهم عن التذكرة معرضين} يعني بالتذكرة والآية أمير المؤمنين صلوات الله عليه . وقوله : { كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة } قال : يعني كأنهم حمر وحش فرت من الأسد حين رأته ، وكذلك المرجئة إذا سمعت بفضل آل محمد صلوات الله عليهم نفرت عن الحق ، ثم قال الله تعالى: {بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة} قال : يريد كل رجل من المخالفين أن ينزل عليه كتاب من السماء، ثم قال تعالى: { كلا بل لا يخافون الآخرة } هي دولة القائم (عليه السلام) ، ثم قال تعالى بعد أن عرفهم التذكرة أنها الولاية { كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى و أهل المغفرة } قال : فالتقوى في هذا الموضع النبي صلى الله عليه وآله ، والمغفرة أمير المؤمنين (عليه السلام))[٢٣٥].

في هذه الرواية عدة إشارات مهمة

الاشارة الاولى :- ان هذه الآيات المؤولة من قبل الائمة (عليهم السلام) الواردة في الرواية هي من الآيات التأويلية المستقبلية أي أن تأويلها في زمان القائم (عليه السلام) فكل الأحداث التي تكلمت عنها الرواية من الأحداث المستقبلية التي لم تقع بعد وستقع قبل قيام القائم أو في زمانه .

الإشارة الثانية :- ذكر الإمام الباقر (عليه السلام) فرقة المرجئة التي تكذب بدعوة القائم بقوله (عليه السلام): **(وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا " قال : يعني المرجئة)** فحينما ترفع راية القائم (عليه السلام) بيد وزيره السيد اليماني يكذب بها المرجئة ويصدق بها

---

[٢٣٥] - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٤ - ص ٣٢٥ - ٣٢٧

الشيعة الحقيقيون الذين سيكونون فيما بعد اتباع اليماني وهذا واضح بقول الإمام الباقر (عليه السلام) اذ قال (**و قوله " ليستيقن الذين أوتوا الكتاب " قال : هم الشيعة ، وهم أهل الكتاب ، وهم الذين أوتوا الكتاب والحكم والنبوة)**

وفرقة المرجئة التي تكذب بدعوة الإمام المهدي (عليه السلام) سيتواجدون في الكوفة عند ظهور اليماني آنذاك ، وقبل توضيح ملامح هذه الفرقة يجب العريف بمعنى كلمة مرجئة .

المرجئة : هي صفة لعمل قوم اتصفوا بها فأصبحت معبرة عن حالهم. فقد قال ابن قتيبة: هم الذين يقولون الأيمان قولا بلا فعل، لأنهم يقدمون القول ويؤخرون العمل. وقال أهل المعرفة والملل: (إن المرجئة هم الفرقة الجبرية الذين يقولون: أن العبد لا فعل له، وإضافة الفعل إليه بمنزلة أضافته إلى المجازات، كجري النهر، ودارت الرحى، وإنما سميت المجبرة مرجئة لأنهم يؤخرون أمر الله ويرتكبون الكبائر).

وقال الشيخ أبو الحسن النوبختي (ره) في كتابه الفرق: (فلما قتل علي (عليه السلام) التقت الفرقة التي كانت معه والفرقة التي كانت مع طلحة والزبير وعائشة فصاروا فرقة واحدة مع معاوية ابن أبي سفيان إلا القليل منهم من شيعته ومن قال بإمامته بعد النبي (ﷺ) وهم السواد الأعظم وأهل الحشو وأتباع الملوك وأعوان كل من غلب أعني الذين التقوا مع معاوية فسموا جميعا المرجئة، لأنهم تولوا المختلفين جميعاً وزعموا أن أهل القبلة كلهم مؤمنون بإقرارهم الظاهر بالأيمان ورجوا لهم جميعا المغفرة)

وفي هامش كتاب الجمل للشيخ المفيد (ره) ورد هذا التعريف للمرجئة (طائفة من المسلمين ظهرت في أواخر القرن الأول ومؤسسهم هو حسن بن محمد بن الحنفية وهو أول من تكلم في الأرجاء وكتب الرسالة التي اثبت فيها الارجاء، فتولوا أبا بكر وعمر ولم يتولوا غيرهما مثل عثمان وعلي(عليه السلام) وطلحة والزبير، وهذا هو الأرجاء الأول، ثم تطوروا في عقيدتهم فجعلوا قاعدة مذهبهم الكلام في الأيمان والكفر، فقالوا إن الأيمان قول بلا عمل، وسموا بذلك لتركهم القطع بوعيد الفسق وذلك هو جامع مذهبهم).

وهنا يتبين لنا معنى المرجئة وأنها صفة لأفعال ومعتقدات حامليها، فهم خرجوا عن أمر الله بأرجائهم وتأخيرهم لأمره تعالى.

أن مرجئة ذلك الزمان كانوا من المسلمين ولكنهم خرجوا على الأئمة المعصومين ، وفي أخر الزمان ستخرج مرجئة الكوفة على دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) وسيقولون بأن أمر الإمام لم يأتي أوانه وهم بذلك يسمون المرجئة لتشابه صفاتهم مع المرجئة في ذلك الزمان حيث أن وحدة وطبيعة أعمالهم متشابهة في تأخير وإرجاء أمر الله تعالى، فكما قال أبي عبد الله (عليه السلام): **(أشهد إن المرجئة على دين الذين : قالوا أرجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين)**[٢٣٦].

---

[٢٣٦] - بحار الانوار ج٦٩ ص١٧٩

وفي هذه الرواية تصريح تام من المعصوم (عليه السلام)على معنى المرجئة وصفتهم وتشابه أفعالهم مع أفعال حاشية فرعون عندما أرادوا المكر مع نبي الله موسى (عليه السلام) رغم أنهم عاينوا المعجزات بأنفسهم ولكن إتهامهم له (عليه السلام) بالساحر ومشورتهم لفرعون في تأخير أمر دين موسى (عليه السلام) فإن تأخيرهم لأمر موسى (عليه السلام) بإرجاء الأمر حتى مجيء السحرة من جميع المدائن، لأنهم على دين التأخير وهذا ما سيحدث مع الإمام المهدي (عليه السلام) من حيث المعتقد والفعل الذي سيقومون به هؤلاء المرجئة في الكوفة.

ولعلنا نشاهد نواة هذه الطائفة في مجتمعاتنا الإسلامية، فهنالك الكثير من رجال الدين مع ما يروه من تحقق لعلامات زمان الظهور المقدس وقولهم بتحقق القسم الأكبر منها ومع ذلك فهم يقولون بأن أمر الإمام لم يأتي أوانه وهو بعيد عن زماننا هذا. ولمزيد من التوضيح لهذه الفرقة التي ستواجه دعوة اليماني بالتكذيب انقل لكم كلام الإمام الباقر (عليه السلام) في هذا الصدد.

عن بشير ابن أبي اراكة النبال – حيث قال: **(لما قدمت المدينة انتهيت إلى منزل أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فإذا أنا ببغلته مسرجة بالباب، فجلست حيال الدار، فخرج فسلمت عليه فنزل عن البغلة واقبل نحوي، فقال: ممن الرجل ؟ فقلت: من أهل العراق، فقال: من أيها ؟ قلت: من أهل الكوفة، فقال من صحبك في هذا الطريق ؟ قلت: قوم من المحدثة ، فقال وما المحدثة ؟ قلت: المرجئة، فقال: ويح هذه المرجئة إلى من يلجئون غدا إذا قام قائمنا ؟قلت: أنهم يقولون: لو قد كان ذلك كنا وانتم في العدل سواء.فقال: من تاب، تاب الله عليه، ومن اسر نفاقا فلا يبعد الله غيره، ومن أظهر شيئا اهرق الله دمه، ثم قال:**

يذبحهم والذي نفسي بيده كما يذبح القصاب شاته، وأومأ إلى حلقه.قلت: إنهم يقولون: انه إذا كان ذلك استقامت له الأمور فلا يهريق محجمة دم، فقال: كلا، والذي نفسي بيده حتى نمسح وانتم العرق والعلق، وأومأ بيده إلى جبهته)[٢٣٧].

فان أصحاب هذه الفرقة سيرجئون تحقيق أمر الله في الخروج ويقولون انه لا يخرج الآن فالدين بخير بل إن القيام لن يكون إلا بعد عدة مئات أو آلاف من السنين....الخ من هذه الأقاويل.

وهذا بحد ذاته سيؤدي إلى إضلال الناس وتقاعسهم عن أمر مولاهم الحق ، وبعد فعلهم هذا سيكونون من الخارجين عن رحمة الله ومن الداخلين في غضبه بسبب مكرهم بالإمام المهدي (عليه السلام) وبوقوفهم بوجه دعوة الحق، وسيكونون قد اقترفوا أكبر الكبائر بفعلهم هذا لأنه لا يعبر إلا عن إنكارهم لأمر الله وتأخيرهم لدين المهدي (عليه السلام) فكما جاء في الرواية أنهم سيدخلون في الكفر ويكونون بأفعالهم من الكافرين. فعن أبي جعفر(عليه السلام) قال: **(في قوله عز وجل {فإذا نقر في الناقور} قال الناقور هو النداء من السماء ألا إن وليكم فلان**

---

[٢٣٧] - غيبة النعماني ص ٢٨٣ و٢٨٤

بن فلان القائم بالحق ينادي به جبرائيل في ثلاث ساعات من ذلك اليوم {فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير} يعني بالكافرين المرجئة الذين كفروا بنعمة الله وبولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٢٣٨].

فكيف لا يكونون من الكافرين وهم الذين سينكرون ولاية قائم آل محمد ويخرجون عليه.

الإشارة الثالثة : قول الإمام الباقر (عليه السلام) **({ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ } يعني بالتذكرة والآية أمير المؤمنين صلوات الله عليه)** الآية تتكلم عن إعراض مرجئة آخر الزمان (فقهاء الكوفة ومقلديهم) عن راية الإمام المهدي (عليه السلام) التي سيرفعها اليماني الموعود الذي يمثل علي (عليه السلام) في رجعته ، وهذا الإعراض يترجم إلى فتاوى يصدرونها إلى مقلديهم بعدم التصديق باليماني ودعوته.

فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) رواية تكلم فيها عن إصدار فتاوى من قبل مرجئة الكوفة (الفقهاء) بالبراءة من دعوة الإمام علي (عليه السلام) في اخر الزمان قال الصادق (عليه السلام): **(لا يخرج القائم (عليه السلام) حتى يقرأ كتابان كتاب بالبصرة ، وكتاب بالكوفة بالبراءة من علي (عليه السلام))**[٢٣٩].

فالفقهاء ومقلديهم يرون أن وقت ظهور الإمام أو الممهدين له سابق لأوانه وأن الدين بخير والدنيا بخير لأنها مقبلة عليهم ، وبعد أن يتم إصدار فتاوى بالبراءة والتكذيب لدعوى اليماني من قبل فقهاء المرجئة ، يأتي الأمر الإلهي لليماني بتجريد السيف والقضاء عليهم.

وقول الإمام الباقر **: ({ كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة } قال : يعني كأنهم حمر وحش فرت من الأسد حين رأته ، وكذلك المرجئة إذا سمعت بفضل آل محمد صلوات الله عليهم نفرت عن الحق)** فبعد دخول اليماني إلى العراق وبعد أن يسحق جيش السفياني الذي دخل الكوفة قبله ، يتوجه إلى فقهاء الكوفة (المرجئة) الذين تحالفوا مع السفياني لأجل القضاء على دعوة أل محمد (عليهم السلام) وهذا واضح في كلام الإمام السجاد (عليه السلام) **(ثم يسير حتى ينتهي إلى القادسية، وقد اجتمع الناس بالكوفة وبايعوا السفياني)**[٢٤٠].

فقبل أن يُنزل اليماني العذاب على المرجئة يكون إلقاء الحجة ، فيدعوهم إلى الإعتراف بفضل آل محمد صلوات الله عليهم والاعتراف بدعوتهم ، لكن الجواب سيكون الإعراض لا غير ، فعندها تأويل هذه الآية **{ كأنهم حُمر مُستنفِرَة فَرتْ من قَسْوَرَة }**

فيبيدهم اليماني عن بكرة أبيهم فيفرون منه فرار الحمير من الأسد ، فقد جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: **(يذبحهم والذي نفسي بيده كما يذبح القصاب شاته، وأومأ إلى**

---

٢٣٨ - معجم احاديث الإمام المهدي ج٥ ص٤٦٩
٢٣٩ - بحار الانوار ج ٥٢ ص٣٦١
٢٤٠ - البحار: ج٥٢ص٣٨٧

حلقه. قلت: إنهم يقولون: انه إذا كان ذلك استقامت له الأمور فلا يريق محجمة دم، فقال: كلا، والذي نفسي بيده حتى نمسح وانتم العرق والعلق، وأومأ بيده إلى جبهته)[٢٤١].

<u>الإشارة الرابعة</u> : قول الإمام الباقر (عليه السلام): **(ثم قال تعالى { كلا بل لا يخافون الآخرة }هي دولة القائم (عليه السلام)** ، ثم قال تعالى بعد أن عرفهم التذكرة أنها الولاية **{كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة}قال : فالتقوى في هذا الموضع النبي صلى الله عليه وآله ، والمغفرة أمير المؤمنين (عليه السلام))[٢٤٢].**

فبعد ان يثبت اليماني أمام الناس في الكوفة وأمام الفقهاء ومقلديهم أن دعوته هي دعوة امير المؤمنين بل هي دعوة رسول الله (ﷺ) ، يقول الله سبحانه في حق فقهاء السوء المرجئة {كلا بل لا يخافون الآخرة } والآخرة هي دولة الإمام المهدي (عليه السلام) كما قال الإمام الباقر (عليه السلام): **(هي دولة القائم (عليه السلام))** وامام المهدي (عليه السلام)لا يقوم ولا يؤسس الدولة حتى يرسل اليماني إلى لناس أجمعين ليقيم الحجة عليهم ، وقول الإمام الباقر عليه السلام **({ كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى و أهل المغفرة } قال : فالتقوى في هذا الموضع النبي صلى الله عليه وآله ، والمغفرة أمير المؤمنين (عليه السلام)).**

وهنا إشارة إلى اليماني والإمام المهدي (عليه السلام) فاليماني هو علي (عليه السلام) في رجعته الروحية والإمام المهدي (عليه السلام) هو النبي الاكرم (ﷺ) في رجعته.

فتاوى فقهاء السوء هي انكر الاصوات

إن كل كلمة (حمار + حمير + حمر) في كتاب الله سبحانه جاءت وصفاً منه سبحانه لفقهاء السوء سواءً كانوا يهوداً أم نصارى أم مسلمين فقد وصف الله سبحانه الرهبان والأحبار بالحمار الذي يحمل أسفارا تشبيهاً لحالهم بحال الحمار، لأن الحمار حين يحمل الأثقال لا يعرف ما حمّل عليه اذهباً كان أم تراباً ، فهو يحمل ما لا يعلم وكذلك الأحبار

---

[٢٤١] - بحار الانوار ج٥٢ ص٣٥٧

[٢٤٢] - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٤ - ص ٣٢٥ - ٣٢٧

والرهبان فقد حملوا التوراة والإنجيل فلم يعرفوها ولم يعملوا بها بل هجروها واستبدلوها بغيرها من البدع التي اخترعوها ليؤسسوا لهم دين يتيح لهم التسلق إلى مقام الأرباب ليسيطروا على رقاب العباد وكان لهم ذلك فبعد أن غيبوا الحجج تارة بإصدار الفتاوى لمقليدهم بقتلهم وتارة بالتكذيب لدعوتهم ، ففرغت الساحة لهم بعد ذلك فادعوا أنهم نواب الحجج وهم ابوابهم في غيابهم ، وما كان من الناس اتباع التقليد الأعمى إلا أن صدقوهم فوقعت الكارثة، واندرس دين الله بسبب فقهاء السوء، وهذا الأمر ينسحب على كل فقيه حارب الحجة المنصب من قبل الله سبحانه ، وجلس مجلسه واستولى على أمواله والقابه وما اعطاه الله سبحانه ، والقرآن جزم بأن فقهاء المسلمين لابد ان يسيروا على ما سار عليه الأحبار والرهبان بقوله تعالى { **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا** عَن **طَبَقٍ** } فقال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم): **(لتركبن سنة من كان قبلكم حذو النَّعل بالنعل والقذة بالقذة ولاتخطئون طريقتهم شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع حتى ان لو كان من قبلكم دخل حجر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى تعني يا رسول الله قال فمن اعني)**[٢٤٣].

وعن سلمان أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) يقول: **(لتركبن أمتي سنة بني إسرائيل حذو النعل بالنعل وحذو القذة بالقذة شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى لو دخلوا جحراً لدخلوا فيه معهم ان التوراة والقرآن كتبته يد واحدة في رق واحدة بقلم واحد وجرت الأمثال والسنن سواء)**[٢٤٤].

فكما غير الأحبار والرهبان الأديان بعد غياب انبيائهم (عليهم السلام) فكذلك جرت السنة حذو النعل بالنعل من تغير فقهاء الشيعة دينهم بعد غيبة الإمام المهدي (عليه السلام).

وتنبأ الائمة (عليهم السلام) أيضا بركوب فقهاء الشيعة مراكب فقهاء اليهود والنصارى وقد قارن الإمام الصادق (عليه السلام) بين المجموعتين (الفقهاء والأحبار والرهبان) من حيث الأفعال والأقوال ، فقد ورد أن رجلاً قال للامام الصادق (عليه السلام): **(فإذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره فكيف ذمهم بتقليد هم والقبول من علمائهم ؟ وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم ؟ فإن لم يجز لأولئك القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم ، فقال (عليه السلام) : بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة أما من حيث استووا فإن الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم ، وأما من حيث افترقوا فلا . قال : بين لي يا ابن رسول الله قال (عليه السلام) : إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصريح ، وبأكل الحرام والرشاء ، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات ، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه ، وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم ، وظلموهم من أجلهم ، وعرفوهم يقارفون المحرمات ،**

---

[٢٤٣] - تفسير الصافي ج٥ ص٣٠٦

[٢٤٤] - مجموع النورين ص١٠٣

واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله ، فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ، ولا تصديقه في حكاياته ، ولا العمل بما يؤديه إليهم عمن لم يشاهدوه ، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى ، وأشهر من أن لا تظهر لهم ، وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة ، والتكالب على حطام الدنيا وحرامها ، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقا والترفرف بالبر والإحسان على من تعصبوا له وإن كان للإذلال والإهانة مستحقا . فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله تعالى بالتقليد لفسقة فقهائهم)[٢٤٥].

وقد اثبتنا فيما مر بأن الفقهاء هجروا القرآن وهجروا السنة وابتدعوا في الدين وغيروا أحكام رب العالمين وتكلمنا عن المشتركات المبتدعة بين فقهاء الشيعة وفقهاء اليهود والنصارى مع تركنا لكثير من البدع التي ابتدعها الأحبار والرهبان والفقهاء، وهنا سنكشف عن العلاقة بين فتوى الفقيه وقوله تعالى:{ **إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** }.

إن كل من نصبه الناس في مقام الحجة فهو سارق يريد أن يستولى على منصب الحجة الحقيقي المنصب من قبل الله سبحانه، وهذه السرقة تحتاج إلى أمر مهم لكي تتم بنجاح، فالأمر المهم الذي يجب أن يتوفر بالحجة المزيف هو نفس ما يتوفر بالحجة الحقيقي وهو أن يعطي ما يعطيه الحجة الحقيقي لكي يضيف المقبولية على ترشيح نفسه لملاء الفراغ الحاصل من تغييب الحجة الحقيقي، ونحن نعلم من خلال ما جاء عن الائمة (عليهم السلام)، بأن الحجة الحقيقي يتميز عن باقي الناس بخاصية النيابة عن الله في الأرض فهو منصوص عليه ومختار من قبل الله سبحانه.

وكل من له اتصال بالسماء (نبي أو وصي نبي) مخصوص من قبل الله سبحانه ، بالاطلاع على أخبار السماء من حلال وحرام وعلوم أخرى ، وهذا ما يفتقر إليه الحجة المزيف ، فاول عقبة يواجهها الحجة المزيف عند اغتصاب منصب الحجة الحقيقي ، هي إثبات صلة فتواه بالسماء ، فالعبرة ليس بالشخص أو اسمه أو شكله ، أو نسبه بل غاية الأمر مدى ارتباط الفتوى بالسماء.

فاحتاج الحجة المزيف أن يفتي الناس - وان كانت الفتوى محض اجتهاد وظن من قبله - كما الحجة الحقيقي يفتي للناس ، لكي يوهمهم أنه الحجة الحقيقي أو أنه هو من سيكمل الطريق بدل الحجة إلى أن يرجع بعد غيابه .

وأوهمهم بأن تصدره للزعامة أمر شرعي موافق لما يريده الله سبحانه ، فبهذه الخدعة استطاع المزيف أن يقنع من منعه الكسل والعجز عن طلب معارف الأنبياء والائمة (عليهم السلام) .

---

[٢٤٥] بحار الأنوار ج٢ ص٨٨

وبما أن المزيف محجوب عنه أخبار السماء لأنه غاصب وظالم، لجأ إلى مصدر آخر يمده بالعلم وإن كان علماً باطلاً، لكي يستمر بالجلوس في مجلس الحجة الحقيقي ، ومن خلال هذا المصدر الباطل يفتى الناس، ويوهمهم أن فتواه هو ما تريده السماء بالضبط ، فهنا استحكمت الخدعة الكبرى وغوى أكثر الخلائق ، فقد اختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل فكثير من الأمم عندما استبدلوا الحجة الحقيقي بالحجة المزيف سقطوا في هذا الفخ ، فلا تتصور أخي القارئ أن الناس تستبدل حجج الله بغيرهم وهم يعلمون أنهم حجج مزيفون ، بل الشيطان وأولياءه يضعون الخطة المحكمة ويطلوها بطلاء الحق لكي تمرر على الناس ويرضون بها.

فالأحبار والرهبان كان محجوب عنهم أخبار السماء عكس أنبياء بني اسرائيل (عليهم السلام) فلجأوا الى الاعتماد على اجتهادهم ونتائج عقولهم فلهذا وقع التناقض بين فتاواهم وكلام الأنبياء (عليهم السلام).

إن كل من اخذ تفسير هذه الآية – مثل الحمار - عن غير الحجة الحقيقي فمن المستحيل ان يعرف حقيقة معنى صوت الحمار ، بل سيتصور ان صوت الحمار - هذا الحيوان - هو أنكر الأصوات وينتهي الأمر عنده ، أما من له اتصال بالسماء فإنه يرى ظاهر وباطن الآيات فالقرآن له ظاهر وباطن وله ما يمده من بعده سبعة ابحر وتنفد هذه الأبحر ولا تنفد كلمات الله تعالى .

فعن جابر الأنصاري قال : **(سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن شيء في تفسير القرآن فأجابني ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر .فقلت :جعلت فداك كنت اجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا من قبل اليوم ؟ فقال (عليه السلام) لي يا جابر :إن للقران بطنا وللبطن بطن وله ظهر وللظهر ظهر يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن)**[٢٤٦].

وقد جاء عن الباقر (عليه السلام) أنه قال : **(قال الله تعالى في ليلة القدر فيها يفرق كل امر حكيم يقول ينزل فيها كل أمر حكيم - إلى أن قال - إنه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر تفسير الأمور سنة سنة يؤمر فيه في أمر نفسه بكذا وكذا وفي أمر الناس بكذا وكذا وأنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله عز وجل الخاص والمكنون العجيب والمخزون مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر ثم قرأ { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ })**[٢٤٧].

فالكلمة في القرآن لها وجوه كثيرة ومعاني اكثر. ومن المستغرب أن يظن أحد بأن المقصود من قوله تعالى **{ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }** هو صوت الحمار ذلك الحيوان ، لأن صوت الحمار ليس مهم إلى درجة أن الله تعالى يتكلم عنه في كتابه ، والخطأ الفادح الذي

---

[٢٤٦] - المحاسن ج٢ ص٣٠٠

[٢٤٧] - تفسير الصافي ج٤ ص٤٠٤

وقع به الناس ممن لا يأخذون معالم الدين من الحجة الحقيقي أن تصوروا أن الله استنكر صوت الحمار نفسه وغفلوا عن الحقيقة التي أرادها الله من ذلك الاستنكار.

فكيف يخلق الله شيئاً ثم يستنكره ، فهذا ما لا يليق به سبحانه ولا يتوافق مع عدالته ، فالامر في الحقيقة مهم جداً وفي غاية الأهمية بل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحجة المزيف وما يتلفظ به من كلام يؤدي إلى خراب الدين والدنيا، والإمام علي (عليه السلام) بين أن الصوت الذي استنكره الله سبحانه ليس صوت الحيوان بل الصوت المستنكر من قبل الله سبحانه هو صوت الحجة المزيف الذي ما ان نطق به حتى امات الدين وامات الحق ، وغصبت الخلافة الحقة بسبب هذا الصوت ، ففتاوى الحجج المزيفين هو ما استنكره الله سبحانه لأن فتاواهم تعارض ما يريده.

وهذا الأمر طبيعي، فالمعصوم ينطق عن الله سبحانه والفقيه المغتصب ينطق عن ابليس.

وبما أن القرآن كتاب متجدد ونزل بأسلوب إياك أعني فاسمعي يا جارة فكل حادثة في القرآن وإن حدثت في أمم سابقة لناس فهي تتحدث عن حالة مشابهة لها اليوم.

فعن علي بن محمد بن الجهم عن أبي الحسن (عليه السلام) مما سأله المأمون : فقال : **(أخبرني عن قول الله عز وجل {عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم } قال الرضا (عليه السلام) : هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة ، خاطب الله عز وجل بذلك نبيه صلى الله عليه وآله وأراد به أمته ، وكذلك قوله تعالى { لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين } وقوله تعالى { ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً } قال : صدقت يا بن رسول الله)**[٢٤٨].

فان الله تعالى اذا وصف أمرا في كتابه فإن هذا الوصف ينسب إلى ما يشابهه في كل زمان لأن القرآن حادث متجدد فيه خبر من قبلنا وخبر من بعدنا وخبر حالنا حتى قال الباري عز وجل **{ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} .**

إن فتاوى الفقهاء هي المقصود بأنكر الاصوات وليس صوت الحيوان هو المستنكر ، لأن الله سبحانه لا يخلق شيء ثم ينكره كما قال الإمام علي (عليه السلام) ، بقوله للرجل الذي سأله عن الحمار فقال: **(ما معنى هذه الحمير فقال الإمام (عليه السلام) :الله أكرم من أن يخلق شيئا ثم ينكره.....)**[٢٤٩].

وبسبب هذا الصوت المنكر غير أديان الله سبحانه في الأرض وحرفت ودُرست معالمها ، فكان الحمير في بني إسرائيل (الأحبار والرهبان) حملهم الله وانبياءه التوراة والإنجيل ، لكنهم لم يعملوا بها ، بل هجروا الكتاب وحرفوا الدين وصنعوا دين مخالف لدين الله الذي انزله إليهم على يد أنبياءهم، فكانت السنتهم تصف الكذب وتنسبه إلى الله سبحانه فكل فتوى

---

[٢٤٨] -تفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٢٤

[٢٤٩] - بحار الانوار ج٣٠ ص٢٢٧

يفتوها يقولون إنها موافقة لكلام الله سبحانه ، والمولى كذبهم ، وبين ظلالهم وزيف ادعائهم، والقرآن شاهد على ما نقول ، فكانت فتاواهم التي غيرت الدين هي صوت الحمار الذي استنكره الله في كتابه ، وقد جاء تشبيههم بالحمير بشكل صريح قال تعالى : **{ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا }.**

فكما فعل فقهاء بني إسرائيل وفقهاء أمة محمد في صدر الإسلام وجسدوا المصداق الحقيقي لمثل الحمار فكذلك فعل فقهاء السوء بعد غياب القسورة المهدي (عليه السلام) ، فما أن غاب الإمام حتى تسنم الأمر الفقهاء وعند ذلك بدأ دين ال محمد (عليهم السلام) بالأفول ، إلى أن وصل إلى ما وصف الإمام علي (عليه السلام): **(كل ذلك لتتم النظرة التي أوحاها الله تعالى لعدوه إبليس إلى أن يبلغ الكتاب أجله ويحق القول على الكافرين ويقترب الوعد الحق الذي بيّنه في كتابه بقوله: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ }. وذلك إذا لم يبقِ من الإسلام إلاّ اسمه ومن القرآن إلاّ رسمه وغاب صاحب الأمر بإيضاح الغدر له في ذلك لاشتمال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له، وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها ويُظهرُ دين نبيه ﷺ على يديه على الدين كله ولو كره المشركون)**[٢٥٠].

فغاب الإمام المهدي (عليه السلام) كما غيب ابائه عن دورهم بقيادة الامة بسبب اعراض الناس عنهم والتجاءهم إلى حجج مزيفين، والأمر المفجع في كلام الإمام علي (عليه السلام) ، ان اقرب الناس (وهم من يدعون انهم اشياعه) للإمام المهدي (عليه السلام) سيكونون أشد أعداءه وخوفه من غدرهم وخيانتهم له جعله يغيب عنهم ويتركهم في التيه ، فبعد ان ايقن الفقهاء أن الساحة قد خلت والفرصة أتت ، تصدروا الأمر ، فأول فقيهين تسلقوا على منصب الإمامة التي قهر صاحبها وغيب قسراً هما ابن عقيل العماني وابن جنيد فهم او من تزعم الشيعة بعد ظليمة الإمام وغيابه وهما أول من تجسد فيهم مثل الحمار في القرآن، فبدأ تغيير دين آل محمد منذ ذلك الوقت.

فقد جاء عن الشيخ الكركي وهو يبين كيف تسلق العماني والجنيدي منصب الإمام الغائب قائلاً : (علماء يعتمدون على مبانيهم الأصولية العقلية ، ولهم طريقتهم الخاصة بهم في الاستدلال الفقهي ، وكانوا يستدلون بالعقل على كثير من الأمور منهم : أ - أبو محمد الحسن بن علي بن أبي عقيل العماني الحذاء (ابن أبي عقيل) شيخ فقهاء الشيعة ، والظاهر أن الزعامة الدينية الشيعية كانت له بعد الغيبة الصغرى ، انتقلت إليه بعد آخر السفراء الأربعة . وهو أول من أدخل الاجتهاد بشكله المعروف إلى الأبحاث العلمية)[٢٥١].

---

[٢٥٠] بحار الانوار ج٩٠ ص١٢٥

[٢٥١] - جامع المقاصد - المحقق الكركي - ج ١ - ص تكملة مقدمة التحقيق ١٣

فالكركي يعترف بأن الشيخ العماني اعتمد على المباني العقلية الشخصية وهذا بطبيعة الحال لا يكون إلا بعد ان يهجر طريقة اهل البيت، ومع ذلك يسميه بشيخ فقهاء الشيعة!!!

وقال الشيخ الطوسي في الرسائل العشر ص ٤٨ (وهكذا نرى أن المذهب الشيعي مع محافظته على أصوله المسلمة قد تأثر بالآخرين من حيث شاء أو لم يشأ ، ولكنه لم يفارق أصوله ولم يتخل عن ذاتيته طرفة عين أبدا . وهناك مجال للبحث والدراسة فيمن أبدى أولا هذه الشجاعة والجرأة وعمد إلى فتح هذا الباب على المجتهدين بعد أن كان مقفلا أمامهم في المذهب الإمامي . فعند العلامة الطباطبائي بحر العلوم ، وقبله السيد نعمة الله الجزائري في شرح التهذيب وبعده صاحب الروضات ، وغيرهم ، كان المؤسس الأول لهذا الأساس هو الحسن بن أبي عقيل العماني المعاصر للشيخ الكليني (م ٣٢٩ هـ) وبعده محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي المعاصر للشيخ الصدوق (م ٣٨١ هـ)).

فهذين الفقيهين بعد أن غاب الإمام المهدي (عليه السلام) تسلموا منصبه وغيروا دينه وباعتراف المعاصرين لهؤلاء الفقهاء بأنهم قد غيروا الدين وادخلوا عليه بدع ما انزل الله بها من سلطان ، فقد تم التأسيس من قبلهما لهجر القرآن والسنة وجعلوا البديل عن الثقلين القياس والاجتهاد والظن، وهذا باعتراف المعاصرين لهم مثل الشيخ الكركي الذي كان احد المعجبين بهما مع انهم كانوا يستخدمون العقل في تشريع الأحكام بل كان العقل عندهم أهم مصدر للتشريع ، وهم أول من سن هذه السنن الباطلة بعد غيبة الإمام (عليه السلام). والطوسي وهو الآخر كان من المعجبين بالعماني والجنيدي مع انهم قد جعلوا دين ال محمد (عليهم السلام) يتأثر بدين النواصب بقوله (قد تأثر بالآخرين من حيث شاء أو لم يشأ) وقوله (أبدى أولا هذه الشجاعة والجرأة وعمد إلى فتح هذا الباب على المجتهدين بعد أن كان مقفلا أمامهم في المذهب الإمامي).

يبين أن الفقهاء بعد الغيبة كانوا يترددون في إدخال قواعد المخالفين والتردد في أمر يوضح أن هذا الأمر منكر وقبيح وإلا لو كان حق لما ترددوا فيه وهم يزعمون أنهم اتقياء لا يخافون في أمر الله لائم فلماذا التردد، لكن جرأة العماني على الله التي يفقدها كل فقهاء عصره وقبل عصره جعلته يغير ما عجز عنه جمهور الفقهاء المعجبين بدين (أبناء العامة)

لذلك قال المولى محمد امين الاستر ابادي : (وبالجملة وقع تخريب الدين مرتين ، مرة يوم توّفي النبي (ﷺ) ، ومرة يوم أجريت القواعد والاصطلاحات التي ذكرها العامة في الكتب الأصولية ودراية الحديث وفي أحكامنا وأحاديثنا . وناهيك أيها اللبيب أن هذه الجماعة يقولون بجواز الاختلاف في الفتاوي ، ويقولون قول الميت كالميت ، مع انه تواترت الأخبار عن الأئمة الأطهار بـ (أن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة) [٢٥٢].

[٢٥٢] ـ الفوائد المدنية والشواهد المكية ص٣٦٨

فكان الاجتهاد والقياس والاستحسان والظن هو دين الرسمي للناس الذين ركبوا مراكب الشيطان، وهذا ما نلمسه اليوم في المؤسسات الدينية الشيعية ، فعلم الاصول الذي اخترعه النواصب أهم من الثقلين القرآن والسنة وصار تقليد غير المعصوم هو المنجي، وهذه الحالة وصفها احد رجال الدين انفسهم وهو السيد علي الخامنئي قائلاً (إذا ما أراد شخص كسب أي مقام علمي في الحوزة العلمية كان عليه أن لا يفسر القرآن حتى لا يتهم بالجهل حيث كان ينظر إلى العالم المفسر الذي يستفيد الناس من تفسيره على أنه جاهل ولا وزن له علميا لذا يضطر إلى ترك درسه إلا تعتبرون ذلك فاجعة)[٢٥٣].

فالثقل الاكبر اصبح امر معيب في الحوزات ولا احد يهتم به ويفر الفقهاء منه لأنه في نظرهم ليس له وزن ، بل الاهتمام كل الاهتمام بعلم النواصب المخترع (علم الاصول) ، وفرارهم هذا ليس بسبب نهي أهل البيت (عليهم السلام) عن تفسير القرآن لأنهم لا يرون بأساً في تفسيره وقد خرجت العديد من التفاسير لكبار فقهاء الشيعة ، إنما كان الاهتمام والثقل العلمي يعطى للفقهاء العاملين بالأصول العقلية والمتعاطين لها لكي تتم المؤامرة على كتاب الله وهذا ما حصل فعلا .

ويكمل السيد خامنئي كلامه قائلاً : (مما يؤسف له أن بإمكاننا بدء الدراسة ومواصلتنا لها إلى حين استلام إجازة الاجتهاد من دون أن نراجع القرآن ولو مرة واحدة لماذا هكذا ؟ لأن دروسنا لا تعتمد على القرآن)[٢٥٤].

انظر كيف أنهم حتى لا يراجعون القرآن فضلا عن التدبر في آياته كما أمر النبي وأهل بيته (عليهم السلام)، فالقرآن اليوم مهجور كما وصف نفسه قال تعالى: **{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}** فهجر القرآن وفق هذه الآية مستمر مع كل زمان ، أما السنة الشريفة فقد أميتت ، والحق زهق والباطل علا واستكبر ، وهذا الأمر سيدوم ما لم يعود القسورة .

فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: **(الإسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فقلت اشرح لي هذا أصلحك الله فقال (عليه السلام يستأنف الداعي منا دعاء جديد كما دعا رسول الله)[٢٥٥].**

وقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال: **(إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديدا وهداهم إلى أمر قد دثر فضل عنه الجمهور وإنما سمي القائم مهديا لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه وسمي القائم بالقائم لقيامه بالحق)** [٢٥٦].

---

٢٥٣ - ثوابت ومتغيرات الحوزة ص ١١٢
٢٥٤ - ثوابت ومتغيرات الحوزة ص ١١٢
٢٥٥ - بحار الأنوار-ج١٣ ص ١٩٤
٢٥٦ - الوافي ص١١٣ج١١

وروي بالإسناد إلى عبد الله بن عطاء قال سألنا أبا جعفر الباقر (عليه السلام) : (**إذا قام القائم (عليه السلام) بأي سيرة يسير في الناس فقال (عليه السلام) يهدم ما قبله كما صنع رسول الله ص ويستأنف الإسلام جديدا)**[٢٥٧].

فالاسلام قبل قيام القائم مندرس والقرآن مهجور والحق مقهور .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: **(فلو قد قام قائمنا عجل الله فرجه و تكلم بتكلمنا ثم استأنف بكم تعليم القرآن وشرائع الدين والأحكام والفرائض كما أنزله الله على محمد (ﷺ) على سبعة أحرف لأنكر أهل التصابر فيكم ذلك اليوم إنكاراً شديداً ثم لم تستقيموا على دين الله وطريقته إلا من تحت حد السيف فوق رقابكم إن الناس بعد نبي الله (ﷺ) ركب الله به سنة من كان قبلكم فغيروا وبدلوا وحرفوا وزادوا في دين الله ونقصوا منه فما من شيء عليه الناس اليوم إلا وهو محرف عما نزل به الوحي من عند الله فأجب يرحمك الله من حيث تدعى إلى حيث ترعى حتى يأتي من يستأنف بكم دين الله استئنافا)**[٢٥٨].

فالتحريف والتغيير الذي احدثه فقهاء السوء بعد الغيبة في دين الله سبحانه سينسفه الإمام عند قيامه، فهم عند قيامه يتفاجؤون بأن حكمه خلاف حكمهم ودينه خلاف دينهم فيحاربوه ، فقد جاء في كتاب بشارة الاسلام ما نصه : **(يقود على فترة من الدين فمن أبى قتل ومن نازعه خذل ، يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحكم به أعداءه الفقهاء أو المُقَلَدون يدخلون تحت حكمه خوفاً من سيفه وسطوته ، ورغبة فيما لديه)**[٢٥٩].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (في حديث طويل .....أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد ، لما يرونه يحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم ، فيدخلون كرها تحت حكمه خوفا من سيفه ، وتفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم)[٢٦٠].

و جاء في بيان الأئمة عليهم السلام ج٣ ص ٩٩: **(إذا خرج الإمام المهدي فليس له عدو مبين إلا الفقهاء خاصة ، ولولا السيف بيده لأفتى الفقهاء بقتله).**

وأيضا ورد بنفسٍ المعنى في يوم الخلاص ص ٢٧٩ : **(أعداؤه الفقهاء المقلدون ، يدخلون تحت حكمه خوفاً من سيفه وسطوته، ورغبه فيما لديه).**

وجاء أيضا عن أبو عبد الله (عليه السلام) انه قال: **(فإذا خرج القائم من كربلاء وارد النجف والناس حوله ، قتل بين كربلاء والنجف ستة عشر ألف فقيه ، فيقول من حوله من المنافقين : انه ليس من ولد فاطمة وإلا لرحمهم ، فإذا دخل النجف وبات فيه ليلة واحدة :**

---

٢٥٧ - غيبة النعماني ص٢٣٨

٢٥٨ - بحار الأنوار ٢٤٦/٢

٢٥٩ - اعيان الشيعة ج٢ ص٤٥

٢٦٠ - مستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٤٢

فخرج منه من باب النخيلة محاذي قبر هود وصالح استقبله سبعون ألف رجل من أهل الكوفة يريدون قتله فيقتلهم جميعاً فلا ينجي منهم احد)[٢٦١].

ومن خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) جاء فيها: **(وينتقم - أي القائم - من أهل الفتوى في الدين لما لا يعلمون فتعسا لهم ولأتباعهم أكان الدين ناقصا فتمموه أم كان به عوج فقوموه أم الناس هموا بالخلاف فأطاعوه أم أمرهم بالصواب فعصوه أم وهم المختار فيما أوحي إليه فذكروه أم الدين لم يكمل على عهده فكملوه وتمموه أم جاء نبي بعده فاتبعوه أم القوم كانوا صوامت على عهده، فلما قضى نحبه قاموا تصاغروا بما كان عندهم فهيهات وأيم الله لم يبق أمر مبهم ولا مفصل إلا أوضحه وبينه حتى لا تكون فتنة للذين آمنوا إنما يتذكر أولوا الألباب. فكم من ولي جحدوه وكم وصي ضيعوه وحق أنكروه ومؤمن شردوه ....)**[٢٦٢].

والحرب المقدسة التي يخوضها القسورة مع الفقهاء في الكوفة نتيجتها تكون فرار الحمير من بين يديه ، لكن هيهات هيات ان يتركهم يفروا دون عقاب . ان شاء الله نوافيكم بسلسلة كبيرة وواسعه من الأمثلة القرانيه وربطها بزماننا(اخر الزمان)وذلك من منطلق ان القران حادث متجدد كما ذكره السيدابي عبد الله الحسين القحطاني في نظرية تجدد القران .

وان هذه العلوم احبتي قمت بفضل من الله تعالى بترجمة قسم منها اسأل الله بذلك السداد لما يحب ويرضى لخدمة مولانا الامام المهدي(ارواحنا لتراب مقدمه الفداء)واذا كان فيه شيء من الخطأ فمردوده يعود عليَّ وليس على صاحب النظرية العظيمة التي اتحفتنا وجعلت القران يعيش بيننا كما كان في زمن الرسول والائمة (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين).

تم ولله الحمد

في تركيا /إسطنبول/١٢ جمادى الأولى ١٤٣٥

---

[٢٦١] - كتاب نور الأنوار المجلد الثالث ص- ٣٤٥

[٢٦٢] - الزام الناصب ج٢ ص٢٠٠